عبد الحكيم قاسم

الأيديولوجية والتربية

بين المسيحية والإسلام

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم

الأيديولوجيا والتربية في المسيحية والإسلام

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

دار الاتحاد العربي للطباعة
(لصاحبها محمد عبد الرازق)
١٠ كنيسة الأرمن ش الجيش
تليفون : ٩٢٤٠٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

هدفت الأديان السماوية كما ولا يزال اصلاح الفرد من جميع الجوانب حتى ينصلح المجتمع . وهذا هدف نبيل سبقت به الأديان الفكر الانسانى الحالى الذى أدرك مؤخرا أنه فى حاجة ماسة الى قوانين وقواعد وقيم تحكم تصرفاته وتوجه سلوكه الى حياة فاضلة عفيفة كريمة تحفظ له كرامته وانسانيته .

وضعت الأديان السماوية الأسس العامة فى التربية على اختلاف درجاتها من البساطةالى العمق الى وصايا فى الاخلاق الى نظام عام يصلح لبناء مجتمع سليم ليكون قدوة فى اخلاقياته ومبادئه لمجتمعات أخرى فى العالم كله .

لعل القارىء لكتابى هذا يحس بشيئين هامين أولهما : بساطة الفكر التربوى واعتماده على انتفاء المادية من سلوك الفرد المسيحى وتهيئه لحياة ابدية ترجوها له المسيحية ولهذا وضعت له نظاما تربويا متكاملا وفق أيديولوجية مسيحية .

أما المسلمون فان الخالق عز وجل قد وضع لهم سلوكا وقوانينا للأخلاق ومبادئا للتربية حتى يخلق من الفرد المسلم مدرسة كاملة يتربى على يديه جيلا كاملا وفق ايديولوجية اسلامية .

ثانيهما : ليس من السهل الكتابة فى هذا الموضوع الذى اخترت له عنـــوانا :

« الايديولوجيا والتربية فى المسيحية والاســلام »

فقد سبقنى فيه كثر من اعلام التربية فى عصرنا الحالى أو العصور السابقة ، وتناولوه من عدة جـــوانب مفسرين ما شـــاء لهم أن يفسروا ومرجعين كل ما توصلوا اليه من نتائج الى مصادره الاصلية .

هذه الجهود التى بذلت من جانبهم فى الحقيقة لم توف حق التربية سواء كانت المسيحية منها أو الاسلامية فقد ركزت على الجانب الدينى وخده على أنه الجانب التربوى فى نظرهم ، وهذا خطأ جسيم لان نظريتهم قد بنيت على ما فهموه من تحفيظ لبعض آيات الانجيل او سور القرآن الكريم لاطفال الديانتين .

كل هذا دفعنى نحو تبعة خطيرة القيتها على نفسى بأن أقوم بقراءة ما كتبه السابقون فى هذا الميدان سواء كان ذلك فى عصور ما ضية أو فى العصر الحالى ، دارسا ومستفيدا من بعض النتائج التى وصلوا اليها ومجتهدا فى اضافة ما توصلت اليه من نتائج استخلصتها من قراآتى حتى تكتمل الصورة الحقيقية للتربية المسيحية او الاسلامية .

وكانت خطتى فى الدراسة لهذا الموضوع تدور حول محورين هامين وأساسين للبحث العلمى فى التربية وهما :

اولا — المحور الفلسفى :

ويشمل فلسفة التربية وأهدافها ومناهج الدراسة ، والمؤسسات التربوية المختلفة والقائمين على ادارة تلك المؤسسات وموارد الانفاق عليها لدى اهل كل من الديانتين سواء كانت المسيحية أو الاسلامية .

ثانيا — المحـــور التاريخى :

الذى يلقى ضوءا ساطعا على التربية المسيحية أو الاسلامية من خلال العصور المختلفة التى مرت عليهما ، مع ربطهما بالقوى الثقافية التى اثرت فيها وتوضيح مدى تطورهما سواء كان ذلك التطور يشمل الاسلوب والمنهج الدراسى والمؤسسات بأنواعها المختلفة .

ومنهجى فى البحث هو المنهج الاستردادى التاريخى الذى يحلل عوامل قيام المجتمع ويرسم لنا صورة واضحة عن التربية المسيحية او الاسلامية

فان كان كتابى هذا قد وفى بما أرجوه له من منفعة فذلك فضل وكرم

من عند ربى وان اختلفت فيه وجهة نظر القارىء العزيز فحسبى اننى اجتهدت .

« ومن اجتهد فأصاب فله اجران ومن أخطأ فله اجر » وأرجو الله ان اكون قد وفقت بفضل ربى وحبى له ولرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام الى عمل ينتفع به الاخرون ويكون بداية لبحوث عديدة حتى يتحقق ما نرجوه .

والله الموفق

عبد الحكيم عبد الغنى محمد قاسم

الباب الأول

الأيديولوجيا والتربية فى المسيحية والاسلام

الفصل الأول

الايديولوجيا والتربية فى المسيحية والاسلام

تقديم :

الأيديولوجيا كلمة يونانية الاصل وتعنى العلم ، كعلم الاجتماع والفلسفة أو غيرها من العلوم الانسانية وهى مرتبطة بالانسان منذ وجوده على هذه الارض (١) .

وقد ترجمت من اللاتينية الى كلمة « المثل » وتشمل الايديولوجيا عدة مفاهيم مختلفة يجب أن نستعرضها حتى نفهم معناها ونصل من خلاله الى فهم التربية (٢) .

فالأيديولوجيا علم يدور حول الأنسان وطبيعة تفكيره والصور العقلية التى ترتسم فى مخيلته وقد يطلق عليها من خلال ذلك بانها علم الافكار أو علم الصور العقلية الذى ظهر أخيرا فى بعض جامعات أوروبا . وقامت البحوث فى ذلك المجال وتوصلوا الى نتائج لها قيمتها العلمية (٣) .

والمفهوم الثانى للايديولوجيا انها كلمة مرادفة للعقيدة وهذا مفهوم خاطىء لان الايديولوجيا وجدت مرتبطة بالعقيدة وجاء هذا الارتباط نتيجة التصورات التى توصل اليها العلماء من خلال عقيدة دينية أو سياسية أو اقتصادية سائدة فى المجتمع (٤) .

والمفهوم الثالث للايديولوجيا هو ما يتصوره الانسان عن نفسه

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الايديولوجيا والتربية — دار الفكر العربى ص ١ ، ٩ .

(٢) نفس المرجع السابق الايديولوجيا والتربية ص ٢٢ .

(٣) د. عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية : دار الفكر العربى ص ١٨ .

(٤) نفس المرجع السابق العقيدة الاسلامية ص ٢٥ .

ومجتمعه والكون المحيط به ولهذا يمكن أن يطلق عليها علم التصورات (١).

ومن خلال هذه المفاهيم التى اشرت اليها لا يمكننا ان نفهم التربية المسيحية أو الاسلامية بمعزل عن الايديولوجيا . لان الايديولوجيا تعنى تصورا شاملا كاملا عن الكون والانسان والمجتمع والاسرة والالوهية عند اهل الديانتين ، ولا يتم تصور التربية الا من خلال التصورات التى ذكرتها ومن ثم يجب ان تلتمس التصورات المسيحية أو الاسلامية ليس من عند علماء وفلاسفة المسيحية أو الاسلام بل من اصولهما الصحيحة من توراة وانجيل وقرآن كريم وحديث شريف (٢) . ولقد أشرت الى الكون والانسان والاسرة والمجتمع والالوهية فى كتابى هذا — وان كان كل منهم موضوعا لكتاب كامل — حتى نفهم من خلال هذه الاشارة مضمون التربية المسيحية أو الاسلامية فى عصورها المختلفة .

أولا : الكـــون :

كان الكون ومازال مسرحا لتأملات الانسان منذ وجد ومجالا لتساؤلات منه ومبعثا لحيرته وخوفه وقلقه الدائم وحبا لاستطلاعه نحو الظواهر التى تتحكم فيه وتسيطر عليه وقد تنوعت الحضارات فى فهم الكون المظاهر الطبيعية ولهذا اختلفت المجتمعات فى عصورها المختلفة فى تصور الكون مما أدى عند بعض المجتمعات الى اتخاذ اله لكل ظاهرة طبيعية (١).

واذا استعرضنا التوراة فاننا لا نجد تصورا كاملا لبنى اسرائيل عن الكون ومظاهره وانما كان تصورهم مقصورا على ظواهر الحياة المادية التى يحيونها على هذا الكوكب والتى اثرت فى حياتهم الخاصـــة ، ولهذا افتقدوا الجانب الروحى . ومن هنا جاءت المسيحية متممة لليهودية حيث يقول السيد المسيح لتلاميذه « لا تظنوا انى جئت لانتقض الناموس والانبياء ،

---

(١) المرجع السابق الايديولوجيا والتربية ص ٢٣ .

(٢) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى — دار الفكر العربى : ص ٣٥ — ٣٦ .

(٣) دكتور / احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية دار الفكر العربى ص ٨٧ — ٨٨ .

وما جئت لأنقض بل لاكمل ، فأنى فالحق أقول لكم ، الى أن تزول السماء والارض لايزول حرف واحـد أو نقطة واحـدة من الناموس حتى يكون الكل » (١) .

كما أن السيد المسيح وجه تلاميذه الى اليهود لنشر دعوته بينهم حيث قال فى ذلك « الى الطريق أمم لا تمضوا والى مدينة السامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالقرى الى خراف بيت اسرائيل » (٣) .

ان حال بنى اسرائيل لا يمكن اصلاحها فى اطار الحياة العامة ومن هنا كان على المسيحية أن تتجه الى الروح لتقيم عليها اصلاحهم ومن هنا فليست المسيحية نظاما فلسفيا وانما دين يشمل قواعد ووصايا للناس يسترشدون بها فى حياتهم (٤) .

ولم يكن الناس فى حاجة الى قوانين وشرائع فهذا كله موجود فى التوراة وعند الرومان وانما حاجتهم كانت ملحة الى حياة روحية تطهر نفوسهم ووجدانهم وتجرر ضمائرهم من المادية من هنا كانت المسيحية التى سعت بكل طاقتها على انتفاء المادية والنزوع الى الروحية (٤) .

وبنزعتها هذه تعلن الحرب صراحة وبوضوح على كل مظهر من مظاهر الحياة الدنيوية وكل حاجة من حاجات الجسد المادى ، وكان نتيجة ذلك أن الجسد والروح فى المسيحية لا يجتمعان (٥) والعقل متعلق بحاجات الجسد فهو ايضا بالتالى عدو للروح ومتعلق بالحياة الدنيوية التى يجب على الانسان ان يلفظها من حياته ليعيش سعيدا (٦) ونتيجة لكل هذا

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى : ١ — الأصحاح الخامس : ١٧ — ١٨ .
(٢) العهد الجديد : انجيل متى : ١ — الاصحاح العاشر : ٥ — ٦ .
(٣) عباس محمود العقاد ما يقال عن الاسلام : دار الهلال : طبعة ٧٠ ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٤) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثانية دار الكتاب العربى طبعة ١٩٥٣ ص ٧ — ٨ .
(٥) دكتور : عبد الغنى عبود : الاسلام والكون : مايو سنة ١٩٧٧ طبعة أولى : دار الفكر العربى ص ٧٧ .
(٦) نفس المرجع السابق الاسلام والكون ص ٧٨ .

جاءت معارضة المسيحية العلم التى استمرت عدة قرون نتيجة لخصومتها مع العقل وهو الشىء المادى ، واعتمادها على الروح ويتبع هذا أيضـا خصومة المسـيحية مع الكون نتيجة انصرافها عن الحياة المادية التى أفسدت كل حياة بنى اسرائيل افساد كاملا (١) .

ثم جاء الاسلام ليزيل تلك المعارضة ويضع حدا لهذه المشكلة كلها ويقيم العلاقات السليمة بين العقل والعلم ومن خلال ذلك تكون علاقة الانسان بالكون علاقة مصالحة لا خصومة (٢) .

ويعرض القرآن الكريم فى آيات كثيرة صورا كثيرة عن خلق السموات والارض فهو يتحدث عن الكواكب والنجوم واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح وتسير السحاب كما يتحدث عن النبات وتكوين الاجنة واختلاف الألوان ليضع كل هذا تحت نظر الانسان وادراكه (٣) .

يعرض القرآن الكريم الكون بشتى أنواع العرض ، فهو يعرضه مرة فى صورة شاملة ومرة أخرى يعرضه فى صورة مفصلة ثم يعود ليعرضه فى ايجاز شديد حتى ليجمعه كلمة واحـدة مضافة لاسـم الله مثل « رب العالمين » ثم يعود فيوضح عظمة الخالق فى خلقه هذا الكون وابداعه له كقوله تعالى « الم تر أن الله انزل من السـماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لاولى الألباب » (٤) .

ولو استعرضنا كل الآيات القرآنية التى تدور حول الكون ومظاهره كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والجبال والبحار والينابيع والليل والنهار والظلمة والنور والسحاب والامطار والنبات والمزروعات والحيوان والانسان لرأينا كل هذا يشكل صورا رائعة لهذا الكون الذى خلقه الله

---

(٢) نفس المرجع السابق ص ٧٩ — ٨٠ .

(١) نفس المرجع السابق الاسلام والكون ص ٨٢ .

(٣) دكتور احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية دار الفكر العربى ص ٨٠ .

(٤) الزمر : ٢١ .

سبحانه وتعالى وأبدعه وجعله مسرحا للانسان ومجالا لطموحه لتحقيق رغائبه كما أنه محور تفكيره وبحوثه ليصل من خلال معرفته له الى معرفة الله الخالق (١) .

ومن صفات ذلك الكون الذى يعرضه لنا القرآن الكريم انه دائما فى حركة وتبديل كقول الله عز وجل « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (٢) .

كما أن من خصائص الكون الارتباط بين الاسباب والنتائج فى حركته وجريانه وارتباط أجزائه الارتباط الكامل كقوله تعالى « ألم تر ان الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق تخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » (٣) .

ومن خلال الكون نرى حقيقة واضحة وهى حقيقة الألوهية . وان الكون ومظاهره واسراره المختلفة والكائنات التى توجد به كلها تدين بالعبودية لله وحده فالاخرى بالانسان الذى هو من مخلوقات الله أن يدخل فى هذه الدائرة (١) كقول الله تعالى « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار ، يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (٤) .

لقد جعل القرآن الكريم من الكون مثار تفكير الانسان وتأمله كما أنه مجال لرزقه والانتفاع به فالله خلق الكائنات كلها وسخرها للانسان ، والطبيعة

---

(١) دكتور احمد الشريف دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٠ .
(٢) يس : ٣٧ — ٤٠ .
(٣) النور : ٤٣ .
(٤) الاعراف : ٥٤ .
(٥) دكتور احمد الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩١ .

سخرها وجعلها مجالا لرغباته وطموحه وجعل الانسان سيد مخلوقات الارض بما لديه من خصائص واستعدادات تمكنه من التعرف على قوانين الحياة والتعرف على ظواهر الكون لتحقيق رغائبه وأسعاد حياته (١) .

لقد اعتقد الانسان قديما بان المظاهر الكونية كلها تعمل ضده وأنها عدوه له تتربص للفتك به وتعاكسه فى رزقه وليس وراءها ارادة مدبرة. ولهذا وضع القرآن حدا لهذه التصورات بعقيدة شاملة وهى أن الله هو الخالق الكون وللانسان وقد أودع الله الانسان خصائص واستعدادات ليدخل الأمن والأمان والطمأنينة على قلبه الأنسان بذلك ويجعله مرتاحا وواثقا للتعرف على الكون . ومن هنا تتم المصالحة ويصير الكون صديقا للانسان العالم المفكر ، فيقوم بمسئواليات الخلافة التى يتطلبها الخالق منه (٢) .

ومن خلال هذه المصالحة تكون هناك سرعة الاستجابة للعلوم التى تساعد على التعرف على قوى الكون واستخدامها لصالح نفسه والبشرية جميعا (٣) وهذا عكس ما كانت عليه المسيحية فان الكنيسة ظلت فى خصومتها مع العلم فاهدرت دماء بعض العلماء ، فأعترضت على كل فكرة واتهمت صاحبها بالخروج عن الدين وقدمته للمحاكمة وفى النهاية للاعدام ولم تتخلص أوروبا من هذا الوضع حتى تم الفصل بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة وصارت أوروبا فى حالة ثورة علمية ونهضة فكرية وهذا ما يسمى بالنهضة الاوروبية فى العصور الوسطى ولم تتم لها النهضة الا باتصالها بالحضارة الأسلامية والعمل على نقل العلوم الاسلامية عبر عدة معابر من اهمها بلاد الاندلس وصقلية وبلاد الشام خلال الحروب الصليبية (٤) .

---

(١) نفس مرجع الدكتور احمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضارة ص ٩٢ — ٩٣ .
(٢) نفس المرجع دراسات فى الحضارة ص ٩٤ — ٩٥ .
(٣) حسن عبد العال : التربية فى القرن الرابع الهجرى : دار الفكر العربى ص ٤٠ .
(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الاسلام والكون ١٢٠ — ١٢٥ .

ثانيا — الانســان :

قدس الاغريق قديما الانسان واعتبروه شيئا رائعا بل اروع ما فى الوجود ، ولهذا اطلق عليه سيد المخلوقات فى الارض ومن خلال هذا التقديس وذلك الاعجاب والروعة والسيادة صوره فى صور مختلفة منها . فارسا محاربا ، ورامى قرص ، وعاشقا ومتأملا ويرجع ذلك الى حبهم الشديد له وايمانهم به وبعظمته وسيادته على الارض (١) .

ولم يكتفوا بذلك بل جعلوه محور فكرهم المسرحى ونجد ذلك فيما كان يقال او يمثل من خلال المسرحيات التى اعدوها وأدوها على المسرح اليونانى فنجده فى مسرحياتهم فى صراع مع نفسه ومع غيره ومع الحياة وتارة فى نجاح مع الكون أو اخفاق معه . والديمقراطية التى وجدت هى بذاتها من أجله وتعبر عن احترامهم له (٢) .

لقد رفعهم كل هذا الى النظر الى الانســـان كشىء نـــادر مميـــزا فى الوجود وانه يختلف تماما عن الألهة والأرواح التى كانوا يعرفونهـــا فى ذلك الوقت . ولهذا قاموا بوضع النظريات فى الانسان المثالى (٣) .

الانسان المثالى فى نظر الاغريق هو الانسان الذى يقـــوم بتقليده الاخرون ويتطلب صفات انسانية وقوة فى الشخصية وفق نظرية وضعها الاغريق فيه ولهذا اتجه فلاسفة ومربون وشعراء الاغريق فى ايجاد الانسان المثالى عن طريق التربية (٤) .

والرومان بطبيعة الحال هم ورثة الاغريق الا أن نظريتهم للانسان كانت أقل فكان اهتمامهم نحو ايجاد الرجل المحارب القوى ، ولهذا كانت

---

(١) دكتور : محمد جواد رضا : العرب والتربية والحضارة : دراسة فى الفكر التربوى المقارن مكتبة المنهل : طبعة اولى ١٩٧٩ ص ١٠١ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠٣ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ١٠٤ .

فكرة البقاء للاصلح او للاقوى (١) ورغم هذه الفكرة وما فيها من اهدار لكرامة الضعفاء الا انه فى عهود النكسة الرومانية اصيبت الانسان بنوع من الظلم والاستبداد وتعرضت حياته وكرامته للزوال (٢) .

أما اليهود وكانوا جزءا من المجتمع الرومانى الا انهم كانوا فى عزلة بسبب ماديتهم ولهذا كان مفهوم الانســان عندهم مفهــوما ماديا يهدف الى ارضاء شهواته ونزواته والسعى وراء المادة بكافة الطرق والوسائل ولهذا فسدت حياته (٣) وابعدتهم عن مباهج الحياة وجمالها واغترضتهم مشاكل كثيرة امراض اجتماعية وعقد نفسية حولت حــياتهم الى جحيم لا يطاق واصيب مجتمعهم بتفكك فى روابطه الاجتماعية واهدرت كرامــة الانسان وضاعت حقوق الفقراء وتعرضوا للمهانة والاعتداء عليهم لاتفه الاسباب وصار ارجل لا يامن على نفسه واسرته (٤) .

ولهذا تطلع الانسان الى فجر جــديد ، فجاءت المسيحية بالمثالية الروحية . لقد جاءت المسيحية متممة لرسالة موسى عليه السلام حيث يقول السيد المسيح عليه السلام فى هذا الصدد « لم ارسل الا لخراف بيت اسرائيل الضالة » (٥) ويقول الاسلام مؤكدا لهذا القول حيث يقول الله عز وجل على لسان عيسى بن مريم « يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم » (٦) .

لم تصل هذه الدعوة الى قلوب الاسرائيليين ولم تمس نفوسهم بل تنكروا لها بجحود وعناد ونسبوا رسالة السيد المسيح الى الجن الاعظم الذى يستخف العقول وليس من عند الله عز وجل وتطاولوا عليه وعلى

---

(١) دكتور سعد موسى : تطور الفكر التربوى ص ١٢٥ .
(٢) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام ص ١٣٠ .
(٣) نفس المرجع السابق النصرانية والاسلام ص ١٣٥ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٥) العهد الجديد : انجيل متى / الاصحاح العاشر ٥ : ٦ .
(٦) مريم : ٩ .

شخصه الكريم ونسبه ورموه بأقبح الصفات وأعظم الرزايا (١) وسولت لهم أنفسهم أن يدبروا له مؤامرة لقتله أو صلبه ولقد أحس السيد المسيح بذلك فأخذ يتوعدهم قائلا « يا أورشليم ... يا اورشليم ... يا أورشليم ياقائله الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » (٢) .

جاءت المسيحية لتحفظ للانسان كرامته وتصفى نفسه من الشرور المفاسد ولتوجد سلاما دائما بينه وبين الاخرين ، ولتخلق ايضا مجتمعا نظيفا عفيفا طاهرا متماسكا (٣) حيث يقول السيد المسيح فى هذا الصدد « الله محبة » (٣) ويقول فى موضوع آخر « اذا ضربك احــد على خدك الايمن فاعدل خدك الايسر » (٤) .

الانسان فى نظر الكنيسة وارث لخطيئة أبيه ادم الذى هبط من السماء التى هى داره الحقيقية على الارض لهذا ارسل الله (ابنه) وصلبه ليخلص الانسانية من خطيئة ادم (٥) ويؤكد ذلك قول يوحنـــا الرســـول فى ذلك « كما رفع موسى الحيه هكذا ينبغى ان يرفع الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم ، والذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين لانه لم يــؤمن باســم ابن الله الوحيد » (٦) .

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة المسيح : دار الهلال : ص ١٢٥.
(٢) العهد الجديد : انجيل متى : الاصحاح السابع : ١٠ .
(٣) عفيفى عبد الفتاح طيارة : اليهود فى القرآن دار العلم للملايين بيروت : الطبعة الخامسة نوفمبر ١٩٧٧ ص ٧٣ — ٧٥ .
(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح التاسع عشر :
(٤) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح التاسع عشر :
(٥) د. عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام دار الفكر العربى ص ٩٠ .
(٦) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصحاح الثالث : ١٤ — ١٨ .

واذا امعنا النظر فى قول سقراط نجد ان نظرة الكنيسة والفلسفة الاغريقية قد تلاقت فى هذه النقطة كقول سقراط « الانسان لا يمكن أن يخلص من خطاياه الا اذا نزل احد الالهة ومات للتكفير عنها » (١) كما ان السيد المسيح حين اعتدى عليه بالحجارة من اليهود بسبب اعتقادهم بانه ادعى انه آلها وهو انسان قال لهم « أليس مكتوبا فى ناموسكم انا قلت انكم الهة » (٢) . وتسمية ابن الله ليست قاصرة على المسيح ذاته فانما اطلقها كل مؤمن بالله حيث قال المسيح : « طوبى لصانعى السلام لانهم ابناء الله يدعون » (٣) وهذه تسمية مجازية ولكن الكنيسة جعلت منها حقيقة وصار المسيح فى نظرها « ابن الله »(٤) .

اما علماء الاسلام فقد نظروا الى مصدرهم الاول وهو القرآن الكريم وفهموا ما فيه من اشارة الى النشأة الاولى .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان ليكون خليفة له فى الارض وقد ذكر الله اس ار الفترة السابقة قبل خلق آدم وتكوينه حيث قال « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » » (٥) .

وقال عز وجل ايضا « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » (٦) .

ومعنى ذلك أن الانسان قبل أن يخلق فى صورة آدم لم يكن شيئا ومن هذا يفهم أن لا صلة بين خلق الانسان والتكوينات الارضية السارية فى غيره من المخلوقات الاخرى (٧) .

---

(١) عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ص ٩٢ .

(٢) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصحاح العاشر : ٣١ — ٣٤ .

(٣) العهد الجديد : انجيل متى : ١/١ الاصحاح الخامس : ٣ .

(٤) دكتور / عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر : دار الفكر العربى طبعة أولى ٧٩ : ص ٩٣ .

(٥) الانسان : ١ .

(٦) مريم : ٩ .

(٧) حادى الارواح الى بلاد الافراح لابن قيم الجوزية قدم له واشرف على طبعه على السيد صبح المدنى — مطبعة المدنى : ص ٢٣ — ٢٤ — ٢٥ .

قال الله عز وجل فى موضع آخر من كتابه الحكيم « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » (١) وضحت هذه الآية الكريمة أنه كان قبل خلق الانسان خلق آخر ولكنه ليس انسانا . أنما الانسان كان خلقا جديدا فريدا غير متطور عن غيره فقد خلقه الله وسواه وصوره فى صورة جديدة على غير مثال سابق لها ، وأودع فيه من الخصائص ما ليس فى غيره من قية الخلق حتى ولا الملائكة وقد هيأه بهذه الخصائص ليكون خليفة الله فى الارض (٢) .

لقد هيأ الله للانسان وضعا خاصا فى الكون فالقرآن الكريم يقرر أن الانسان يحكم منزلته الروحية من الله هو محور الكون وأكرم المخلوقات وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكائنات جميعا على اختلاف أنواعها وأجناسها من اجله . (٣)

كما ان الطبيعة بحسب تقرير القرآن الكريم أن هى هبة من الله للانسان وقد سخر ظواهرها وجعلها مجالا لرغباته وطموحه حيث يقول عز وجل » ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون»(٤)

فالله الذى خلق الانسان وخلق الارض هو الذى اودع فيها من الخصائص ما يسمح بحياة هذا الجنس ، فقد جعلها مقرا صالحا لنشاته بجوها وتركيبها وحجمها وبعدها عن الشمس والقمر ودورانها حول الشمس وميلها على محورها وسرعة دورانها الى غير ذلك من الموافقات التى تسمح بحياة الانسان ، وقد أودع فيها من الأرزاق والاقوات ومن القوى والطاقات ما يسمح بقيام حياة للانسان ونمو هذه الحياة ورقيها . وهو الذى جعل هذا الانسان قادرا على تطويعها واستخدامها بما اودعه من خصائص واستعدادات

---

(١) الاعراف : ١١ .

(٢) دكتور احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية : دار لفكر العربى ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) نفس لمرجع دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) الاعراف : ١٠ .

للتعرف على نواميس هذا الكون وتسخيره فى حاجاته (١) .

ولقد جعل الله هذا المخلوق كريما عزيزا بين الخلق حين اسجد له الملائكة وطرد ابليس الذى ابى السجود اعترافا بفضل آدم وتفرده بين الخلق بخصائص ليس فى غيره حيث قال الله عز وجل مبينا ذلك الوضع « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » (٢) وقال الله عزوجل « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين (٣) » وحق الطرد لابليس من رحمة الله بعصيانه أمر الله واستكباره وكفره وعناده قال الله فى ذلك « قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين (٤) .

وتهيئة آدم لهذا الوضع فى الكون بأن سخر له كل الكائنات والكون ومظاهره حيث قال جل شأنه « وسخر لكم ما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » (٥) ـ

ولقد نظرت الملائكة فى المخلوقات التى سبقت آدم من حيث صراعها وسفكها للدماء وظنت من خلال علمها بخصائص هذه الكائنات ان اى مخلوق سيظهر على الارض لابد ان يكون له نفس الخصائص (٦) حيث قالوا حين سماعهم خطاب الله « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » .

ولم تكن الملائكة تعلم بان المخلوق الجديد سيفوقها علما واحاطة بما يدور حوله فى الكون لانها قارنت بين كونها مسبحة ومقدسة لله وبين

---

(١) دكتور احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية دار الفكر العربى ص ٩٢ — ٩٣ — ٩٤ — ٩٥ .
(٢) البقرة : ٣٠ .
(٣) البقرة : ٣٤ .
(٤) ص : ٧٧ — ٧٨ .
(٥) الجاثية : ١٣ .
(٦) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : ابن الجوزية مكتبة عاطف : ص ١٢ — ١٢٦ .

المخلوق الجديد الذى ظنت بأن له نفس الخصائص عند الكائنات الاخرى من سفك الدماء وفساد فى الارض ولكن سرعان ما تغيرت نظرة الملائكة حين تبين عجزها امام مقدرة هذا المخلوق فى علمه الذى علمه اياه الله (١).

وفى هذه اللحظة سلمت لادم واعترفت بفضله عليها وتغيرت نظرتها فيه وفى هذه الأثناء خرج من دائرة الاعتراف بالحق المعاند الاكبر ابليس فطرده الله من رحمته وانظره الى يــوم البعث بعد ان عصى الحق فى مواجهة الحق وكان لابد من يتحقق قول الله فى آدم « انى جاعل فى الارض خليفة » فادخل آدم الجنة حيث قال « اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٢) .

وبهذا اكتملت لادم المتعة والنعيم الكامل . وكلمة اسكن معناها السكون المؤقت لان الحق فى بداية الخلق لادم قال « انى جاعل فى الارض خليفة » .

وبهذا كان اسكانه فى الجنة فتــرة موقــوتة (٣) يتدرب فيها آدم ويستكشف مواهبه ويعرف عدوه ويدرك اخطر مواقفه .

فالانسان على تفرده — ضعيف فى بعض جوانب تكوينه ومن مواطن الضعف هذه يمكن أصابته ويمكن الدخول اليه . لان له شهوات ومن شهواته أن يقاد . وان أقوى رغائب الانسان أنه يحب أن يكون خالدا لا يموت ويحب ان يكون له ملك غير محدود بالعمر القصير وكان هذا طريق ابليس اليه (٤) .

لقد تحركت نفسه بالخلود فى الجنة وهذا موضع لا خلود فيه الان وحذره الله وهو خالقه ويعرف تكوينه العقلى والنفسى والوجدانى من

---

(١) نفس المرجع لابن قيم الجوزية ص ١٣١ — ١٣٢ .
(٢) البقرة : ٣٥ .
(٣) نفس المرجع لابن قيم اجلوزية ص ١٣٤ — ١٣٥ .
(٤) دكتور احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية دار الفكر العربى ص ١٠٧ — ١٠٨ .

الشجرة اختيار له لم يذكر القرآن نوع الشجرة هذه وانما هى ترمز للمحظور، فلابد من محظور يتعلم فيه الانسان كيف يمكنه أن يكبح جماح شهواته ويستعلى على رغباته (١) .

وكان دور ابليس هنا هو تحريك نفس ادم بالخلود فى الجنة وزين له ان الشجرة هى أحد اسباب الخلود فعصى آدم ربه بالاكل منها . ولكن عصيانه لم يكن فى مواجهة الخطاب كما فعل ابليس وانما عصيانه بعد الامر فقد استجاب اولا ، ولكن ابليس قد زين له تلك المخالفة التى قادة اليها باثارة رغائبه وشهواته (٢) حيث قال الحق سبحانه وتعالى « فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يحصفان عليهما من ورق الجنة » (٣) .

وحين ظهور السوءة لادم وحواء اتضح ان ابليس قد أوقعهما فى المحظور وهنا تمت التجربة وتكشفت للانسان خصائصه وعرفها وذاقها وبذلك استعد لمزاولة اختصاصه فى الخلافة وللدخول فى المعركة التى لا تهدأ ابدا مع عدوه المتربص به الساعى لافساد حياته وتعطيل رسالته وهنا صدر الأمر الآلهى حيث قال الله عز وجل « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » (٤) وقال ايضا « فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » (٥) .

وهناك عدة تساؤلات بالنسبة للجنة التى كان فيها آدم . هل هذه الجنة فى السماء ام فى الارض ؟ اما اصحاب الرأى القائلين بان الجنة التى كان فيها آدم فى الارض فاستندوا على دليل واضح وهو ان معنى الهبوط الانتقال من مكان لاخر كما فى قول الله عز وجل « اهبطوا مصرا » وهذا

---

(١) الامام الجليل الحافظ ابى عبدالله بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ٦٩١ — ٨٥١ حادى الارواح الى بلاد الافراح : مطبعة المدنى ص ٣٣ — ٣٤ .
(٢) الاعراف : ٢٢ .
(٣) الاعراف : ٢٤ .
(٤) الاعراف : ٢٥ .
(٥) الحجر : ٣٥ .

الرأى يعارض أصحاب الرأى الآخر الذى يقول ان الجنة فى السماء ويكون دليلا آخر على أن جنة آدم ليست فى الأرض .

بأن آدم خلقه ربه من الارض وجعله خليفة فى الارض ، وان ابليس وسوس له فى المكان الذى اسكنه فيه بعد ان اهبطه من السماء بامتناعه بالسجود لادم وانه أخبر ملائكته بأنه جاعل فى الارض خليفة وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكليف وانه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذب وأن من دخلها لا يخرج منها كقول الله عز وجل « وما هم منها بمخرجين »(١) ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا يتألم والله حرمها على الكافرين وابليس رأس الكفر (٢) .

ونقول سواء كانت الجنة فى السماء أو فى الارض فان الله قد اخرج ادم منها الى الارض وكان لابد ان يعرف ادم الفرق بين الجنة والارض وما فى كل منهما من متعة وكد وكدح ، فيعود الى صوابه ويتوب الى ربه وكان لابد ان يتلقى من ربه كلمات حتى يعود الى الحق حيث قال تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » (٣) .

عرف المسلمون الاوائل كل هذه الحقائق السالفة الذكر فانعكست هذه المعرفة على اعمالهم وبدات نهضة اسلامية كبرى نتيجة هذه لمعرفة الاصلية وهى الخلافة التى تقتضى حمل الامانة العظيمة ، وهى كلام الله الذى انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوصيل هذه الامانة الى كافة البشر فى الارض والقضـــاء على عبادة الاوثان والشــمس والقمر والحيوان والنبات والكواكب والرقى بالعقل الانسانى وتطوير سبل الحياة ومن هذه لابد أن يتغير المجتمع القبلى الى مجتمع آخر جديد يعرف معنى

---

(١) الحجر : ٤٣ .

(٢) الامام الجليل الحافظ ابى عبدالله محمد بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ٦٩١ — ٧٥١ : حادى الارواح الى بلاد الافراح مطبعة المدنى ص ٣٥ — ٣٦ — ٣٧ .

(٣) البقرة : ٣٧ .

الخلافة وهذا ما حدث فعلا (١) .

ولن يتمكن الانسان من القيام بتتبعات الخلافة فى الارض ما لم يخلق الانسان فى نفسه ووجدانه معنى العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى (٢).

« العبودية أن يسلم المرء نفسه لله ويتوجه بكل مشاعره نحو ربه سبحانه وتعالى (٣) واعترافا منه بأن الذات الالهية هى الحقيقة المطلقة الوحيدة (٤) .

وحين يثور الانسان على العبودية لله ويرفضها ولا يؤمن بها فان ثورته تكون على حساب حريته وحياته واسباب طمأنينته فى يومه وغده وحين يتقبل المؤمن هذه العبودية تتوفر له كل أسباب المتعة والراحة (٥).

ورسالة الانسان المسلم فى حياته نشر الحق والعدل والخير ولا يمكن أن يفعل ذلك الا اذا وجدت فى نفسه صورة صادقة كاملة لهذا الحق والعدل والخير الذى يسعى لنشره (٦) ولطالما نبه الخالق سبحانه وتعالى الذين يقولون ما لا يفعلون بأنهم منبذون حيث قال « كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » (٧) .

وحرية الانسان فى الاختيار لحياته وسلوكه انما تعتمد على عقله وقلبه وهما اغلى شىء لدى الانسان والله سبحانه وتعالى انما يخاطب فيه

---

(١) محمد عزت اسماعيل : النص انية والاسلام ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى دار الفكر العربى / ٤٢ .

(٣) وحيد الدين خان وحكمة الدين تفسير عناص الاسلام ومقتضياته/ ترجمة ظفر الاسلام الطبعة الاولى : المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٣ ص ٣٣ .

(٤) وائل عثمان : حزب الله فى مواجهة حزب الشيطان الطبعة الثانية مكتب نهضة مصر ٧٥ ص ١٩ .

(٥) حسن عبد العال : (المرجع السابق) ص ٤٣ .

(٦) حسن عبد العال : (المرجع السابق) ص ٤٧ .

(٧) الصف : ٢ .

ذلك ولا يخاطب فيه بطنه أو جســـده (١) .

« واذا خوطب فى الانسان قلبه وعقله فلابد ان يكون الكون الفسيح المحيط بالانسان هو طريق الانسـان الى الله تفكرا فى خالقه سبحانه وتعالى ودعوة الى اكتشـــاف اسراره (٢) .

ولم يكن غريبا فى ذلك أن يأمر الله سبحانه وتعالى بالقراءة فى بداية الدعوة الاسلامية وهذا هو التغير الجذرى الذى احدثه الاسلام فى الانسانية كلها ولهذا تحولت الى انسانية عاقلة واعية لها حضارة مشرقة (٣) حيث يقول الله عز وجل « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق — اقرأ وبك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » (٤) .

ثالثا — المجتمع :

انقسم المجتمع الرومانى الى عدة طبقات باعدت بينها عدة فواصل اجتماعية نتيجة النواحى السياسية والاقتصادية التى مرت على الدولة الرومانية خلال عصورها المختلفة (٥) .

فاولى تلك الطبقات طبقة الاثرياء التى حظيت بمنزلة كبيرة فى الدولة الرومانية فهى قد نالت حق المواطنة الرومانية بالدراسة وهم فئة مهذبة ولهم الحق فى عقد قران رسمى مشروع وانجاب ذرية شرعية والتصرف فى ممتلكاتهم بموجب وصية قانونية ولهم حق الانتقال من مكان لاخر حسب ما يرغبون (٦) .

---

(١) عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والايديولوجيا المعاصرة دار الفكر العربى ص ٨٤ .

(٢) المرجع اسلابق لحسن عبد العال — ص ٤٤ .

(٣) المرجع السابق لحسن عبد العال — ص ٤٥ .

(٤) العلق : ١ — ٥ .

(٥) م — تشارلز وورت : الامبراطورية الرومانية — الالف كتاب (٣٦٠) ترجمة رمزى عبده جرجس وراجعه دكتور محمد صقر : دار الفكر العربى ص ٦٣ .

(٦) نفس المرجع السابق ص ٦٤ — ٦٥ .

وكان لهم الحق فى الوصول الى كراسى الحكم او احتلال مراكز بارزة سواء فى الجيش أو فى السياسة (١) وهى ملزمة ببعض الخدمات العامة كتمويل الفرق المسرحية فى الأعياد وتجهيز السفن الحربية للدولة .

وان حقوق المواطنة ليست من حق أغلبية الشعب الرومانى أو الشعوب التابعة لها وقد تعطى منحة من الامبراطور نفسه لمن يرغب لبعض رعاياه وبهذا الحق صارت المواطنة اما وراثة أو منحة من الامبراطو (٢) .

أما الطبقة الثانية وهى طبقة الفلاحين أو عمال المصانع والموانى فى الدولة الرومانية أو الاقاليم التابعة لها فهم يملكون جزءا قليلا من المال وقد يتعرضون لعمليات الأستغلال المنظم فى الدولة فيلجئون الى التهديد بترك أراضيهم أو أعمالهم ويعنى ذلك بانه أضراب عام ضد سياسة الدولة الرومانية ولذلك نجد عدة منشورات تدعو الى عودة الفلاحين لاراضيهم (٣)

ونظام الزام الفلاحين المجاورين للارض التى تركها اصحابها من القسوة لدرجة أن هؤلاء قرروا الهجرة من الارضى الزراعية الى الجبال (٤) وأيضا الاموال التى تجبى على هيئة ضرائب مفروضة عليهم مما حولت هذه الطبقة مع مرور الوقت الى طبقة عبيد للارض الزراعية (٥) .

والطبقة الثالثة هى طبقة العبيد المغلوبة على أمرها والتى تمثل

---

(١) هـ : ايدرس بل وترجمة دكتور عبد اللطيف احمد على مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى : دار النهضة العربية — ١٩٧٣ : ص ١١٦ — ١١٧ .

(٢) نفس المرجع السابق : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى ص ١١٨ .

(٣) نفس المرجع السابق : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى ص ١١٩ .

(٤) دكتور » سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا فى العصور الوسطى الطبعة الاولى ١٩٥٨ .
مكتبة النهضة المصرية ص ١ ، ص ٩ ص ١٢ .

(٥) نفس المرجع السابق اوربا فى العصور الوسطى ص ١٥ .

اغلبية سكان الدولة الرومانية وقد أغمط القانون الرومانى حقوق هذه الطبقة وقد منح الاحرار حرية شرائهم أو اهدائهم وأجاز لهم التصرف فى حياتهم حسب ما يرون وما يشتهون فأسرفوا فى سوء معاملتهم حتى جعلوا حياتهم لتسلية شاذة خالية من أى نوع من أنواع العاطفة الانسانية (١) .

فكانوا يلقون بهم فى ملاعب روما ليتصارعوا حتى الموت أو ليصارعوا الوحوش الضارية وهم محرومون من كل سلاح ليشهدوا صراعا دمويا بين الانسان الاعزل والوحوش المفترسة الجائعة (٢) .

وانعدمت الروابط العاطفية بين الاحرار والعبيد فالعبد لا يحظى بنظرة عطف أو رحمة من سيدة ولا يتيح له السيد فرصة الحياة الانسانية الكريمة بل يشتد عليه قسوة وعذابا معتقدا بأنه قد خلق لهذه الحيـــاة الوضعية بينما يسعى العبد لارضاء سيده أما خوفا أو رهبة أو عجزا على حساب كرامته وانسانيته (٣) .

ولقد ظل هذا الوضع الاجتماعى على ما هو عليه مادامت الدولة الرومانية فى أوج عظمتها ولقد ضاق العبيد بهذه الحياة وأرادوا أن يفكوا قيودهم ويحطموا الاغلال التى وضعت فى أيديهم فأشعلوا الثورة على روما وعلى اشرافها وقوانينها ليبغوا من وراء ذلك تحطيم كبريائها وغرورها وسارعت روما للقضاء عليها وخنق أنفاسها لاعادة الحياة فى روما (٤) .

وهناك طبقة رابعة ظهرت أثناء الحروب الرومانية وهى الطبقة العسكرية التى قبضت على تقاليد الحكم بسبب ما تملكه من قوة عسكرية ومع مرور الوقت تحولت هذه الطبقة الى طبقة ارستقراطية لها مجدها الحربى الذى كسبته من خلال انتصاراتها الحربية التى خاضتها مع الدول المجاورة كما صارت غنية بما استولت عليه من الأسلاب والغنائم (٥) .

---

(١) نفس المرجع السابق اوربا فى العصور الوسطى ص ١٦ — ١٧ .
(٢) سعد مرسى احمد : تطور الفكر التربوى عالم الكتب بالقاهرة ص ١٥٠ .
(٣) نفس المرجع تطور الفكر التربوى ص ١٥٢ .
(٤) دكتور : عبد اللطيف احمد على : تاريخ روما : دار النهضة ص ٩٢ .
(٥) نفس المرجع اسابق تاريخ روما ص ١٠٩ — ١١٠ .

وارادت الدولة الرومانيـــة أن تخفف من القيـــود التى نفرت بعض الطبقات فى المجتمع بأن اصدرت عدة قوانين خاصة بوضع طبقة العبيد ومن أهمها انه من حق السيد أن يعتق عبيده ويمنحهم الحرية وأن هؤلاء المعتقين يكتسبون الجنسية الرومانية وكذلك أولادهم (١) .

وأيضا قانون يوليوس الذى نظم الزواج بين الطبقات ويتضمن هذا القانون عدة مبادىء رئيسية ومن اهمها : رفع القيود عن الزواج وتفضيل المنجبين للاطفال على غيرهم فى الوراثة والتوريث وفى شغل الوظائف العامة كما حدد سن الزواج الالزامى على الرجال والنساء بأن تتراوح اعمارهم ما بين خمسة وعشرين عاما الى ستين عاما وجزاء من يخالف ذلك حرمانه من الميراث وحرمان المرأة العانس اذا بلغت الخمسين من ميراثها وقد شجع هذا القانون الطبقات على الزواج كما انه ساعد الطبقة الارستقراطية على تكوين عائلات (٢) .

وقد رمت الدولة الرومانية شعوبها بجباة ضرائب صبواجام غضبهم على من لا يدفع الضرائب المقررة عليهم واذاقوا الشـــعوب الخاضـــعة لسلطاتهم ألوانا من الذل والعذاب واصبحت الحكومات مجرد آلات أعدت لجمع الضرائب من فقراء بؤساء سلبوا عقولهم وأرواحهم (٣) .

الثروة المادية فى الدولة الرومانية لم توزع توزيعا عادلا ولم يحتق لافراد المجتمع شيئا من العدالة الاجتماعية وانما اعيرقت الدولة على مقربيها ومنافقيها من الأسلاب والعقارات وأقطعتهم الأراضى الزراعية (٤) .

ووسط هذه الطبقات فى المجتمع الرومانى وجدت جماعات اليهود منبوذة من الرومان منعزلة عن الحياة تتصارع فيما بينها عنصريا وسياسيا منقسمة

---

(١) دكتور : عبد اللطيف احمد على : الامبراطورية الرومانية مكتبة كوسية تيه اخوان بيروت ، طبعة ١٩٧٤ — ص ١٢١ .

(٢) نفس المرجع ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٣) دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا فى العصور الوسطى طبعة اولى ١٩٥٨ ، مكتبة النهضة المصرية جا ص ١٦٥ .

(٤) نفس المرجع اوربا فى العصور الوسطى ص ١٧٠ .

الى عدة طوائف منها : يهوذا والسامريون والصوفيون والفريسيون (١).

وقد عاشت تلك الجماعات حياتها مفككة الروابط الاجتماعية منعزلة عن المجتمع الرومانى ومع ذلك كانت متعالية عليه مما أدى الى غضب الدولة عليهم فتحرشوا بهم فى مواقف مختلفة (٢) .

لقد اسرف اليهود فى حرصهم على المادة والسعى وراءها واسترخصوا كل كرامة وشرف فى سبيل زيادة أموالهم حتى ان السيد المسيح عليه السلام خيرهم بين عبادة الله او عبادة المادة فقال لهم « لا تقيدوا بين الله والمادة » (٣) وقد ظنوا بفعلهم هذا أن سيكون لهم وضع أجتماعى مختلف عن سائر الطوائف فى المجتمع الرومانى وقد ملأ الغرور قلوبهم وعقولهم حين أعتقدوا انهم شعب الله المختار (٤) .

هذه المادية اشعلت فى حياة اليهود الحقد والبغضاء على المجتمع كله فان الرومانيين ساموهم من جراء هذا سوء العذاب وكدروا عليهم صفو الحياة فصاروا فى عزلة وفى ذلة مشردين فى الارض ولم تسلم الدولة الرومانية من دسائسهم وكيدهم (٥) .

وجاءت المسيحية متممة لليهودية ولذا جاء عيسى بن مريم ليحارب فى اتجاهين هامين هما المادية المتأصلة فى نفوس بنى اسرائيل ودعواهم بأنهم شعب الله المختار (٦) .

ومن هذين المنطلقين تعرض المسيح للايذاء منهم ولم يتبعه أحد من اليهود الا الضعفاء . كما ان المسيحية لم تأت بشىء جديد للمجتمع ورغم ما لديها من فلسفة عن الرحمة والعطف والسلام والمحبة لم تر فى نظام

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة المسيح : دار الهلال : ص ١٥٠ .
(٢) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام : ص ١٦٠ .
(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح العاشر : ١٥ .
(٤) عباس محمود العقاد : حياة المسيح : دار الهلال : ص ١٥١ .
(٥) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام ص ١٩٧ .
(٦) دكتور / عبد الغنى عبور : العقيدة الاسلامية دار الفكر العربى ص ٩٣ .

الرق ما يجرح منطق العدالة الاجتماعية بل باركت وبشرت بطاعة العبيد للسـادة (١) .

أدت مبادىء المسيحية وفضائلها الى اعجاب الناس بها وأعتناقها وكان لهذا صداه لدى الرومان واليهود فتعرضوا لهذه الدعوة واتباعها بأشد العذاب والتنكيل بهم حتى لقد تسلى الرومان بالمسيحين فى ملاعب روما حين كانت ترمى بهم امام الوحوش المفترسة ، وهى بهذا تريد التخلص منهم خوفا على زوال دولتها ، ويرجع بعض المؤرخين سبب هذا الاضطهاد الى سوء فهم الرومان وأباطرتهم لدعوة السيد المسيح فقد اعتقدوا بأن المسيحية وتعاليهما الجديدة امتداد لليهودية التى عرفوا عنها التعصب البغيض للنفس والحقد والجشع وبهذا أثارت لديهم الغضب رغم ما عرف عن الرومان من تسامح دينى قديم (٢) .

ابتليت المسيحية ببعض اباطرة كانوا غلاظ القلوب اشداء على معتنقى المسيحية ولقد لعبوا دورا هاما فى معارضتهم لتعاليم المسيحية الروحية والخلقية وهاجموها مهاجمة شديدة وأهم هؤلاء الاباطرة :

نيرون الذى كان أشدهم قسوة على المسيحين وأشدهم عدواة لهم فقد لاقوا منه العناء والعداء والتعذيب والقتل والصلب وقد أحرق روما وألصق بهم تهمة احراقها فحاكم الكثيرين منهم بهذه التهمة واستمر نيرون أربعة سنوات يصب غضبه على المسيحين ويلتمس لهم الأخطاء والتهم حتى يذيقهم أشد الوان العذاب ومنها رميهم للوحوش الكاسرة وصلب بعضهم ودهن أفراد منهم بالزيوت وأشعال النار فيهم وهو يتلذذ ويتمتع بالنظر اليهم أثناء هذا التعذيب ويرسل ضحكاته وسط صراخات آلامهم وكأنه بذلك يريد أن يشبع شهوات نفسه الوحشية ويذكر بعض المؤرخين ان نيرون كـان يستخدم أجساد المسيحين كمشـاعل تنير طريقه أثنـاء سيره الى مقر حكمـه (٣) .

---

(١) دكتور / احمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضارة الاسلامية دار الفكر العربى ص ١٣٢ .

(٢) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام ص ٢٩٧ .

(٣) احمد شلبى : مقارنة الأديان كتاب المسيحية ص ٦٥ .

وكان تراجان يتربص بالمسيحين الدوائر ويترصد لهم فى كل مكــان ويرسل العيون لمتابعتهم واكتشاف أمرهم وما يكون من اقوالهم وافعــالهم وحركاتهم ليصرفهم عن دينهم ويبعدهم عن صلاتهم فاذا عثر على احدهم يؤدى طقوس عباداته ومراسيمه الدينية يقبض عليه يزج به فى غياهب السجون وينزل به أشد العذاب وكان قصده من كل هذا أن يصرفهم عن ديانتهم ويحولهم الى الوثنية التى ارتضاها لنفسه ولشعبه فمنهم من أرتد عن دينه عن خوف منه ونمهم من فر هاربا ومنهم من ضحى بروحه فى سبيل بقــائه على دينــه (١) .

جاء دسيوس اشد الاباطرة عداوة للمسيحية والمسيحيين ، فقد كان يبعدهم عن المناصب الكبرى للدولة مهما كان لديهم من قدرات ومواهب وخبرات قد تنفع الدولة والادهى من ذلك انه اجبر المسيحين على تقديم القرابين للآلهة الرومانية والذبائح لتماثيل الامباطور فان رفضوا قدموهم قربانا للآلهة وقد سقط فى عهده عدد كبير منهم وفر بجلده كل مسيحى قادر على الفرار الى الجبال (٢) .

وقد ساهم دقلديانيوس بنصيب وافر فى تعذيب المسيحين وخصوصا المصريين منهم وبعد فترة من توليته الحكم ظن المصريون انهم قد تخلصوا من ظلم الرومان فأستقلوا عن روما واختاروا مصريا ليكون حاكما عليهم ولكن امتدت يد دقلديانيوس الى ولاية مصر فأرسل لها جيشا دمر به حصونها وهدم كنائسها واحرق كل الكتب بها وقبض على اساقفة الكنائس وزج بهم فى سجون مظلمة وقد سجل مؤرخو المسيحية فى مصر عدد القتلى فى هذه الفترة بما يقــرب عن ١٣٠٫٠٠٠ مصرى نتيجــة الاحــداث التى مرت عليها (٣).

---

(١) محمد أبو زهرة : حاضرات فى النصرانية : دار الفكر العربى ص ٣٥ .

(٢) محمد بو زهرة : محاضرات فى النصرانية : دار الفكر العربى ص ٤٠ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا فى العصور الوسطى جا : النهضة المصرية .

وجد قسطنطين دولته فى حالة انهيار وزوال فأعترف بالمسيحية كدين من ديانات الدولة الرومانية وأعتبره عصره فاتحة خير للمسيحية والمسيحين .. ثم جاء أتباعه من بعده فأصدروا أوامر وقوانين لاغلاق هياكل الوثنية فى الدولة ووصل بهم الامر الى قتل كل من خالف تعاليم المسيحية رغم أن هذا يتنافى مع ما جاء به المسيح من محبة وسلام (١).

ولما استتب الامر للمسيحية والمسيحين واستقر لهم الحال واطمأنوا من ناحية الاباطرة الرومان بأعترافهم بالمسيحية بدات انظارهم تتطلع الى ما هو اكثر من ذلك وهو نشر تعاليم المسيح فيما جاورهم ولذا قاموا بالتبشير بهذه الديانة الجديدة فى قارة أوربا (٢) .

ولقد تحمل المبشرون كثيرا من الجهد والمتاعب والمصاعب وواجهوا المشاكل فى سبيل تهذيب هذه الشعوب الاوربية البربرية — فى ذلك الوقت ظهرت فى العالم الاوربى كنيستان أحداهما فى الشرق ومقرها فى القسطنطينية والاخرى فى الغرب ومقرها روما (٣) .

هذا هو المجتمع الرومانى بما فيه من طوائف دينية سواء كانت اليهودية أو المسيحة أما المجتمع الاسلامى فانه قبل الحديث عنه يجب أن تلقى نظرة على المجتمع فى شبه الجزيرة العربية لنعرف مدى التغيرات التى احدثها الاسلام فى هذا المجتمع .

فرضت الطبيعة الجغرافية على مجتمع الجزيرة العربية نوعا من الحياة الاجتماعية الخاصة . ففى هذه البلاد لا يمكن أن تقوم مجتمعات كبيرة مندمجة لانها ذات طابع صحراوى وقليلة الموارد والواحات والعيون التى توجد متناثرة بين مساحات الصحارى الواسعة (٤) وفى هذه الواحات وحول العيون والآبار ، كان النمط القبلى طابع حياتهم الاجتماعية وحتى

---

(١) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام ص ١٩٣ .
(٢) نفس المرجع النصرانية والاسلام ص ١٩٤ .
(٣) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام : ص ١٩٨ .
(٤) دكتور احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول دار الفكر العربى : الطبعة الثانية ص ٢٤ .

المناطق التى ساعدت ظروفها على قيام نوع من الحياة المستقرة قد غلب عليها الطابع القبلى (١) .

والقبيلة هى جمـاعة من الناس جمعت بينهم أواصر القرابـة أو المصلحة المشتركة وكان المجتمع القبلى ينقسم طبقات اجتماعية تفصل بينها حدود واضحة ومجتمع القبيلة ذو ثـلاث طبقات هى طبقة العرب الصرحاء وهم أبناء القبيلة الذين ينتمون اليها عـ نطريق النسب وهم أصل بنيتها ولذلك كانت لهم حقوق واضحة وعليهم كذلك واجبات متكافئة لهذه الحقــوق (٢) .

وحقوقهم على القبيلة هى أن تحمى القبيلة أبنها سواء كان حيا أو ميتا فأما حمايته حيا فهو الدفاع عنه بالوقوف الى جانبه ظالما أو مظلوما وكان شعارهم فى ذلك انصر أخاك ظالما أو مظلوما « فهم مستعدون للوقوف معه على اى حال كما قال الشاعر العربى ..

لا يسـألون اخـاهم حين يندبهـم
للنائبـات على ما قال بـرهانـا

أما حمايته ميتا فانها تأخذ بثأره اذا قتل ولا يجعل دمه يضيع هدرا ..
ومن أهم حقوق الصريح حق الاجارة وهى أبرز حقوق المواطنة فى القبيلة فكل واحد من ابناء القبيلة الصرحاء رجلا كان أو امرأة كبيرا أو صغيرا يستطيع ا نيسبغ حمايته على أى شخص وتلتزم القبيلة بهذه الحماية وهذا يعنى انه يستطيع أن يدخل على القبيلة شخصا من غير ابنائها ويحملها تبعة حمايته والدفاع عنه وهذا الحق الان ليس من الافراد فى مجتمعنا الحديث وانما منحق رئيس الدولة بمنح حق اللجوء السياسى لاى فرد من الافراد (٣) .

ومن حق الصريح أن ينافس للوصول الى الرياسة وأن يكون له

---

(١) نفس المرجع السابق مكة والمدينة ص ٢٥ — ٢٦ .
(٢) نفس المرجع السابق مكة والمدينة ص ٢٧ .
(٣) راجع كتاب / مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول للدكتور احمد ابراهيم الشريف دار الفكر العربى من ص ٣٠ — ٣٢ .

شخصية محترمة فى القبيلة مساوية لغيره من ابنائها ولقاء هذا عليه أن يفنى نفسه فى ذات القبيلة فلا يرى لنفسه كيانا مستقلا عن كيانها فهو لها بنفسه وماله وأبنائه . وكل مواهبه موجهة لخدمة القبيلة (١) .

اما طبقة الرقيق فقد كانت موجودة فى كل المجتمع الانسانى ويقوم على نظام الرق الحياة الاقتصادية للمجتمع وليس من السهل الغاء هذا النظام مرة واحـــدة ولذلك تدرج الاســـلام فى الغائه تدرجا يكفل القضاء عليه . والمصدر الاساسى للرق هو الحرب بين الجماعات والامم (٢) .

وكانت الامم تسترق أسراها فى اى حرب فألغى الاسلام استرقاق المسلم أو سبى نسائه أو بنيه فى أى حـــرب تقع بين المسلمين كما أنه لا يجوز استرقاق مواطن حر فى المجتمع الاسلامى لاى سبب من الاسباب.

اما الاسرى من الامم الاخـــرى التى تحـــارب الاسلام فقد خير الله سبحانه خليفة المسلمين بين واحدة من اثنتين بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة للاسلام وهذا بنص صريح فى القرآن الكريم حيث يقول عز وجل « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (٣) . وبهذا النص قد قطع الاسلام المنبع الاساسى للرق . أما فى خارج العالم الاسلامى فهناك دول وامم تحارب بعضها وتسترق أسراها واصبح للرقيق أسواق عالمية وكان على الاسلام ما ان يمنع دخول الرقيق الى بلاده وبهذا يحرم العبيد حق المعاملة الانسانية وأما أن يسمح له بالدخـــول (٤) .

وقد أقر الاسلام الناحية الثانية فسمح لهم المسلمون بالدخول فى بلادهم رحمة بهم ليلقوا حسن المعاملة فقد جعلهم الاسلام أخوة قد وضعهم

---

(١) راجع كتاب مكة والمدينة فى عهد الجاهلية والرسول ص ٣٣ — ٣٤.
(٢) راجع كتاب : دراسات فى الحضارة الاسلامية للدكتور ابراهيم الشريف ص ٨٧ — ٨٨ .
(٣) سورة محمـــد : ٤ .
(٤) راجع كتاب دراسات فى الحضارة الاسلامية للدكتور احمـــد الشريف ص ٩٠ — ١٠٠ .

الله فى أيدى المسلمين وعليهم أن يحسنوا معاملتهم ولا يكلفوهم عملا يشق عليهم (١) وقد حبب الله من ناحية اخرى العتق وأدخله فى باب الكفارات والمثوبات وجعل من حق العبد مكاتبة سيده على حريته لقاء عمل أو جزء من المال وبهذا فتح باب الحرية ، وليكون العبد مساويا لغيره من أفراد المجتمع كما فرض الاسلام على المسلمين الاحسان الى الرقيق كالاحسان لذوى القربى حيث يقول عز وجل « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وأبن السبيل وما ملكت ايمانكم » (٢) .

اما الجوارى فقد حض الاسلام السادة على الزواج منهن ومعاشرتهن فاذا حملت الجارية نالت حريتها بطريقة سليمة العواقب اذ تصبح اما لولد وترتبط بأسرة ويكون لها رب أسرة يحميها ووليدها حر حيث يقول الله عز وجل « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن واتواهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخذان » (٣) .

وقد قضى الاسلام على نظام الطبقات ولم تعد هناك طبقة تتمايز على الاخرى . وحين خرج الاسلام الى المجال الخارجى عمل المسلمون على تنفيذ مبادئه من الوجهة العملية فأزالوا من البلاد المفتوحة نظام الطبقات فلم يعد هناك طبقة نبلاء وطبقة عامة وطبقة رقيق بمعناها القديم وانما صار مجتمعا واحدا افراده من حيث المبدأ متساوون وهذا اكبر تغير اجتماعى شهده العالم (٤) .

واذا اعتبر العرب الشعوب المفتوحة قد ارتبطت بهم بصفة الولاء فان معنى ذلك انها ارتبطت بهم أرتباط تعاون وتآزر . واذا كان العرب

---

(١) انظر كتاب الحضارة الاسلامية للدكتور احمد ابراهيم الشريف ص ٩٨ .

(٢) النســـاء : ٣٦ .

(٣) النســـاء : ٢٥ .

(٤) انظر كتاب دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٢٠ ...

قد أعتبروا انفسهم الاصل والاخرون ينتمون اليهم فسموهم الموالى لذلك فليس معنى ذلك أن الاسلام قد أقر تميزا للعرب على غيرهم وأنما التمييز فى المجتمع نظريا وعمليا كان الكفاية فى اتباع منهج الاسلام عبادة وسلوكا وخدمة للمسلمين تنفيذا لفهوم الاية القرآنية الشريفة « ان اكرمكم عند الله أتقاكم ».

واكبر دليل على ذلك قيادة العرب للمجتمع الاسلامى لم تزد على اكثر من مائة عام ثم تلاهم الفرس ثم الاتراك بمعنى ان كل شعب يظهر كفاية وكفاءة فى حماية الاسلام والنهوض به يستطيع التصدر والقيادة (١).

وللمجتمع الذى أقامه الاسلام آدابه وقيمه وأخلاقه فهو مجتمع تربطه رابطة قوية واحده هى العقيدة فلا تمايز بالجنس ولا اللون ولا القوم وانما الاخوة كما حددها الاسلام بقول الله عز وجل « انما المؤمنون اخوة » (٢) والاسلام يطالب برد التحية أو أحسن منها لقوله تعالى « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها » (٣) ويحذر من الافتخار والاختيال لقوله « ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » (٤) .

ويفرض التسامح والدفع بالتى هى أحسن لتتحسن العلاقات بين أفراد المجتمع كقوله « ادفع بالتى هى احسن فانا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٥) ويحذر من السخرية بالناس كقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون » (٦) .

---

(١) انظر كتاب مكة والمدينة فى العصر الجاهلى وعهد الرسول ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) الحجرات ١٠ .

(٣) النساء : ٨٦ .

(٤) لقمان : ٨٦ .

(٥) اللسان : ١٨ .

(٦) فصلت : ٣٤ .

ويحرم الغيبة بين افراد المجتمع كقوله تعالى « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وأتقوا الله ان الله تواب رحيـــم » (١) .

وكذلك يحرم أن يؤخذ الامور بالظن السيء كما حرم التجسس على الاخرين حيث يقول عز وجل « يا أيها الذين آمنوا أجتنبوا كثيرا من الظن ان بعد الظن اثم ولا تجسسوا » (٢) .

وبالجملة فان « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله (٣) فالمجتمع الاسلامى مجتمع نظيف لا تشيع فيه الفاحشـــة ولا تنطلق فيه الشهوات وانما تحكمه قواعد وقوانين وسلوك من عند الله كقوله عز وجل « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون » (٤) . فهو مجتمع سليم عفيف آمن ساكن ترف عليه أجنحة السلم والطهر والامان » (٥) وهو مجتمع قوى متعاطف يكفل لكل قادر أمين عملا شريفا ولكل عاجز عيشا كريما ولكل راغب فى العفة زوجة صالحة » (٦) . وهو مجتمع تكفل فيه الحريات والامان للناس واموالهم وهو مجتمع يقوم على الشـــورى والنصـــح والتعاون والمســـاواة العدالة الاجتماعية » (٧) .

---

(١) الحجرات : ١٣ .
(٢) الحجرات : ١٢ .
(٣) حديث شريف .
(٤) النور : ٢٩ .
(٥) دكتور احمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ١٢٦ .
(٦) نفس المرجع السابق الدكتور احمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ١٢٧ .
(٧) نفس المرجع السابق دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ١٢٩ .

رابعا — الاســـرة :

كانت اعباء الاسرة قديما كلها على الاب فهو الذى يتحمل توفير اسباب الحياة كلها فالام تتبع زوجها والاطفال يختار اهم الاب الطريق والمستقبل الذى يريده وهذا يعنى أن الاب كان عائل الاسرة وأمره فيها نافذ وكلمته فيها مطاعة (١) .

والاسرة مجتمع صغير من حيث تنوع افرادها ووظائفهم المختلفــة وتجمعهم على مصالح مشتركة ولابد من هاد لامورها يقودها الى الامان ويبذل كل ما فى طاقته نحو ايجاد تماسك وتعاون افرادها اما اذا خانته قدرته فانها تنحرف نحو تفكك يؤدى بها الى الانهيار والدمار وتفككها هذا يكون بداية لتفكك المجتمع الكبير التى هى جزء منه (٢) .

وقديما كان يتم الزواج بعد عملية حربية وهى خطف الزوجة من اسرتها بالقوة وتدور المعارك نحو استردادها لأن المراة تمثل ثروة القبيلة لانها أم للوليد والوليد ثروة تحتاجه القبيلة فى اعمالها (٣) .

وفى حالة الخطف تدق الطبول استعدادا لعملية الحرب واسترداد ما اخذ منها بالقوة وقد استقر دق الطبول فى ضمير الانسانية وهذا ما يحدث عملية الزفاف الان (٤) .

بعد حروب وصراعات طويلة اجهدت أفراد القبائل صار الخطف عملا مشروعا تعترف به بعض القبائل (٥) .

ثم حدث الاستقرار على الارض بعد الزراعة واصبح للزواج مفهوم جديد فلابد أن يتوفر للفلاح الاستقرار الاسرى حتى تتوفر عملية الاستقرار على الارض والارتباط بها ويتوفر له الامن والامان والطمأنينة الذى ينشده فى

---

(١) الدكتور عبد الغنى عبود الاسرة المسلمة ص ٢١ .
(٢) نفس المرجع لاسابق ص ٢٦ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٥ .
(٤) الاسرة المسلمة للدكتور عبد الغنى عبود ص ٨٠ .
(٥) المرجع السابق الاسرة المسلمة ص ٨١ .

أحضان تلك الطبيعة التى كانت تهدده بين فترة واخرى (١) .

وكان الاغريق ينظرون الى المراة على أنها عمل من اعمال الشيطان وانها تفعل مثل ما يفعلون (٢) وكان الرجل الاغريقى غيور على زوجته ويبدأ الزواج للبنات من سن الخامسة عشرة اما الزواج المناسب للرجال فكان بعد سن الثلاثين .

اما اليهودية فانها تنظر الى المراة على انها اساس كل المصائب التى تسببت فى اخراج آدم ابو البشرية من جنته بأكلهما من الشجرة التى حرمها الله عليهما « فرأت المراة أن الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر فاخذت من ثمرها واكلت وأعطت رجلها ايضا معها فأكل » (٣) .

فغضب الله على المراة وكان نتيجة هذا الغضب أنه صب غضبه عليها وانزل بها عقابا شديدا ظل معها للابد وقال للمراة تكثيرا اكثر اتعاب حياتك بالوجع تلدين ابن برجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » (٤) .

للرجل الحق فى حب من يشاء وكراهية من يشاء من زوجاته وهذا منطق اليهودية (٥) .

وفى حالة وفاة الرجل تنتقل الزوجة الى اخيه مباشرة — اذا لم يكن له ولد — ويقوم الاخ بنفس الواجب الذى يقوم به الزوج الراحل . اما فى حالة رفضه لزوجة اخيه فان الزوجة تعرض الامر على شيوخ بنى اسرائيل مدعية بانه لا يقيم اسما لاخيه فى اسرائيل (٦) .

---

(١) دكتور : عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتاريخ اتلربية : دار الفكر العربى طبعة اولى : ص ٨٨ .
(٢) محمد عطية الابراشى : مكانة المراة فى الاسلام : دار الشعب ١٩١٧ ص ٥ .
(٣) العهد القديم : سفر اتلكوين — ٣ : الاصحاح الثالث : ٦ — ق .
(٤) العهد القديم : سفر التكوين — ١٠ الاصحاح الثالث : ١٢—١٣ .
(٥) دكتور عبد الغنى عبود : الاسرة المسلمة والاسرة المعاصرة دار الفكر العربى ص ٨٨ .
(٦) نفس المرجع — عبد الغنى عبود الاسرة المسلمة ، ص ٩١ .

فيرسل مجلس شيوخ بنى اسرائيل فى استدعاء الاخ الرافض ثم يحاول اقناعه بطريقة ما فاذا أصر على موقفه من زوجة اخيه وقال « لا ارضى ان اتخذك زوجا » تتقدم اليه فى ثورة غضب شديد وتخلع نعله وتبصق على وجهه وتصرخ قائلة « هكذا يفعل الرجل الذى لا يبنى بيت اخيه » فيدعى اسمه فى اسرائيل « بيت مخلوع النعل » (١) .

ثم ظهرت المسيحية فى مجتمع ضعيف اوشكت المادية أن تدمره وتقضى عليه ويبعد تماما عن العقيدة والحياة الروحيـــة لذلك كان للمسيحية فى بدايتها طاقة روحية كبيرة ولهذا امكنها أن نواجه المجتمع الرومانى بما فيه من شهوات مادية وحسية وجسدية ولهذا بشرت المسيحية بالانصراف عن عالم الحس الى عالم خلود الروح والتفكير فيما بعد الموت (٢) ورغم أن اليهود يؤمنون بذلك .

لم تكن نظرة المسيحية أفضل نحو المرأة من نظرة اليهودية اليها فاذا استعرضنا قصة حواء وآدم فى الجنة من انجيل يرنابا الذى لا تعترف به الكنيسة (٣) لوجدنا أن القصة تتلخص بأن الله قد خلق حواء من احد ضلوع آدم بجوار قلبه وجعلها زوجا له ثم جاء دور ابليس فأغراها بان تأكل من التفاح والحنطة لان الله حرمها عليهما واستطاع الشيطان ان يقنعها بأن تقنع زوجها بالاكل من التفاح والحنطة فيعصى آدم أمر ربه فاستحقا كلاهما لعنة الله فقال الله لادم « ولتكن الارض ملعونة بعملك لانك أصغيت لصوت أمرأتك واكلت الثمر لتنبت لك حسكا وشوكا ولتأكل الخبز بعرق وجهك واذكر انك تراب والى التراب تعود » (٤) وكلم حواء قائلا « وانت التى اصغيت للشيطان واعطيت زوجك الطعام تلبثين تحت تسلط الرجل الذى يعاملك كأمه وتحملين الاولاد بالالم » (٥) .

---

(١) العهد القديم : سفر التثنية — ٥ الاصحاح الخامس والعشرين ٨ — ١٠ .

(٢) د. : احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ١٧٤ .

(٣) المرجع السابق للدكتور عبد الغنى عبود الاسرة المسلمة ص ٩١ .

(٤) انجيل يرنابا : الفصل الحادى والاربعون : ١٢ — ١٨ .

(٥) العهد الجديد — رســالة بولس الرســول الى اهل كونثوس : الاصحاح السابع : ١ .

فالزوج فى نظر المسيحية يحاول ارضاء زوجته على حساب ربه وكذلك الزوجة ترضى زوجها على حساب ربها (١) « كقول بولس الرسول » غير المتزوج يهتم فى ما الرب كيف يرضى الرب واما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امراته ، أن بين الزوجة والعذراء فوقا : غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا واما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى زوجها » (٢) .

الزوج رابطة مقدسة فى رأى السيد المسيح الذى لم يتزوج وقد حث تلاميذه على عدم الزواج حتى يتفرغوا الدعوة . فالدعوة لها مطالب ومسئوليات صعبة ومن جرائها يتحمل الانسان العذاب والالم وقد يتعرض للسجن أو القتل . فاذا كانت له اسرة تعرضت للتشرد بعد ان يتعرض عاملها لذلك . وخاصة ان اليهود كانوا يتحرشون بالمسحيين وايضا الدولة الرومانية قد تعرضت لهم بالقتل والسجن والحرق ورميهم فى ملاعب روما امام الوحوش المفترسة . ومن هنا دعى السيد المسيح أنصاره واتباعه بعدم الزواج — والارتباط بالاسرة حتى يتفرغوا للدعوة .

ومن هنا تبلورت فترة الرهبنة فى أذهان العالم المسيحى نتيجة للظروف التى احاطت الدعوة المسيحة ، ولم تجد الكنسية فى النهاية مفرا بأن أباحت الزواج بواحدة بحكم الضرورة حتى لا ينحرف الناس الى علاقات جنسية منحرفة وبهذا اطلق على الزواج فى المسيحية بأنه زواج ضرورى (٣) .

واتخذت المسيحية فلسفة جديدة فى علاقة الرجل بالمرأة بعد الزواج فاعتبرتهما جسدا واحدا (٤) .

من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا ، كقول انجيل لوقا « فالذى يجمعه الرب لا يفرقه انسان » (٥) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الاسرة المسلمة ص ٩٣ .
(٢) العهد الجديد : رسالة بولس الرسول الأولى الى أهل كونتوس — ١٧ الاصحاح السابق ٧ — ٨ .
(٣) نفس المرجع السابق الاسرة المسلمة : ص ٩٣ — ٩٤ .
(٤) نفس المرجع الاسرة المسلمة ص ٩٥ .
(٥) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح السادس عشر — ١٨ .

اما الاسلام فيوضح علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج . وان شأن الزواج عند الجنس البشرى شأنه عند كل المخلوقات فى الوجود حيث يقول عز وجل « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ويبين لنا ان الزوجين شطران من نفس واحدة حيث يقول جل شأنه « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » .

هذان الشطران فى النفس الواحدة هو راحة للنفس والاعصاب والجسد وصيانة للحياة ومزرعة للنسل وامتداد للحياة مع تطورها وترقيتها الى حياة فاضلة كريمة مصونة هادئة مطمئنة (١) حيث يقول الخالق فى ذلك « ومن اياته أنه خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ثم قال ايضا « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » .

فالله الذى كرم الرجل خص المرأة ايضا بنفس التكريم وساوى بينهما فى الواجبات والحقوق ما عدا الميراث لان الرجل مسئول عن تربية الاسرة ، والاسرة تحتاج الى اعباء مادية ولهذا ميزه فى الميراث . وجعلهما بارتباطهما نواة للمؤسسة الاولى فى الحياة الانسانية لانهما يعملان على ترضية العنصر الانسانى وهو اكرم المخلوقات فى هذا الكون (٢) .

خص الاسلام الرجل بالقوامه وهذه القوامة صيانة لامور المؤسسة الاسرية من التفكك والانحلال والضياع كما أنها ايضا حماية لها من النزوات التى تدمرها ولكى تتفرغ المرأة لترعى الاطفال الصغار حيث يقول عز وجل « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » .

وخص الله المرأة بعدة وظائف منها الحمل والوضع والرضاعة والعطف والرحمة وسرعة الانفعال والاستجابة السريعة لمطالب الطفولة لانها غير ارادية لتسهيل التلبية فورا (٣) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن : دار الشروق جـ٥ ص ٦٤٨ .
(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن طبعة ١٩٧٧ جـ٥ : ص ٦٤٩ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٥٠ .

وزود الرجل بوظائف كثيرة منها العمل على توفير الحاجات الضرورية للاسرة وحمايتها وبالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة والقدرة على التفكير والوعى وبهذا كله جعله اقدر على القوامة التى ارادها له الاسلام ولا تسير المؤسسة الانسانية الا به (١) .

وقد عمل الاسلام على اعلاء شأن الاسرة وارتقاء الانسان بداخلها وأن افرادها مرتبطين بها وليس بينهم مجرد تعارف وليسوا عبئا على عاتق الرجل فالاسرة ضرورة لان كل فرد فيها يحتاج للاخر ولا تقوم الحياة الا بها على هذا الكوكب الارضى (٢) .

وسبقت المرأة المسلمة اختها الاوربية بأخذ حقوقها فى الحرية الفردية كالرجل تماما فهى تتصرف بنفسها فى المعاملات المختلفة سواء كانت هذه المعاملات أقتصادية أو أجتماعية وحصلت على الميراث كالرجل (٣) حيث يقول عز وجل « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

ويضع الاسلام حدود الخطبة وكيفية اختيار الرجل لزوجته واختيار الفتاة لزوجها والمهور ويتمثل ذلك فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع شعيب فى زواجه من ابنته (٤) .

يوضح لنا القرآن الكريم فى قصة موسى عليه السلام أن الامانة والقوة هما خير الصفات التى يتحلى بهما الزوج وهما ايضا ما تنشده الفتاة العاقلة الحكيمة فى الزوج المثالى حيث قال القرآن الكريم على لسان الفتاة « ابتى استأجره أن خير من استأجرت القوى الامين » ، لقد كانت تلك الصفات اشارة لبقة من الفتاة لوالدها من ابداء الرغبة فى زواجها منه

---

(١) نفس المرجع لسيد قطب فى ظلال القرآن جـ٥ ص ٦٥٢ .
(٢) دكتور / عبد الغنى عبود : الاسرة المسلمة ص ١١٨ .
(٣) المرجع السابق للدكتور احمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ١٣١ — ١٣٢ .
(٤) انظر فى ظلال القرآن : سيد قطب ص ٦٤٩ — ص ٦٥٠ .

ولا مانع أن الفتاة تختار فتى أحلامها حيث تجد الصفات الجميلة التى تنشدها وتكون اساسا لبناء اسرة كريمة لمجتمع واحد . ومن الخير والصواب ان يلبى الاب رغبة الفتاة حين تتضح رغبتها على اساس سليم يقره المجتمع فينزل الاب على رغبتها حيث قال الله على لسان الاب « انى أريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين » .

لقد فعل شعيب مع موسى الصواب حين علم انه لا يملك ما يقدمه مهرا لابنته لانه غريب ومطارد فلجأ الى مهر من نوع جديد هو المنفعة «وهذا يقره العقل السليم والمجتمع العربى وارتضاه الاسلام (١) فلا مانع ان يعايش الفتى اسرة زوجته حيث اقتضيت المصلحة ذلك ولا مانع ان يستخدم الاب زوج ابنته فى لطف وخلق ولا يشعره بالضعة والهوان ولا يقسو عليه فى العمل بل يعطيه اجره كاملا ويرعى شئونه لانه زوج لفلذة كبده وعلى الزوج ان يقبل هذا العمل دون حرج وهذا ما يتطلبه الاسلام فى الاسرة السليمة .

وخير الامثلة ايضا فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حين جاءته امرأة تعرض نفسها على الرسول ليتزوجها فأبدى رغبته بالاسف عند ذلك اشارت له بأن يعمل على زواجها بمعرفته فعرضها على من يليق بها زوجا ولم يكن الرجل يملك شيئا غير أنه يحفظ سورتين من القرآن الكريم فأشار الرسول عليه السلام أن يعلمها اياهما على ان يكون ذلك مهرا ويتم الزواج بها على هذا الوضع الكريم الذى ارتضاه المشرع الاسلامى (٢) .

وضع الاسلام نظاما للزواج فحرم الزواج من الاقربين فى الدرجة الاولى واباحة للاقارب الذين اوشكوا أن يكونوا غرباء مثل اولاد العمومة والخؤولة (٣) حيث يقول عز وجل « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم

---

(١) انظر فى ظلال القرآن : سيد قطب ص ٦٤٩ — ٦٥٠ .
(٢) انظر كتاب فى ظلال القرآن للسيد قطب جـ ٥ ص ٦٥١ — ص ٦٥٣ — ٦٥٤ .
(٣) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام : دار الهلال ص ١٣٦ .

وعماتكم وخالاتكم وبنــات الاخ وبنــات الاخت وامهاتكم اللاتى رضعتكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نســائكم وربائبكم اللاتى حجوركم ، من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما (١) والمقصود بهذا التحريم ان يقى الاسرة ما تتعرض له من خصومة وبغضاء قد تقطع أواصر المحبة والروابط الاجتماعية ويحقق المودة والنسب ما لم يمكن ان يتحقق بالقرابة فيكون للاسرة ما أوشك ان يكون بعيدا عنها (٢) .

حيث يقول عز وجل فى ذلك « هو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » (٣) .

وقد فرض الاسلام على نتاج الاسرة من الابناء احترام أصلى الاسرة وهما الاب والام ولزوم برهما والاحسان اليهما وحسن صحبتهما فى الدنيا حتى ولو كانا على غير ما يرضى الله من الايمان أو السلوك وذلك حتى يحس كل انسان فضيلة قيام الاسرة ، فانها راحة فى الشباب وجنة فى حالة الشيخوخة والضعف .

ولذلك وضع الاسلام الاحسان الى الوالدين بعد عبادته حيث قال عز وجل « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهم جناح الذل من الرحمــة وقل ربى رحمهما كما ربيانى صغيرا » (٤) وقال أيضا « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علــم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيـــا معروفا » (٥) وقال ايضا « ووصينا الانسان بــوالديه حملته امه كرها

---

(١) النســاء : ٢٢ — ٢٣ .

(٢) محمود عباس العقاد : حقائق الاسلام وباطيل حصونه : دار الهلال : ص ١٣٩ .

(٣) الفرقان : ٥٤ .

(٤) الاسراء : ١٣ — ١٤ .

(٥) لقمان : ١٤ .

ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربى أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين » (١) .

خامسا — العقيدة الالهية :

وجود الايمان بالله فى قلب الانسان ظاهرة قديمة منذ خلقه الله وهى طبيعة فى نفسه كجزء من طبيعة حياته وقد تختلف هذه النزعة الدينية من جيل لاخر ومن عصر لاخر (٢) .

كانت الطبقات الدنيا فى الدولة الرومانية تؤمن بأن الالهة التى تعبدها كائنات غير مرئية عظيمة القدرة أبدية أزلية خيره فى ذاتها ولهذا سعت بكل طاقاتها فى طلب الحماية منها والمعونة لهم فى حياتهم وأمور دنياهم ومن هنا كان لابد أن تبذل كل طاقاتها لارضاء هذه الالهة بكافة الوسائل والطرق حتى تحظى بما تتمناه هذه الطبقات فى وقت ازماتها وكان تكريمها للالهة بالتعبير وتقديم القرابين لها وفق طقوس دينية أعدت لذلك (٣) .

وفى الطبقات العليا فى المجتمع الرومانى رغم ترفعها عما تعبده تلك الطبقات السابقة كانت تعتقد فى آله اعلى يشوبه الغموض وتخيلته فى صورة الاله (جويتر) (٤) .

وبجوار هذا المعبود يوجد معبود آخر وهو الاله (مارس) وكان يعد أبا للشعب الرومانى الذى يتولى حماية الجيوش فى اثناء الحروب ولهذا كانت الدولة الرومانية تعد له الطقوس الدينية (٥) .

---

(١) الاحقاف : ١٤ — ١٥ .

(٢) عبد الرازق نوفل : الله والعلم الحديث : الناشرون العرب ٧٧ ص ١٥ — ١٦ .

(٣) م.ب تشارلز دورت : الابمراطورية الرومانية : ترجمة عبده جرجس ودكتور محمد صقر خفاجة : دار الفكر العربى ١٩٦١ : ص ١٦٠ .

(٤) نفس المرجع السابق الابمراطورية ارلومانية م.ب تشارلز دورت ترجمة عبده جرجس ص ١٦١ .

(٥) نفس المرجع السابق الامبراطورية الرومانية م.ب تشارلز دورت ص ١٦٢ .

وكان هناك كثير من الالهة التى تعظم بالطقوس الدينية التى يقيمها بعض الشاكرين الذين نالوا بعض النعم والخيرات (٥) .

واعتقد الرومان فى قدرة هذه الالهة التى كانت تظهر لهم بعض الاعاجيب التى تثير الدهشة وتجعل عقولهم عاجزة ان تتلمس أسبابا لها وكان الريف الورمانى مملوءا بالالهة التى يقام لها بجوار المساكن معابد مقدسة لاقامة الطقوس الدينية . وكانت من الكثرة لدرجة ن الناس كانوا يخطئون فى حصرها حيث علق على ذلك رجل من رجال الاعمال الرومانيين يقول ايسر ان نجد فى أى مدينة آلا من ان تجد ادميا (١) .

وكانت المعابد تمد يد العون لاولئك الذين كانوا فى حيرة من أمــور حياتهم فهناك عضو السناتو الذى يخاف أن يدس له السم وهناك الزوجة التى تخشى طلاق زوجها وهناك ايضا الفقر الذى يطلب العون المادى ، كل هؤلاء يهرعون الى الكهنة طالبين العون من الالهة والحماية (٢).

لقد حافظت الدولة الرومانية على قدسية واحترام هذه الديانة عدة قرون حتى جاء عصر جديد هو عصر الاباطرة العظام فحولوا تلك الديانة الى عبادة الامبراطور ذاته (٣).

وظلت عبادة الامبراطور فى روما رمزا للرحمة والعطف حين اغلقت القلوب على القسوة والهوان وأنزال الوان الذل والهوان على البؤساء .

ظل الشعب الرومانى يقيم الشعائر الدينية والطقوس للتماثيل التى ترمز الى قوة الاله الجديد فى قصور الاغنياء وأكواخ الفقراء . ظلت هذه الديانة منتشرة بين ربوع الدولة الرومانية فى معابد اشرفت الدولة عليها بل أكثر من ذلك أقامت لها الهياكل وعينت الموظفين والكهنة (٤) .

جذبوا بهذه الديانة الناس من كل فج عميق فجاءوا الى المعابد يحملون

---

(١) نفس المرجع السابق م.ب تشارلز ص ١٦٤ — ١٦٣ .

(٢) نفس المرجع السابق م.ب تشارلز ص ١٦٤ .

(٣) نفس المرجع السابق م.ب تشارلز ص ١٦٥ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا فى العصور الوسطى : طبعة اولى ١٩٥٨ مكتبة النهضة المصرية جا ص ٦٢ .

(٥) نفس المرجع اوربا فى العصور الوسطى ص ٦٣ — ٦٤ .

النذور تقربا للاله وخوفا من القسوة والعذاب الذى يصب عليهم صبا اذا تخلفوا عن عبادته (١) .

طالبوا بالرحمة والعطف ولكن صرخاتهم وموجات سخطهم ضاعت هباء منثورا فتحولوا الى كفرة بحياتهم وبالالهة وضربوا بعرض الحائط كل القيم والمبادىء الانسانية وتعدوا حدودهم فتطاولوا على الالهة فسبوها ولعنوها ولم يهتموا بالدولة وسلطانها وبهذا فقدت المعابد هيبتها وروعتها الروحية ولم تعد هذه الديانة قادرة على استرداد مجدها الدينى القديم وتأثيرها على عقول الرومانيين فأشتاقت البصائر الى فجر جديد يسطع عليهم ليبدد ظلام حياتهم الى نور مشرق بحرية وعدالة ومساواة (٢) .

ظهرت جماعة الفلاسفة الذين أستغلوا تلك المعاناة لدى الشعب فنشروا فلسفتهم الخلابة البراقة التى خدرت عقول الرومان فهدمت البقية الباقية من قدسية الديانة ذاتها .

ورغم كل هذا فهناك لون جديد قد ظهر اخيرا فى الدولة الرومانية خليط من الفلسفة اليونانية القديمة سيطرت على عقول الشعب الرومانى فأخرج فكرا جديدا تحمس له الشعب ودافع عنه (٤) .

أما اليهودية فكتبها المقدسة توضح لنا صورة الاله (يهوا) آله بنى اسرائيل وحدهم دون البشر جميعا وهو اله غريب فى أطواره وهو صورة تختلف تماما عن صور الالهة و عن صورة الوحدانية فهو يستأثر بهم وهم يستأثرون به ومن صفاتهم أنه سريع الغضب والرضا ويدعو للشىء وتقيضه فى آن واحد فهو آله حرب (جنرال) واله سلم غيور منتقم يأخذ الابناء بذنب الاباء وانه قادر على النكاية بهم ولا يمكن للالهة الاخـــرى أن تحميهم من سخطه وأنتقامه (٥) .

---

(١) دكتور سعد مرسى : تطور الفكر التربوى : عالم الكتب ص

(٢) المرجع السابق لسعد مرسى ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٣) نفس المرجع السابق لسعد مسى : تطور الفكر التربوى ص ١٥٢ .

(٤) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه : دار الهلال ص ٣٥ — ٣٦ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٧ .

بنو اسرائيل يخطئون ويفسدون فى الدنيا كما يشاءون فيغضب عليهم الاله (يهوا) فيلجئون اليه فيرضى عنهم ،واذا اجرموا يوقع بهم العقاب فيبكون له فيندم على خطئه فى حقهم واخيرا يصفح عنهم ، آله غريب فعلا فى اطواره وافعاله ناقض كل شىء ويرضى عن كل شىء فى آن واحد (١) .

وبظهور السيد المسيح ظهر فجر جديد فى الدولة الرومانية وبظهوره فى ارض اجربت من الناحية الدينية ، وتحجرت فيها الديانة اليهودية،وصارت طقوسها جامدة لا روح فيها غير قادرة على أن تسمو بالروح وتطهر الوجدان فجاءت المسيحية لترد الى الديانة اليهودية حياة الروح الى الضمير الاسرائيلى (٢) .

لقد تطلع الناس من فترة طويلة الى دعوة جديدة لا تقوم على الشرائع والقوانين ، وكانت هذه الدعوة هى المسيحية ، وقد يخطىء البعض أن المسيحية نظاما فلسفيا يقوم على المنطق وقوانينه بل انه دين نشأ فى بلاد الشرق يبشر بحياة روحية ويتوعد العصاه بغضب من الخالق (٣) . كما قال السيد المسيح لتلاميذه لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الانبياء .... ما جئت لانقض بل لاكمل فالحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (٤) .

وقد وجه تلاميذه الى بنى اسرائيل قائلا لهم « الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة السامرين لا تدخلوا بل أذهبوا بالاخرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٥) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر : دار الفكر العربى فبراير ١٩٧٧ طبعة أولى : ٨٩ .

(٢) ابراهيم خليل احمد : محمد فى التوراة والانجيل والقرآن طبعة ثانية : مكتبة الوعى العربى : ص ٨٠ .

(٣) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام الطبعة الثالثة : مطبعة دار الكتاب العربى سنة ١٩٧٢ ، ص ٦ — ٧ .

(٤) العهد الجديد : انجيل متى — ا : الاصحاح الخامس : ١٥ —١٦ .

(٥) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر دار الفكر العربى طبعة اولى : ١٩٧٩ : ص ٩١ .

كان ينقص اليهود الروح ، فهناك قوانينها الجامدة وشرائعها ونظمها وهذا ما جاء السيد المسيح وسعى اليه (١) وهدفه فى الحياة بانه جاء من أجل الانسان ليقوم نفسه نتيجة لينقذه من خطاياه ويغفر له بدون مقابل ويقوده الى ملكوت السموات (٢) .

لم تقم دعوته على أنه آله أو ابن اله فقد أعترض على كلام الاسرائليين حين أستقبلوه بقوله « انكم لقد ضللتم ضلالا عظيما ايها الاسرائيليون لانكم دعوتمونى ابن الله وانا انسان وانى اخشى لهذا ان يترك الله بالمدينة المقدسة وباء شديد مسلما اياها لاستبعاد الغرباء العن الشيطان الذى اغراكم بهذا الف لعنة » (٣) .

وتسميه ابن الله ليست قاصرة على المسيح وانما اطلقها هو على كل مؤمن بالله حيث قال « طوبى صانعى السلام لانهم ابناء الله يدعون » (٤) .

لقد اجمعت جميع الكتب السماوية سواء كان العهد الجديد أو القديم على ان « الله » لا يمكن ان يروى وان الارض لا تتحمل طلعته (٥) . وتتسائل من اين جاءت فكرة التجسد الالهى فى المسيحية ؟

والاجابة على هذا من السهولة بمكان « التجسد الالهى » ليست فكرة جديدة بل هو تطوير لفكرة البشرية عن الاله الذى يبحثون عنه ليعبدوه وتعريف بالاله المتطور ليتقربوا اليه ويحبوه » (٦) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر دار الفكر العربى طبعة أولى : ٩٧٩ : ص ٩١ .

(٢) البراهين العقلية فى صحة الديانة المسيحية : تأليف وجمع :

(٣) انجيل برنابا : الفصل الرابع والتسعون : ١ ـ ٢ (انظر النص)

(٤) العهد الجديد : انجيل متى ١ : الاصحاح الخامس : ٩ .

(٥) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر دار الفكر العربى ص ٩٣ .

(٦) القمص ابراهيم جبرة : المولود من العذراء رقم ٤ من المكتبة اللاهوتية ـ مكتبة المحبة بالقاهرة ١٩٧٥ ج ٣ ـ ٤ المقدمة .

ظهر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية وكان لابد ان يضع حدا لفكرة الالوهية وان يخلصها مما اختلط بها من الأفكار الآخرى وأن يرد الناس الى الفطرة السليمة ويدعوهم الى « رب العالمين » ويوضح لهم أن محمد بن عبدالله رسول الله انسان كسائر الناس وهو يشير بهدى الى الحق والرشد وينذر ويحذر من الباطل والضلال (١) وكان لابد ان يعمل على ازالة عبادة الأوثان من النفوس البشرية ويشرح معنى الآلوهية ويقنع الناس بخطأ فكرتهم عن «الله» ويوضح كثيرا من الدلائل التى تثبت أن عبادة الأوثان باطلة وان هناك الحق سبحانه وتعالى الذى تجب عبادته وذلك بوسيلتين هما :

أولا — الوسيلة النظريه :

يوضح القرآن الكريم ان الالوهية تتصف بالقدرة الفائقة بحيث لايستطيع كائن ما فى الوجود ان يقلد أو يخلق شيئا مما خلقه الله سبحانه وتعالى وحيث قال عز وجل « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل ذلكم من شىء « سبحانه وتعالى عما يشركون » (٢).

وقال سبحانه وتعالى « ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » (٣) .

ثم أثبت القرآن الكريم أن عبادة الأوثان والأصنام تعود على الانسان بضرر أو نفع معين وانها هى عبادة باطلة وأنها أستخفاف بمنطق العقل السليم والفطرة الانسانية حيث قال عز وجل « واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه ما تعبدون قالوا نعبد » اصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون و يبصروكم أو يضرون قالوا بلى وجدنا اباءنا

كذلك يفعلون » (١) .

ثم وضح القرآن الكريم ظاهرتى الموت والحياة ليثبت ان الله قادر ان يفعل ذلك ولا يستطيع أى كائن ان يبعد شبح الموت عن نفسه أو قادرا ان يبعث الحياة فى الاخرين حيث قال عز وجل « الم ترى الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت، قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأته بها من المغرب ، فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » (٢) .

ثم من جانب آخر ناقش الله قضية الالوهية من خلال رؤية الظواهر الطبيعية التى لا يستطيع أى كائن أن يتحكم فيها مثال ذلك خروج الشمس من المشرق وغروبها من المغرب وتعاقب الليل والنهار وظهور القمر والنجوم (٣) .

كقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٤) .

ووضح الآلوهية أيضا من خلال النعم التى انعمها الله على الانسان بحيث لا يستطيع أى انسان أن يمنعها عنه أو يعطيها له حيث يقول الله « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون « (٥) .

ووضح أيضا من خلال الحوادث التى تصيب الانسان انه يوجهها توجيها صحيحا لفهم معنى الالوهية مثال ذلك حين يستغيث الضال فى البحر بالحق سبحانه وتعالى فلا منجى له إلا الله (١) كقوله تعالى « وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة

---

(١) الشعراء : ٦٨ — ٧٤ .
(٢) البقرة : ٥٧ .
(٣) محمد عزت اسماعيل : العلمانية والاسلام : ص ٣٠٩ .
(٤) يس : ٣٧ — ٣٨ .
(٥) النحل : ٧٨ .
(٦) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب : ج٣ : ٤٥٦ .

وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان،وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجتينا من هذه لتكونن من الشاكرين » (٢) .

ولم يكتف القرآن الكريم بكل هذا،بل نبه بالاشارة الى بيان الالوهية ودخل فى عمق الفهم فيها بأنه أسماء وصفات الله ولا يستطيع كائن ما أن يطلقها على نفسه مثال ذلك « الخالق » فالخالق هو الذى يوجد الشىء من العدم وهذه صفة لا يستطيع غير الله القيام بها ولا يعتبر من معناها ان يقال ان عيسى بن مريم عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا وبهذا يكون عيسى خالقا . فلو اكملنا الآية التى توقف المعترض حين قالت « باذن الله » ويفهم من هذا أن الله هو الذى أجرى هذه المعجزة على يد عيسى بن مريم لتكون شاهدا على صدق رسالته بل نؤكد بأن الخلق لا يتناول صنما معينا بل يشمل كل شىء فعيسى بن مريم خلق الطير وحده بأذن الله ، لكن الله خلق كل شىء فقدره تقديرا وعلى غير مثال ، وعيسى خلق الطير على مثال الطير الذى خلقه الله وليس نوعا فريدا من نوعه (٣) وقد يقول قائل إخر أن الأنسان يستطيع أن يركب الاشياء فى صنع شىء جديد أو يؤلف بين أشياء لتحدث نمطا جديدا كما فى أجادة الشعر والقصة والكلمة والرسم والنحت والتصوير ويسمى كل هذا خلقا وصاحبه خالقا مبدعا الى غا ذلك من الصفات ، وتقول ان هذا كله محاكاة لفعل الخالق الاعظم وليس ايجادا من عدم ، فالرسام و المصور هو الذى ينقل صور الاشياءء على الورقة بقلمه أو فرشاته والوانه ولكن لايمكن أن يحرك فيها روحا .

وقد قال الله عن نفسه « تبارك الله احسن الخالقين » .

فالخلق الذى يدعونه هو تقليد لخلق الله من ناحية وهو بلا روح من ناحية اخرى ، فالله سبحانه وتعالى خلق بروح وعلى غير مثال سبق (١) .

---

(١) يونس ٦٠ — ٦٢ .

(٢) انظر كتاب الغزالى : لاحياء علوم الدين الجزء الثالث ص ٣٢٢ الى ٣٢٥ — وكتاب فى ظلال القرآن لسيد قطب ص ٤٦٢ .

(٣) انظر كتاب سيد قطب فى ظلال القرآن ص ٤٦٨ — ٤٦٩ .

ثالثا — الوسيلة العملية فى العقيدة الاسلامية :

أن أول خصائص القدرة الآلهيه هى أنزال القرآن الكريم على رسول الله عليه الصلاة والسلام بحيث أعجز قريشا والعرب جمعيا اعجازا كاملا لفظا ومعنى وقد قال العلماء أن معانى القرآن من حيث اعجازها لا تنتهى فى قولهم « الكلام صفة المتكلم والمتكلم لا ينتهى فكلامه لا تنتهى معانيه »ولم يتوقف الحق عند دعوى الكفار فى اعجاز القرآن بل طالبهم ان كانوا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله أو آية من آياته واستمر القرآن ى تحديهم حتى قال لهم :

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فأتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت الكافرين » (١) .

ولم يستطيعوا رغم توفر الامكانيات اللغوية لديهم من تحدى معانى الالوهية وهى الاعجاز القرآنى ، ولقد حاول بعض الكفار ممن ادعو النبوة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تقليد القرآن ومجاراة قوله فى بعضا لسور فلم تفلح محاولتهم ، واستنكر عليهم ذلك اتباعهم واهلهم والمقربون منهم (٢) .

والوسيلة العملية الاخرى هى أمية الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه نشأ فى امه امية ايضا وقل فيها الذين يجيدون القراءة والكتابة ، ويأتى الرسول عليه السلام ويقول قرآنا عجز عن مجاراته البشر،ثم هذا الكلام يحمل اخبار السابقين وقضايا الحاضر والمستقبل دون أن يتعلم تلك الاخبار من مدرسة أو معلم فكانت امية الرسول وعجز غيره ان يقول مثل كلامه الذى يقرأ دليلا لا يمكن رده على ان ما يأتى به لبس من فعل بشر كما ان ما اتى به محمد الامى لا يزال يذهل العلماء حتى الذين لا يؤمنون بالاسلام (٣) .

---

(١) البقرة ٢٨ — ٣٠ .

(٢) انظر سيد قطب فى ظلال القرآن جـ٢ ص ٤٢٥ .

(٣) الدكتور محمد جال ابو الفتوح شرف الله والعالم الانسان فى الفكر الاسلامى ومن المكتبة الفلسفية — الطبعة الثالثة — (١ — المعارف — مصر ١٩٧٥ ص ٤٥) .

كان القرآن الكريم اهم المعجزات بل هى المعجزة الكبرى التى حدثت على يد الرسول عليه الصلاة والسلام اثباتا لرسالته أولا وثانيا فهى وسيلة لاقناع جموع العرب بمعنى من معانى الالوهية وهو الأصطفاء أى أن الله أصطفى قبيلته على القبائل الاخرى ثم أصطفى بطنه من بطون القبيلة ثم اصطفاه هو من بقية الافراد من هذا البطن . حيث قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « ان الله اصطفى من ولدابراهيم اسماعيل واصطفى من اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم وأصطفانى من بنى هاشم فانا خيار من خيار » وقد وضح أن هذا الاصطفاء يتوقف على ما يـــراه الخـــالق وليس يتوقف على من له جـــاه أو مال أو سلطان (١) .

ومن هذا السرد نستخلص ما يأتى :

اولا — التوحيــد :

وهو فى معناه نفى أى فعل من غير الله سبحانه وتعالى ونسبه كل الأفعال الى فاعلها وهو الحق جل شأنه ومن هذا يتضح أن أفعال الحق متغلغلة فى كل ما خلقه ولهذا لا يكون الا واحدا وليس متعددا ولو كان متعددا لما أثرت افعاله فى كل ما خلقه والتوحيد ايضا ان الحق سبحانه لا يتولد من شىء « قل هو الله احد الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » .

ثانيا — الاســماء :

بين القرآن ان للحق اسماء منها : الرحمن — الرحيم — الودود — الخالق الرؤوف — البارىء — المصور — المنعم — الجبار — الحكيم ... الخ والتى يجب على الخلق ان يتعلقوا بها ويتمسكوا بافعالها ويرجعوا كل الامور الى تأثيرها وهى التى تحدد موقف الخالق امام مخلوقاته مجتمعة — كما تحدد موقفه من الكون والحياة والاحياء والمؤمنين والعصاة وموقفه

---

(١) محمد قطب : قبسات من الرسول . طبعة ثانية دار الشروق ص ٤٢ .

من بدء الخلق ونهايته (١) .

ثالثا — الصـــفات :

للحق صفات منها العلم والارادة والقدرة والحكمة والسمع والبصر والكلام ويجب على كل مسلم أو دارس لمنهج الاسلام ان يتعلم كل هذه الصفات ويعرف اطلاق الصفات وامثالها فيما خلق الحق مثال ذلك حيثما ينظر الى الشمس فلابد له ان يعرف قدرة الحق المطلقة فى خلق الشمس وما سواها (٢) .

رابعا — الرســالة :

فالعقيدة فى الرسالة هى الايمان بانها نهاية الرسالات السماوية وكما لها وتمامها وبأن المصطفى خاتم الرسول والانبياء وان القرآن والسنة وضحا كل الاوامر الآلهية والنواهى الربانية ولم يبق هناك مكان او زمان الا وجاءت الرسالة بما يشير اليه ومع ذلك فقد فتحت باب الاجتهاد من خلال تثبيت هذه العقيدة (٣) .

ســادسا :اليــوم الآخــر :

منذ هبوط الأنسان على الأرض وفكرة العدم تراود فكرة ، فتقلق راحته وتشتت نفسه وتشغل ذهنه .. فهو يرفضها لأنها لا تتفق مع تكوينه وطبيعته والأعتزاز ، بحياته وانسانيته واعتقاده بحياته ووجوده فى هذا الكون لحكمة ابعد من هذه الحياة القصيرة الزائله (٤) .

لقد حاول الأنسان أن يزيح هذه الفكرة بكل طاقاته التى منحها الله

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزيه ج٢ ص ٩٠ .
(٢) محمد قطب (مرجع سابق) قبسات من الرسول ص ٤٨ .
(٣) عبد الكريــم الخطيب : الله والانســـان ، قضية الالوهية بين الفلسفة والدين طبعة ثانية دار الفكر العربى — ١٩٧١ ص ١٠٨ —١٠٩ .
(٤) سيد قطب : مشاهد القيـــامة : دار المعارف بمصر — طبعة خامسة : ص ١٤ .

اياه ، ولكنه أدرك بفطرته ان ما فى الوجود من قوة لا تكفى ان يبعد عنهشبح هذا المصير الذى سينتهى اليه (١) .

ولهذا نجد أبا البشرية آدم امام فكرة الخلود (٢) ضعف ودخل اليه ابليس حين عرف موضع ضعفه فذله وحرضه على مخالفة الحق سبحانه وتعالى وأغراها بفكرته فاستجاب له آدم وحواء حيث قال سبحانه وتعالى . قال « هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى .. »

فكرة الخلود عند الهنود والصينيين تبدأ من خلال تناسخ الارواح حتى يتم فناء الجسد بالموت وتنتقل الروح من جسد لآخر ومن خلال هذا الانتقال تتجدد الحياة على الارض (٣) .

أما المصريون فاعتقادهم فى الخلود يختلف تماما عن اعتقاد الهنود والصينيين لأن مصر تمتاز بمناخ معتدل وأرض زراعية خصبة واستقرار الحياة بها وتقدم حضارى اسبق من اى مكان فى العالم منذ اقدم العصور فعقيدتهم ليست قريبة من عقيدة الهنود ، ولكنها تختلف عنها بأن الروحلاتحل فى جسد آخر وانها ذات كيان مستقل ولهذا سبقت مصر بعقيدتها الأديان القديمة الى فكرة خلود الروح ثم البعث من الموت وهى فكرة مقاومة العدم ومن خلال هذه الفكرة هيأت الانسان الى بناء حضارته الأولى على ضفاف النيل (٤) .

منذ أقدم العصور والمصريون مؤمنون تماما بفكرة الحياة الأخرى وبالبعث أكثر من ذلك أنهم أعتقدوا بأن البعث للروح والجسد معا وان

---

(١) الدكتورة : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) القرآن وقضايا الانسان : طبعة أولى — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٧٢ : ص ١٥١ .

(٢) دكتورعبد د الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة : دار الفكر العربى ص ١٨ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٥ .

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر (نفس المرجع السابق)

الروح اذا فارقت الجسد فانها ستظل على صلة به (١) .

ومن خلال فكرة الخلود والبعث ظهرت علوم القدماء المصريين المختلفة لحفظ الجسد وبناء المقابر ، كالطب والهندسة وغيرها (٢) وان هذه الحركة العلمية كانت تحت اشراف رجال الدين لأتصال العلم بالدين وادى ذلك الى ظهور الكاهن كعالم وفيلسوف وطبيب وفلكى ورياضى (٣) .

ثم جاءت الفلسفة المثالية لدى الاغريق وهو ان كل شىء مادى فى الحياة تستطيع العين ان تراه أو الحواس تحسه له نظير مشابه فى عالم المثل لا يرى ولا يحس والنفس فى نظر الفيلسوف افلاطون موجودة فى عالم المثل وأنها تتعرف على الحقائق بالتذكر ولا يحجبها لاحجاب الجسد والحس والشهوة وهى خالدة لا تتحلل كما يتحلل الجسد المادى ثم تفارقه الى عالم أعلى لتحيا مع الارباب والملائكة والارواح (٤) ، وقد عارض الماديون فكرة المثل هذه فالمادة عندهم تسبق الحياة الروحية والماديات تسبق المعنويات وهى البدء والنهاية (٥) .

فكارل ماركس يرى ان الفكر جاء نتيجة الطبيعة بمعنى ان الطبيعة هى التى ابرزت الفكر وعملت على تحقيق وجوده وان العقل صورة من صور السعادة وهو حاسة من الحوس بينما الفلسفة المثالية رفعت العقل الى اسمى من ذلك (٦) .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الله والانسان قضية الالوهية بين الفلسفة والدين دار الفكر العربى — ١٩٧١ — ص ١٣٠ .

(٢) د. عبد الغنى عبود : اليوم الآخر (مرجع سابق) ص ٢٩ .

(٣) السيد محمود ابو الفيض المنوفى : اصالة العلم وانحراف العلماء رقم ٤ من موسوعة وحدة الدين والفلسفة والعلم — دار النهضة — مصر للطبع والنشر — ١٩٦٩ — ص ٦ .

(٤) عباس محمود العقــاد : الشيخ الرئيس ابن سيناء — الطبعة الثانية رقم ٤٦ من سلسلة اقرأ — دار المعارف بمصر — ١٩٦٧ — ص ٣٨ — ٤٠ .

(٥) د. عبد الغنى عبود (مرجع سابق) اليوم الآخر ص ٣٣ .

(٦) عبد الكريم الخطيب : الله ذات وموضوعا قضية الاولهية ص ١٣٦ — ١٣٧ .

أما اليوم الآخر لدى بنى اسرائيل فلا نجد ذكرا له فى العهد القديم ونفهم ان الجزاء على الشر ، كان يتحقق فى الدنيا فآلههم لم يكن يغفل عن أخذ الشىء منهم بأساءته فردا كان منهم أو جيلا من اجيالهم (١) ولهذا فهم قد نبذوا فكرة اليو م الاخر التى جاء بها موسى عليه السلام لانها لا تتفق مع طبيعتهم المادية المنحرفة (٢) .

واذا استعرضنا الاناجيل الاربعة (العهد الجديد) لدى المسيحية فنجد الكلمات التاليـــة «ملكوت الرب» و «الحياة الابدية» و «النعيـــم» و «جهنم» و «النار» و «الظلمة» وهذه كلمات تدل على ان هناك اليوم الآخر حيث نجد فى انجيل متى « فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله . الحق اقول لكم : ان من النيام هنا لا يذوقون الموت ، حتى يروا ابن الانسان اتيا فى ملكوته » (٣).

ويقول السيد المسيح لتلاميذه « اقول لكم : انه يعسر ان يدخل غنى الى ملكوت السماوات واقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غنى الى ملكوت الله » (٤) .

فالمؤمنون فى نظر المسيحية يدخلون ملكوت الله اما العصاة فانهم يدخلون فى جهنم النار (٥) .

ولم نجد أى اشارة عن شكل هذا الملكوت وحقيقته فى الاناجيل الاربعة ولكننا نجد اشارة عن النعيم فى ملكوت السماوات والعذاب فى جهنم النار ومنها هذه النصوص التى وردت فى انجيل متى .

---

(١) سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن : دار المعارف بمصر — طبعة خامسة ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق لسيد قطب ص ٣١ .

(٣) العهد الجديد انجيل متى — ١ : الاصحاح ١٦ : ٥ — ٨.

(٤) العهد الجديد انجيل متى الاصحاح ١٩ : ١٠ — ١١ .

(٥) الانبا غريغوريس : انت المسيح ابن الله الحى — رقم ١٩ — سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية — مطبعة دار العالم العربى — فبراير ١٩٧٥ — ص ٦٢ .

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجـده وجميع الملائكة القديسون معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب .. فيميزا بعضهم بما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركى ابى أورثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسس العالم لانى جعت فاطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فاويتمونى ، عريانا فكسيتمونى ، مريضا فزرتمونى ، فأتيتم الى » فيجيبه الابرار حينئذ قائلين :

« يارب متى رأيناك جائعا فاطعمناك أو عطشانا فسقيناك ، ومتى رأيناك غريبا فأوبناك ، أو عريانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضـا أو محبوسا غريبا فأوبناك ؟ «فيجيب الملك ويقول» الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه باحد اخوتى هؤلاء الاصاغر فبى فعلتم .. ثم يقول عنه ايضا للذين عن اليسار « اذهبوا عنى يا ملاعيين الى النار الابدية المعدة لابليس وجماعته لانى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى كنت غريبا فلم تؤوونى ، عريانا فلم تكسونى مريضا ومحبوسا فلم تزورونى ، حينئذ يجيبونه هم ايضا قائلين :

« يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا او غريبا او مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما انكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الاصاغر فبى لم تفعلوا فيمضى الى عـذاب أبدى والابـرار الى حيـاة ابـدية (١) .

لو استعرضنا ما كتب عن اليوم الآخر لدى المسيحيين فلم نجد الا أقوالا قليلة محدودة منها قول الانبا عريفوريوس « لقد نسب الرب يسوع الى ذاته ، انه هو بذاته سيقيم الموتى فى اليوم الآخر وانه سيتولى المؤمنين به والعالمين مسرته بان يقيمهم بنفسه الى حياة ابدية سعيدة ليحيوا معه الى الابد فى سعادة كاملة لا نهاية » (٢) .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى : الاصحاح ٢٥ : ١٢ — ٢٠ .
(٢) الانبا غريفوريوس : (مرجع سابق) انت المسـيح ابن الله الحى . ص ٥٧ .

عنى القرآن الكريم بعرض اليوم الآخر عرضا تحس فيه انه مصور قام بتصويره فتراه العين وتحس به النفس أو كأنك تعيش فيه عيشة كاملة ، أو كأنك تتأثر به فيحقق قلبك تارة من هول ذلك اليوم ويقشعر جلدك الاسلامية وهى موت وبعث ونعيم وعذاب ، فالذين آمنوا وعملوا صالحا فلهم تشعر بالنار وحرارتها والجنة ونسميها .. هذا اليوم واضح فى العقيدة الاسلامية وهى موت وبعث ونعيم وعذاب فالذين آمنوا وعملوا صالحا فلهم الجنة واما الذين كفروا بآيات الله ولقاء الله فلهم النار ولا شفاعة هناك ولا فدية لاحد من العذاب كقوله تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »
هذه الحقيقة واضحة وبسيطة حافلة بالصور المختلفة .

يعطى لنا القرآن صورة واضحة تبدأ بالحياة الدنيا وتنتهى بالحياة الاخرى بدون تواصل لتشعر انك فى رحلة كاملة تبدأ مع بدء حياتك حتى اليوم الآخر (١) وذلك فى استراد جميل مبدوء كقوله تعالى :

« هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا ، انا اهديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ، انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ، ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا .. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » (٢) هذه رحلة تبدأ قبل خلق الانسان يوم لم يكن شيئا مذكورا وتنتهى به اما فى الجنة أو النار ثم يعطينا تصور آخر وهى قصة بدأت فى الدنيا ثم تتابع الباقى منها فى الآخرة (٣) ، كقول الحق :

« ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين — الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما امر فرعون برشيد ، يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورد » (٤) .

---

(١) سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن الكريم : دار المعارف — طبعة خامسة : ص ٣٧ — ٣٨ .
(٢) الانســـان ١ — ٥ .
(٣) سيد قطب (مرجع سابق) ما هو يوم القيامة ص ٣٨ — ٣٩ .
(٤) هــود : ١٩ .

وصورة يعطينا صورة مزدوجة من مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة كقول الله :

« فاذا النجوم طمست ، واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لأى يوم أجلت ؟ ليوم الفصل ، وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين . الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين ، كذلك نفعل بالمجرمين ، ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ، ويل يومئذ للمكذبين ، الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا ، ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب ، انها ترمى لشرر كالقصر كأنه صفر ويل يومئذ للمكذبين » (١) .

يوضح لنا القرآن الكريم بداية الساعة وعلامة من علاماتها كقوله تعالى :

« اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت وذا النفوس زوجت واذا المؤودة سألت بأى ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت »(٢)

ويقــــول كذلك :

« اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجــرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت » (٣) .

ويذكـــر أيضـــــا :

« فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر » (٤) .

---

(١) المرسلات : ١ : ٢٥ .

(٢) التكوير : ١ : ١٤ .

(٣) الانفطار : ١ : ٥ .

(٤) القيامة : ٧ : ١ .

ويعطى لنا القرآن الكريم صورة عن الحساب وعن المشهد العظيم وعن المشهد الرهيب يوم القيامة الذى تقشعر الابدان وتشيب من هوله الولدان فيصفه لنا بأنه يوم عقيم وبأنه يوم الحسرة وبأنه يوم محيط وبأنه عبوس قمطرير شر مسيطر وبأنه يوم يجعل الولدان شيبا وبأنه ينقلب فيه القلوب والابصار وبأنه يوم الازفة كما يوصف بالطامة الكبرى (١) .

فذلك اليوم . امل بالنسبة للمؤمنين لانهم عملوا له حسابه من تقوى فى الدنيا وعمل صالح بها ويقول الله فيهم :

« والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها ، وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وولئك هم أولوا الالباب » (٢) .

ثم يوضح ذلك اليوم بالنسبة للكفار الذين غرتهم الدنيا وملك نفوسهم الكبر والكبرياء ونسوا اليوم الذين سيحاسبون فيه . يوم أسود كله ندم بالنسبة لهم حيث يقول الله عز وجل :

« وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لولا انزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ، واصحاب الجنة يومئذ خير مستقر واحسن مقيلا» .

ثم يعطينا صورة الطبيعة وما يحدث لها يوم القيامة يحرك الهول الارض ويرجها رجا شديدا حيث يقول الله عز وجل :

« اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا » (١) .

---

(١) د. عبد الغنى عبود : اليوم الآخر : دار الفكر العربى ص ١٠٢ .
(٢) الزمر : ١٧ — ١٨ .
(٣) الفرقان : ٢١ — ٢٣ .
(٤) الواقعة : ١ : ٦ .

ثم يوضح ماذا يحدث للجبال يوم القيامة وهذا مرتبط بما يحدث للناس كقوله تعالى :

« القارعة ما القارعة ، وما ادراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » (١) .

ويقـــول ايضـــا :

« يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا ، فعصى الرسول ، فاخذناه أخذا وبيلا ، فكيف تتقون أن كفرتم ، يوما يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر به كان وعده مفعولا . ان هذه تذكرة فمن شـــاء أتخذ الى ربـــه سبيلا » .

ويصور لنا القرآن النعيموالعذاب . .ويصورلناايضا المادىالمحسوس فى مثل هذه الصورة « واصحاب اليمين وما اصحاب اليمين ؟ فى سدر مخضرد وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة ،لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة اذا انشأناهن انشاء ، فجعلناهن ابكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين مثله من الاولين ومثله من الاخرين واصحاب الشمال مـــا اصحاب الشمال فى سموم وحميم » (٤) .

ويوضـــح لنا العذاب المادى المحسوس » والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هـــذا مـــا كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » (٥) .

ويصور لنا القرآن الكريم مناظر لطيفة وجدال عنيف بين المشركين والهاهم والمتبوعين واتبـــاعهم . وبين المؤمنين والملائكـــة وبين المؤمنين والمقربين كقوله تعـــالى :

---

(١) القارعـــة : ١ : ٣ .
(٢) المزمـــل : ١٣ : ١٨ .
(٣) الواقعـــة : ١٦ : ٢٠ .
(٤) التوبة : ٣٣ — ٣٥ .

« ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا ؛ وان الله شديد العذاب ، اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين أتبعوا ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا ، لو أن لنا كرة فتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١) » .

وقول الله عـــز وجـــل :

« وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ، واذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا،وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون (٢) .

ويقـــول ايضــــا :

« واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا فى أهلنا مشفقين، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، انا كنا من قبل ندعوه أنه هو البر الرحيم » .

ولا تخلو سورة من سور القرآن الكريم والا فيها نبأ عن اليوم الآخر واكتفى باننى اعطيت بعض نماذج عن اليوم الآخر وبدون فكرة هذا اليوم تتحول الدنيا وحياة الانسان خاصة الى عدم مطلق ، وسيكون الانسان عديم القيمة ولا يستحق ان يعيش من اجله كما ان الربط بين الحياة والدنيا والاخرة على ن يختار الانسان أخراه وأن يصنع جنته أوناره بما يجب ويرضى نتيجة اعماله (٣) .

---

(١) البقـــرة : ٥٥ — ٥٨ .
(٢) ســـبأ : ٣١ : ٣٣ .
(٣) د. عبد الغنى عبود : ايلوم الآخر : ص ١٣٩ .

الفصـــل الثانى

التربية المسيحية وتأثرها بالتربية الاغريقية والرومانية

نظر الفلاسفة اليونان الى العالم كمادة غير حقيقية تمثل عالم آخر حقيقى وهو العالم المثالى ، ولذلك كانت المعرفة تتصل بعالم المثل لا بعالم الواقع ، كما أن الفلاسفة أيضا نظروا الى الانسان نظرة ثنائية روح وجسد ، فالروح هى الصورة الحقيقية والجسدهوالصورة الثانية،وبهذاصارت الفلسفة اليونانية ثنائية فى جوهرها ، ثنائية فى نظرتها الى الكون ، ثنائية من طبيعة العمل من ناحية ، والفكر من ناحية أخرى ، أو بين المادة من ناحية والروح من ناحيةأخرى،وكانت المشكلة التى استحوذت على أهتمام افلاطون تتمثل فى التغير والثبات بالنسبة للكون وكان الفلاسفةيؤمنون ويعتبرون ما يرونه من معالم التغير فى الحياة نتيجة لخداع الحس أى التغير فى نظرهم وهم والثبات هو الحقيقة (١) .

وكان افلاطون يرى أن التغير بمعنى الأنهيار فقد ارتبط التغير عنده بهزيمة اثينا أمام أسبرطة ، كما يرى افلاطون ان التغير لا يصيب الا الأشياء الناقصة ولا يصيب المثل أو الأشياء الكاملة ولهذا وضع افلاطون لمجتمعه نظاما مثاليا ثابتا وقسم أفراده الى فئات متعددة وليس لفئة ان تفكر فى تغير وضعها . وكان الفلاسفة فى نظره هم طبقة الحكام لأنهم يستطيعون بفكرهم الوصول الى عالم المثل (٢) .

فالتعليم فى اثينا قد قسم الى ثلاثة مراحل وهى :

المرحلة الأولى : وما تسمى الأولية ثم المرحلة الثانوية ثم يليها المرحلة العاليـــة.

---

(١) د. محمد لبيب النجيجى : مقدمة فى فلسفة التربية — طبعة ثانية — ١٩٦٧ — مكتبة الانجلو المصرية . ٣٩٦ — ٣٩٧ .

(٢) ج.ف تيلر : فى فلســفة التربية : ترجمـــة الدكتور محمد منير سرى .. د. محمد عزت عبد الموجود ، يوسف ميخائيل اسعد : عالم الكتب ص ٥٧ — ٥٨ .

لقد رأى بعض الفلاسفة وعلى راسهم ارسطو ان يخصص ما يقرب من سبع سنوات لكل مرحلة من هذه المراحل السابقة .

أما افلاطون فأنه يخالفه فى الراى فيرى ان يمتد التعليم حتى منتصف عمر الفـــرد (١) .

وقد شـــملت التربية اليونانيـــة كل النواحى الفلسفية والنفســـية والجســـدية لدى الفرد وبهذا أطلق عليها تربية كاملة . ولم تقف التربية اليونانية عند حدود بلاد اليونان ، فمن المعروف ان الحضارة الاغريقية نقلت الى العالم المعروف من فتوح الاسكندر المقدونى الذى كان هدفه مزج الحضارة الاغريقية بالحضارة الشرقية .

وقد احدث هذا المزج ما عرف باسم الحضارة الهلسنينية ثم امتد انتقال الحضارة الاغريقية بعد ذلك عن طريق الرومان وامتداد الامبراطورية الرومانية على كثير من أجزاء العالم .

وكانت التربية خلقية والنظام صارما والمثل العليا جامدة شديدة (٢).

وكانت التربية الرومانية تربية بدائية وفقيرة قائمة على الممارسة فى داخل الأسرة التى يرافق الطفـــل فيها والده من سن السادســـة حتى السادسة عشرة فى المزرعة يلاحظ فيها ويتعلم كل مايراه ، على ان يعطى له جزء قليل من القراءة والكتابة وكذلك البنت تلازم أمها فى المنزل ومنها تتعلم شئون المنزل من غزل وحياكة (٣) وما يخص المنزل من شئون المعيشـــة .

كما كانت التقاليد الاسرية عندهم تقوم على احترام من هم اكبر سنا والالتزام بالاخلاق الحميدة لتنشئة الطفل عليها مع الاهتمام بقدر من القراءة والكتابة والهندسة حتى ينفعه ذلك فى القيام بالحسابات وقياس الأرض

---

(١) د. محمد سعد مرسى : تطور الفكر التربوى ص ١٥٠ .
(٢) نفس المرجع السابق : فى فلسفة التربية ص ٥٩ — ٦٠ .
(٣) سعد مرسى : تطور الفكر التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٥ .

الزراعية التى تملكها الأسرة حتى اذا بلغ الطفل مبلغ الرجال فانه يوضع تحت اشراف موجه خاص قد يكون ذلك الرجل صديقا للاسرة أو مواطنا له شهرته أو قائدا من قواد الجيش اذا كان يراد للطفل ان ينخرط فى سلك الخدمة العسكرية (١) .

بالطبـــع يـــكون التعليم هنا بالممارســـة على نفس نمط التربيـــة الأولى فى الأسرة ، هذه هى التربية الأولى التى سادت روما خلال القرون الثلاثة الاولى قبل الميلاد (٢) .

أما المرحلة الثانية للتربية فى روما فقد سميت هذه الفترة بفترة الاقتباس من بلاد اليونان . فلقد جاءت الثقافة اليونانية لتستقر فى الدولة الرومانية .. وقد قوبل كل شىء بالحماس لدرجة أن المثقف كان يتكلم باللغة اليونانية ويفاخر اقرانه فى ذلك (٣) .

أما المدارس الرومانية فانها صارت على نفس النمط اليونانى .

ثم تأتى المرحلة الثالثة فى التربية لدى الرومان وهى فترة يطلق عليها عصر الانتقال واتساع رقعة الدولة وفيها قامت المدارس وهدفها القيام بما قام به الآباء فى العصور السابقة لانهم انشغلوا بالتوسع الخارجى (٤) .

وكان الاهتمام بالخطابة وكيفية الاقناع للمستمعين والخطيب عندهم يكون على قدر كبير من الثقافة فى شتى صنوف المعرفة ، وله الحق فى أن يتولى أى منصب فى الدولة سواء فى الحرب أو السـلم .. واعتمدوا فى المرحلة الاولى على طريقة الحفظ والاستظهار وتقليد الكبار ، حتى ظهرت المدارس بأنواعها المختلفة من ابتدائية وثانوية وعليا ، وقد أهتموا بمناهجها

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٣٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٣) د. محمد جواد رضا : العرب والتربية والحضارة دراسة فى الفكر التربوى المقارن : طبعة اولى ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م — مكتبة المنهل الكويت ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٤) المرجع السابق اسعد مرسى : تطور الفكر التربوى ص .

الدراسية التى تشمل البلاغة واللغة والنحو والحروف الهجائية كما اهتموا أيضا بالتربية الخلقية (١) .

اما موارد التعليم فقد قام التلاميذ بتمويلها لقاء التحاقهم بالمدارس فالمعلمون كانوا فئات ثلاثة :

معلم المدرسة الابتدائية .. وقد كان عبدا ، أو معتوقا ونظرة المجتمع اليه نظرة محترمة وأجره ضئيل جدا لدرجة لا يكفيه قوت يومه ويطلب منه أن يعاقب التلاميذ بالعقاب البدنى كعملية تهذيب لهم (٢) .

معلم المدرسة الثانوية .. وكانت له القدرة اللغوية ويحوز على احترام الجميع فى المجتمع الرومانى وقد زاد هذا الاحترام على مر القرون .

معلم المدرسة العالية .. يمتاز عن زميليه السابقين بأن له الدرجة السامية فى المجتمع ويحوز على اعجاب المجتمع وتكريمه له .

والجميع كان لهم مرتبات دورية رغم ان الدولة كانت لا تتكلف بأى مرتبات لاى فئة الا الجيش (٣) .

الواضح ان التربية المسيحية لم تأخذ شكلها المحدد الا فى القرن الخامس الميلادى ، وقد بدأ الاهتمام بها من جانب احد القساوسة وهو القديس او جستين وتلاميذ .. وكان منهج الدراسة فى هذا الوقت يدور حول شخصية السيد المسيح وحول الخطيئة والخلاص منها كقضايا كبرى يدور حولها الفكر التربوى للمسيحية مع اضافة تعاليم السيد المسيح التى تعبر عن الأخلاقيات وعن المساواة بين أفراد المجتمع . كل هذا قد اتاح الفرصة لكل طفل مسيحى مهما كان جنسه أو لونه ومستواه الاجتماعى أو الاقتصادى أن يجد الفرصة أمامه للتعليم (٤) .

---

(١) سعد مرسى : بمرجع سابق ص ١٣٨ .
(٢) نفس المرجع السابق . سعد مرسى ص ١٣٩ .
(٣) نفس المرجع السابق . سعد مرسى ص ١٤٠ .
(٤) نقولا زيادة : عالم العصور الوسطى فى أوربا المكتبة العصرية — القدس ١٩٤٧ — ١٩٥٠ .

ولا يمكننا اغفال أهم شيء فى التربية وهى المدارس المسيحية الخاصة فقد عاشت بجوار المدارس الرومانية والاغريقية ولكن هذه المدارس لم تساير الركب الحضارى للمدارس الرومانية أو الاغريقية ولم تكن هذه المدارس لصالح المسيحية لأن معظم الناس أو أغلبيتهم كانوا غير مسيحيين (١) .

كما ان المدارس الاغريقية والرومانية أهتمت بالمثل والعقل وبطبيعة الانسان بما اشتمل عليه من احساس بالواجبات الدنيوية والعدالة الاجتماعية والشجاعة والشرف والحق والولاء للدولة .. اما المسيحية فاهتمامها بالروح ومتطلباتها ، والبعد عن شرور الجسد من شهوات وتكالب على الحياة ، والتواضع والصمت والرد على الشر بالخير وهذا ما يلفت نظر الدارس بأن المسيحية كانت تهتم باصلاح ما فى المجتمع الوثنى من فساد (٢) .

لقد سيطرت فلسفة أرسطو وافلاطون على أذهان الأمم لفترة طويلة وقد أرتبطت المسيحية بجوهر الفلسفة اليونانية ويرجع ذلك الى جماعة من العلماء الأغريق قد دخلوا المسيحية وصبغوا التربية المسيحية بصبغة اغريقية .

ثم شاء الله أن تنتشر المسيحية فى أوربا على يد أولئك المبشرين بعد أن اعترفت الدولة الرومانية بالمسيحية ، كدين رسمى للدولة ، ولكن الرهبان والقسس وجدوا صعوبة فى تهذيب الشعوب المتبربرة . فقد بدأت الكنيسة بتعليم الاطفال شيئا غير قليل من الوصايا المسيحية مع الأهتمام بالموسيقى لانـه فى ذلك الوقت قـد انتشرت التراتيل بالمزامير ترتيلا موسيقيا (٣) .

---

(٢) نفس المرجع . نقولا زيادة . ص ١٥٢ .

(٣) هـ.ج ويلز (تعريف عبد العزيز جاويد) معالم تاريخ الانسانية . المجلد الثانى . لجنة التألف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٤٧ — ص ١٥٠ .

(٣) نفس المرجع السابق هـ.ج ويلز ص ١٥٤ .

ثم أهتم زعماء الكنيسة بالتربية العقلية فأخذوا من الفكر اليونانى ما يمكنهم من مناقشة الناس فى أمور دينهم .. وحين وصل الى مسامع شرلمان ملك الفرنجة أن بعض رجال الدين لا يستطيعون القراءة والكتابة أصدر أوامره بأن يدرس رجال الدين الآدب اليونانى لتكون لهم طريقة منظمة للحياة الدينية من تعاليم الدين المقدس (١) .

كما أن شرلمان حث القائمين على خدمة الكنيسة والأديرة بانشاء مدارس فى داخلها لتعليم رجال الدين وغيرهم الكتابة والقراءة وحرص أن يكون هذا لجميـــع فئات الشعب واباح دراســـة الطب حتى يقضى على الخرافات والأوهام التى كانت تدور فى عقول الناس (٢) .

ومن اشهر المهتمين بالداسة فى الاديرة هو « اكلوين » الذى فرض دراسة الحساب والهندسة والفلك والتناسق الموسيقى والمنطق والبيـــان والفلســـفة (٣) .

وهناك نظام الرهبنة قد ظهر ويرتبط بالتفكير واثره فى تنمية العقل من الناحية التأملية،وعلى الراهب ان يتخلص من المؤثرات الحسيةوالانغماس فى افكار الانسان الذاتية وهذه هى المرحلة الاولى .. اما المرحلة الثانية فهى أن يجاهد الفرد نفسه من المؤثرات الخارجية (٤) . ثم المرحلة الأخيرة فهى اضاءة حياته بالأعمال الطيبة التى يقوم بعملها من تلقاء نفسه ، وهذا جهاد داخلى ، وهى مرحلة الاتحاد والحياة (٥) وقد تطور هذا النظام الى نظام جديد الآن .

---

(١) د. ســـعد مرسى (مرجع سابق) تطور الفكر التربوى ص ٢٤٨ .

(٢) نفس المرجع تطور الفكر التربوى ص ٢٤٩ .

(٣)لويس جـــاردية : المقدمات الفلسفية للتصوف — منشـــورات المعهد المعلمى الفرنسى للآثار الشريفة بالقاهرة — ١٩٥٢ — ص ١١٠ .

(٤)د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى . ج٢ . النهضات والحضارة والنظم — ١٩٧٨ — مكتبة الانجلو المصرية — ج٢١ ، ٢٢ .

(٥) المرجع السابق . د. سعد مرسى . ص ٢٥١ .

ونظام الفروسية يرتبط بالمثل الاجتماعية .. وهذا نظام اقرته الكنيسة للدولة ولكى يصبح الفرد فارسا فلابد أن يخضع لنظام تربوى يتمثل فى التدريب البدنى والتهذيب العقلى واقتصر هذا النظام على طبقة الأحرار فقط (١) ويتم تعليمه على مرحلتين :

المرحلة الاولى تبدأ بأن يقوم الطفل منذ دخوله هذا النظام بالخدمة فى الحصون والقلاع ثم يركب الخيل ويتعلم المبارزة وفنون القتال ثم المرحلة الثانية تعليم دينى ليعطيه طبيعة مانعة من الانخراط فى الرزيلة ثم فى النهاية يباركه قس ويقسم على أن يدافع عن الكنيسة والنساء والفقراء (٢) .

سادت الاحوال الاقتصادية والسياسية فى أوربا فى العصور الوسطى نتيجة النظام الاقطاعى وسيطرة الكنيسة وانعكس هذا الوضع على النظام التعليمى بشكل واضح وخطير فقد بقيت المناهج الدراسية على ما هى عليه وكانت المواد الدراسية باللغة اللاتينية التى صارت هى اللغة الرسمية وتقام بها المراسم الدينية فى الكنيسة ويتم التقاضى بها فى المحاكم ودواوين الحكومة ، أما عامة الشعب الأوربى فكانت له لغاته الوطنية التى يتخاطب بها ، ولا يمكن ان يلحق ابناءه فى المدارس اللاتينية . ولكن بعد أن تحسنت الاحوال الاقتصادية لعامة الشعب نتيجة ظهور المدن ونمو التجارة والصناعة ظهر ما يسمى بالتعليم الخاص والعام (٣) .

فالتعليم العام يلتحق فيه أبناء طبقات الشعب ويدرس فيه باللغة الوطنية قراءة وكتابة .. أما التعليم الخاص فهو للطبقات الغنية فى اوربا ويدرس فيه باللغة اللاتينية (٤) .

---

(١) زكى شنودة . موسوعة تاريخ الاقباط — جـ٢ . القاهرة سنة ٦٠ . ص١٢ .
(٢) نفس المرجع السابق لزكى شنودة ص ١٢٢ .
(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الاوربية فى العصر الوسيط . دار الكتاب المصرى القاهرة — ١٩٤٩ — ص ١٩١ .
(٤) نفس المرجع ليوسف كرم . ص ١٩٢ .

استطاعت الكنيسة الغربية بما لديها من سلطات دينية واسعة على الناس أن تفرض نفسها على واقع الحياة الاوربية عدة قرون مستخدمة الارهاب والسجن والقتل لتوقف حركة المنشقين عليها والخارجين عليها فى الرأى وكان لابد لهذا النظام الذى قام على القوة من فترة ما بعجزه عن الاقناع (١) .

ولما جاء القرن الثانى عشر الميلادى واتصــل اهل اوربا بالشرق الاسلامى عن طريق أوربا وجامعاتها الى طريق النقل والاقتباس من العلم الاسلامى رغم ما فرضته الكنيسة عليهم من عقوبات .

وساد السخط والتمرد على الكنيسة وثمثل ذلك فى حركة الالحــاد والهرطقة ومحاولة الكنيسة القضاء عليها وخنق انفاسها ولكن ظهر من خلال هذا كله حاجة ملحة تفرض نفسها على الجميع وهى ضرورة التوفيق بين مطالب الأيمان المسيحى ومطالب العقل الانسانى (٢) .

وبظهور جماعة التوفيق وعلى رأسهم « توماس الاكويتنى » وتصديهم لاحداث توفيق بين العقيدة والعقل الانسانى أدى الى تغيير شامل فى النظم التعليمية فى الغرب .

ثم جاءت حركة جديدة عن طريق العلماء الذين اتيح لهم فرصة تعلم العلوم العربية،ووقفوا على سر النهضة الاسلامية فاندفعوا بحماس علمى يغمر قلوبهم وأمل للوصول الى الحقيقة نحو العلوم التجريبية والرياضة والفلسفية وقد تحملوا فى كل ذلك انتقادا وســخرية وســجنا وتعذيبا وقتلا (٣) .

---

(١) د. عبد الغنى عبود (المرجع السابق) الكون والاسلام ص ٨١.
(٢) د. وهيب سمعان . الثقافة والتربية فى العصور الوسطى . ص ٩٦ .
(٣) رسل : النظرة العلمية — تعريب عثمان تــوبه — مراجعــة د. ابراهيم حلمى عبد الرحمن — الجامعة الغربية — الادارة الثقافية ، مكتبة الانجلو المصرية ص ١٠ — ١١.

ثم ظهور مارتن لوثر وقام بثورته التى نادت بالاصلاح الدينى وتحريم ما يسمى بصكوك الغفران (١) .. وأدى كل هذا الى عملية المصالحة بين الانسان وعقله بعد أن كانت هناك خصومة مختلفة بين الروح والجسد فى المسيحية وأدت الى ظهور الفرق الدينية والمذاهب المختلفة التى يكفر بعضها البعض (٢) وتحقيق هذه المصالحة بين الانسان والكون أدت فى النهاية الى التقدم العلمى والرقى الحضارى (٣) .

ومن أهم العوامل التى أثرت على تطور النظام التعليمى فى أوربا هو التوصل الى اختراع الطباعة فقد كان له الاثر الكبير فى ان يتعلم العامة القراءة والكتابة .

ومنذ القرن الثامن عشر لم يعد الدين وحده فى أوربا هو الدافع الوحيد لأنتشار التعليم وتطوره فقد ظهر خلال هذا القرن عوامل كثيرة منها المنافسات السياسية والاقتصادية بين الدول الكبرى مثل انجلترا وفرنسا والنمسا (٣) .

ولقد قامت عدة مشكلات سياسية بين هذه الدول أدت الى اندلاع الحروب فيما بينها وتنافسوا على الاستعمار والسيادة الدولية وأدى هذا الى زيادة سلطة الطبقات المتوسطة من التجار ورجال الاعمال وهذا يتطلب تعلم القراءة والكتابة وتعقدت الحياة فى أوربا مما أدى الى ظهور مفهوم جديد للتربية (٤) .

---

(١) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) القرآن وقضايا الانسان — طبعة اولى — دار الملايين — بيروت ١٩٧٢ — ص ١٠٥ .

(٢) د. عبد الغنى عبود : الاسلام والكون : دار الفكر العربى : ص ٨٠ — ٨١ — ٨٢ .

(٣) نفس المرجع — الاسلام والكون . ص ٨٤ .

(٤) نفس المرجع السابق . أهداف التربية . ص ١٦٠ .

الفصـــل الثالث

المعلمون فى المســـيحية

السيد المسيح عليه الســلام :

أول معلمى المسيحية هو السيد المسيح عليه السلام نفسه وكان يلقب فى الاناجيل بلقب المعلم وناداه تلاميذه بهذا اللقب وقد بعث معلما لبنى اسرائيل وتلاميذهم الحواريون (١) حيث يقول الله على لسانه « يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريون من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بنى اسرائيـــل وكفرت طائفة فأيدنا الذين أمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (١) .

ولقد ذكر القرآن الكريم اسمه مقرونا بأسم امه حيث يقول عز وجل « اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين » (٣) .

ويستعرض لنا القرآن الكريم تاريخ حياته من خلال استعراضه لحياة امه السيدة «مريم ابنة عمران» تلك الفتاة الطاهرة الذكية العفيفة التى وهبتها امها للمعبد وقد فوجئت فى خلوتها برجل لم يكن بحسبانها ان تراه حيث يقول عز وجل:فأرسلنا اليها روحنام نتمثل بشرا سويا«فهبت مذعورة خائفة منه فقالت « انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » ولذا سارع جبريل عليه السلام قائلا « أنما أنا رسول ربك » وأخبرها عن سبب تواجده فى معبدها قائلا « لأهب لك غلاما زكيا » فاستبعدت هذا الامر وانكرته (٤) قائلة « انى يكون لى غلاما ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا » فأخبرها أن هذا امر هين على الله سواء كانت الوسيلة عادية أو غيرها واراد الله أن

---

(١) سعد موسى : (مرجع سابق) تطور الفكر التربوى ص ٧٠.

(٢) الصف : ١٢ .

(٣) المائدة : ١١٠ .

(٤) انظر من خلال القرآن سيد قطب جـ٣ ص ٧١٠ .

يتم هذا الحادث ليكون اية للناس والامر صدر وانتهى حيث يقول عز وجل « وكان أمرا مقضيا » .

ولقد لاقت مريم مرارة النفس وآلامها لاقت حيث كان وضعها مخالفا لقوانين الواقع والطبيعة البشرية ، اذ بهذا تواجه التربية والأخلاق والقيم بينها وبين نفسها من جهة ومواجهتها للمجتمع من جهة أخرى (١) .

وكيف تتحمل هذا الصراع النفسى ؟ مع الآم الولادة ؟ اى فتاة هذه التى تتحمل ذلك لولا انهاتحت عناية الله ورعايته .

ولهذا تمنت الموت هربا من واقع صراعها النفسى وآلام الولادة ولم يكن بجوارها أحد يخفف عنها فقالت « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » .

فجاءت الولادة على غيرما تتوقعه سهلة طبيعية وحتى يطمئن قلبها ناداها من تحتهـــا ليطمئنها ويصلها بالله ويرشدها الى طعامها وشرابهـــا ويدلها الى برهانها مع أهلها ويزيل الصراع النفسى المرير وآلام الوضع وتسترد ثقتها وأيمانها بالله فاعطاها سبحانه وتعالى معجزة أن تهز جزع النخلة الذى لايمكن ان يهزه الا جماعة من الناس لهم قدرة جسدية كبيرة .. فكيف هى بمفردها تفعل ذلك الا اذا كانت هناك معونة من السماء تساندها وتساعدها مع أنها تعانى صراعا وآلاما جسديا وضعفا نتيجة الولادة ويقول الله عز وجل « فناداها من تحتها الا تحزنى فقد جعل ربك تحتك ثريا وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا » ثم أوصاها بألا تكلم أنسانا من اهلها (٢) حيث قال الله سبحانه وتعالى «فأما ترين من البشر أحـــدا فقولى أنى نذرت للرحمن صوما فان اكلم اليـــوم أنســـــيا » .

السبب فى عدم الحديث مع الآخرين هو ان يجنبها المناقشة مع الناس

---

(١) انظر فى ظلال القرآن : سيد قطب ص ٧١٨ .
(٢) راجع فى ظلال القرآن سيد قطب ص ٧٢٩ — ٧٦٠ .

حتى لاتدخل فى متاهات أو ضلالات وبدافع الله عنها بنفسه بأن يجعل طفلها هو أداة الدفاع عن أمه وقد كان امرا غريبا فى نظر القوم . كيف يكون طفلا فى المهد يتكلم مع قومها ؟ فضلا على انه يدافع عنها وقد تحقق ذلك فى قوله تعالى « فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبدالله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

ويشب السيد المسيح عليه السلام ويلتقى بيوحنا المعمدان الذى يعيش على عسل النحل والجراد الجاف وبلبس من الشعر ما تصنعه يداه (١) .

وكان يوحنا يمد يده لمساعدة الناس فى طهارة قلوبهم من خطاياهم ويبغض كل البغض التقاعد والتكاسل وأساليبه فأختار مكانا بعيدا من اورشليم لان بها عيون روما وكان تلاميذه من الكهان واليهود واتخذ أسلوبا فريدا من نوعه هو اسلوب النذير .

ثم يحضر المسيح عليه السلام تعميد يوحنا لجماعة من الناس جاءت اليه فيتقدم المسيح منه راجيا أن يعمده فيهمس يوحنا فى اذنه قائلا « أنا محتاج أن أتعمد منك » .

ويقبض على يوحنا ويزج به فى السجن ويعود المسيح الى مصر ليتلقى رسالة من السماء ويبعث فى بنى اسرائيل (٢) ويختار تلاميذه ، من صيادى السمك الفقراء فى بحر الجليل وقد قيل انهم يجيدون القراءة والكتابة مع مجموعة مثقفة على راسهم لوقا صاحب بولس الرسول (٣) .

لقد كان للسيد المسيح دراية واسعة بالكتب والاسفار القديمة وله طريقة دقيقة فى الرد على أسئلة سائلية ومناقشة كل من يجادله وهو يجيد

---

(١) خالد محمد خالد : المسيح ومحمد : الطبعة الخامسة ٤ ١٢ دار المعلم للملايين بيروت ص ١٢٠ .

(٢) نفس المرجع المسيح ومحمد ص ١٢١ .

(٣) عباس محمود العقاد : عبقرية أسليح دار الهلال : ص١٦٠.

ثلاث لغات اليونانية والعبرية الأراميه وقد تربى المسيح بمصر فلابد كان يعرف اللغة المصرية القديمة « الديمقراطية » وكـان أسلوبه سهل ممتنع ومشوق يؤثر فى مستمعيه (١) ويتخذ الأمثلة للرد بها على كل من يناقشه فيهـا .

مثل ذلك « زارع خرج ليزرع وفيما هو فى الطريق سقط بعض البذور فجاءت طيور السماء وأكلته وسقط بعضها فى مكان محجر خفيف التربة فنبت على الاثر ثم لم يابه ان اشرقت عليه الشمس فاحترق واذ لم يكن له عمق فى جوف الارض جف وسـقط بعض البذور بين الشـوك فطلع الشوك وخنقه فلم يثمر وسقط غيرها على الأرض فأعطى ثمرا يصعد وينمو فأن واحدا بثلاثين وآخر بستين وآخر بمائة ومن له اذان للسمع فليسمع » .

اتخذ المسيح عدة اساليب أو خطط مختلفة لمواجهة معارضيه ولاقناع تلاميذه وعلاج مشاكلهم وهذه هى الحكمة التى منحها الله اياه ليخاطب الناس على قدر عقولهم ويعالجهم من الامراض الاجتماعية كل حسب ما عنده وله سرعة بديهة ولباقة فى الرد على كل من يناقشه وله دراية كاملة ، ونظرة شافية بالحياة (٢) ومشاغل من يحيط به . فيعالج امورهم ويتعرض لمشاكلهم ويضع لها الحلول بطريقة غير مباشرة ولقد كان له قدرة على التعرض لموضوعات مختلفة مثل الحـكومة الرومانية ومشـاغلها ومشاكلها والضرائب وقيمتها وطرق جمعها وأوجه الأنفاق منها والدنيا وما فيها من نفع وملذات والحث على التخلى عنها والأخرة وما فيها من خلود ونعيم والحث على السعى اليها (٣) وحث على مساعدة الفقراء ومعاملة النساء معاملة طيبة والاطفال وملاطفتهم والتحدث معهم والشيوخ ومساعدتهم واعانتهم (٤) .

---

(١) سعد مرسى : تطور الفكر التربوى (مرجع سابق) ص ١٤٥ .
(٢) خالد محمد خالد (مرجع سابق) المسيح ومحمد ص ٩٧ .
(٣) نفس المرجع ص ١١٢ .
(٤) عباس محمود العقاد (مرجع سابق) حياة المسيح ص ١٨٩ .

وقد اتصفت طريقته فى التعليم بالمرونة والصدق والبساطة واستخدام الاستعارات والكنايات والحوار والمناقشة (١) .

وطريقة اجتماعه بتلاميذه تشبه حاليا طريقة آلتقاء طلاب الجامعة باستاذتهم فى قاعات المحاضرات . فلقد كان تلاميذه يجلسون وهو يقف على ربوة عالية يستمعون لحديثه ... ولقد أعطى لتلاميذه أمثلة صادقة منها الحب للخالق ومخلوقاته وايمانه المطلق فى قضاء الله وقدره ونصرته للحق والغضب على من يراوغ عن الحقيقة (٢) .

ولقد حرر السيد المسيح الانسان من ربقة العبودية فى حياته وفى اعطائه التضحية فى صلاته وفك قيوده من التقاليد الاجتماعية ومن قسوة الرومان وعنصرية اليهودية (٣) .

حيث قال :

« من منكم وهو ابيسأله ابنهخبزا فيعطيه حجرا أو سمكةفيعطيه جبنا أو بيضا ، فان كنتم وانتم أشرار تعرفون ان تعطوا اولادكم عطايا طيبة فبالاخرى ابوكم الذى فى السموات يهب خيراته للذين يسألونه » .

كما طالب اليهود أن يعطوا الحق لصـــاحبه وان يعارضوا الظالم والظلم ويعارضوا أيضا الوثنية بما فيها من فساد وانحلال وبعد عن الحقيقة والصواب حيث قال .. « ياأولاد الافاعى تعرفون الحق .. والحق يحرركم « كما نادى عليه السلام بحرية الناس لانهم من أصل واحد وهو آدم وامه واحدة وهى حواء (٤) حيث قال :

« من هى أمى ومن هم اخوتى » ثم يبسط كفه المضيئة صوب تلاميذه ويقـــول :

---

(١) عباس محمود العقاد (مرجع سابق) تطـــور الفكر التـــربوى ص ١٥٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٥٨ .

(٣) خالد محمد خالد (مرجع سابق) المسيح ومحمد ص ٣٦ .

(٤) خالد محمد خالد (مرجع سابق) (محمد والمسيح) ص ١٢٤ .

« هاهى أمى واخوتى ... لان من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى واختى وأمى » .

وقد عارض اليهود فى متعقداتهم التى تقول بأنهم شعب الله المختار لانهم أولاد ابراهيم عليه السلام وهم أفضل البشرية جمعاء فقال لهم :

« يا أولاد الافاعى وتقولوا لنا يا ابراهيم أبا ... لانى اقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم والان وقد وضعت الفأس على أصل الشجرة فكل شجرة لا تصنع ثمرا تقطع وتلقى فى النار » .

ثانيا : تلاميذ السيد المسيح عليه السلام :

كل تلاميذ السيد المسيح وهم الطليعة الاولى التى التفت حول المسيح آزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل عليه وقد عرف المسيح عيوبهم وموضع ضعفهم فعالجهم بحكمته الربانية وعلمهم الطاعة وانكار الذات وطريقة مخاطبة الناس وحذرهم من الفتنة وما تؤدى اليه من نتائج خطيرة على المجتمع وبغضهم فى الرياسة والتنافس عليها لانها مفسدة لنور حياتهم (١) ولقد حملهم مسئولية نشر رسالته وتعليمها للناس حيث قال لهم : « أنتم نور العالم فليسطع نوركم بين الناس » وقد قاموا بهذه المهمة خير قيام فنقلوها من أرض اليهود والرومان الى شعوب أوربا حتى تم لهم نشر الدعوة وتهذيب الاوربيين (٢) .

وقد تعرضوا لمتاعب جمة فقد اطلق عليهم اسم القديسيين وكانوا يتخذون من حياة المسيح نبراسا يستضيئون به ويحذرون حذوه فى التقائهم بتلاميذه فوق الجبال او فى الصحارى او فى الكهوف (٣) .

وقد جمعهم السيد المسيح قبيل وفاته وكان يبدو على وجهه القلق

---

(١) محمود عباس العقاد (مرجع سابق) حياة المسيح ص ١٦٤ .
(٢) محمد عزت اسماعيل : النصرانية والاسلام (مرجع سابق) ص ٢٨٣ .
(٣) محمد سعيد عاشور : (مرجع سابق) العصور الوسطى جا .

فجلسوا وكأن الطير على رؤوسهم ،واعتقدوا بأن هناك أمرا خطيرا وهاما قد حدث وقد ظل يتفرس فى وجه كل واحد منهم كأنه يريد أن ينفذ الى اغوار قلوبهم ليعرف طبيعة هذه القلوب ،وكان عمله هذا من طبيعة السيد المسيح الروحية وكأنه يريد ان يمدهم بلمسات روحية من عنده، وبعد فترة احضر بعض الماء واخذ يغسل رؤوسهم ثم انذرهم قائلا :

« هانذا اطهركم واعمدكم بالروح القدس وغدا ستحملون الامانة تضطلعون بعبء الرسالة .

كانت كلماته هذه ايذانا بتحمل رسالته من بعده وهى مسئولية خطيرة لها متاعبها ومعالمها قد القيت على عاتقهم لتعليم الناس . وبعد وفاته تفرقوا فى الارض لنشر تعاليم المسيحية ووصايا المسيح والدفاع عن عقيدتهم ولكن الرومان لم يتركوهم بل تعرضوا لهم بالقتل والتعذيب وقد اعتبروا المسيحية امتدادا لليهودية التى يبغضونها من قبل . ومن اشهر تلاميذ المسيح (١) وقد عرفوا فى اقرآن باسم الحواريين . وعددهم اثنا عشر وهم الذين آمنوا به وعاونوه وتتلمذوا على يديه وهم :

١ — سمعان المعروف باسم بطرس
٢ — اندراوس آخو سمعان
٣ — يعقوب بن زيدى
٤ — يوحنا اخو بطرس
٥ — فلبس
٦ — برتولماوس
٧ — توما
٨ — متى العشار
٩ — يعقوب بن حلقى
١٠ — لبلوس الماق تدارس
١١ — سمعان القانونى (القيور)

---

(١) محمد عزت اسماعيل (مرجع سابق) : النصرانية والاسلام ص ١٢٠ .

١٢ — يهوذا الاسخربوطى

وقد اختير (متياس) بدلا من يهوذا الخائن الذى وشى بالمسيح لدى اليهود فأكمل الاثنى عشر (١) وقد قاموا بالدعوة للمسيحية فى انحاء الدولة الرومانية متخذين نفس الاسلوب الذى اتبعه السيد المسيح (٢) .

ثانيا أصحاب الاناجيل كمعلمين ودعاة :

(١) متى :

هو أحد تلاميذ المسيح وهو من جباة الرومان فأراد أن يستخدمه المسيح لنفسه حيث قال له : « اتبعنى فتبعه (٣) وكان السيد المسيح يأكل مع الجباة والخطاه حيث قال « لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى فأذهبوا وتعلموا ما هو ... انى أريه الرحمة لا ، ذبيحة ... لانى لم أت لادعو ابرارا بل خطاة الى التوبة » .

ولقد مات متى سنة ٧٠م ببلاد الحبشة على أثر ضربات أخذها من أحد أعداء ملك الحبشة وقد ظل يدعو للمسيحية ما يقرب عن ربع قرن مبشرا بها ومعلما لمن يدخل فيها (٤) ،وهوصاحب أنجيل متى وقد كتبه سنة ٤١ م باللغة العبرانية وترجم لليونانية ووجه لليهود (٥) .

(٢) مرقص :

أصله يهودى وأسرته باورشليم واستجاب لدعوة المسيح عليه السلام وجاهد فى سبيلها ونشر تعاليمها فى كل من انطاكية واورشليم وقبرص وشمال أفريقيا ومصر وقد أستقر بها أخيرا حتى مثل بجسده الوثنيون بعد سنة ٦٢ موكتب أنجيله باليونانية وكتب الرومان (٦) .

---

(١) العهد الجديد انجيل متى : الاصحاح العاشر ٢ — ٤

(٢) دكتور أحمد شلبى : مقارنة الاديان (٢) المسيحية — طبعة خامسة ٧٧ مكتبة النهضة المصرية ص ١٩٣ ..

(٣) محمد أبو زهرة محاضرات النصرانية (مرجع سابق) ص ٥٨ .

(٤) دكتور أحمد شلبى (مرجع سابق) المسيحية ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٥) نفس المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٦) محمد عزت اسماعيل (المرجع السابق) النصرانية والاسلام ص ١٥٠ .

٣ — لوقـــا :

احــد تلاميـــذ السيد المسيح ذو شـــأن خطير فى المسيحية درس الطب ونجح فيه وكتب عنطبيعة ولادة المسيح وانجيله باليونانية وكتب لليونان (١) .

٤ — يوحنـــا :

احد تلاميذ السيد المسيح له شأن خطير فى المسيحية وله دور عظيم بالتبشير لها حتى مات وكتب أنجيله للعامة سنة ٨٩م ويشمل اخبار السيد المسيح ومحاوراته وقصصه وخطبه (٢) .

الرهبـــان :

لقد دعا السيد المسيح عليه السلام تلاميذه قائلا اذا أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعطى الفقراء فيكون لك عزة فى السماء ثم « اتبعنى ويقول » « من اضاع حياته من اجلى يجدها « ويذكر كذلك من ترك بيوتا او حقولا من اجل أسمى يأخذ ضعفا ويرث الحياة الابدية » .

دعى المسيح تلاميذه أن يتركوا ملذات الحياة ومتعها وبيوتهم وحقولهم ويتبعوه ويتبعوا تعاليمه ووصـــاياه ويتجهوا الى حياة روحية ليكونوا مثاليين (٣) والمسيح عليه السلام قصد من وراء ذلك ان يتفرغ الدعاة تفرغا كاملا فلا تشغلهم الاسرة والارتباط بالمراة كما يقول بعض مؤرخى المسيحية وايضا ما يتطابه الحياة الزوجية من مسئوليات ومتطلبات واحتياجات وهم فى غنى عنها،كما أن السيد المسيح حين يوجههم الى الأمم بأشخاصهم دون ان تؤيدهم دولة او قوة معرضون لشىء من التعذيب ولسجن او القتل (٤) .

حيث يقول السيد المسيح « يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطـــون

---

(١) محمد أبو زهـــرة (مرجع ســـابق) محاضرات فى النصرانية ص ٥٩ .

(٢) محمد أبو زهـــرة (مرجع ســـابق) محاضرات فى النصرانية ص ٦٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٦٢ .

(٤) العهد الجديد : انجيل متى — ١ — الاصحاح اتاسع عشر ١٢ .

امهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا انفسهم لأجل ملكوت السموات ومن استطاع أن يفعل فليفعل (١) .

هذه دعوة صريحة للرهبنة التى اتخذتها المسيحية ولم تضع لها شروطا وجاءت الكنيسة فى العصور الوسطى فوضعت عدة شروطا منها معرفة أسباب التحاق الفرد واقباله على حياة الرهبنة هل ياترى عن طريق الاقتناع بها عن عقيدة أو هروب من موقف أو حادث أو جريمة قتل ؟ .

وتجرى على الراهب عدة أختبارات لتقرر صلاحيته للرهبنه...فاذا اجتازها بنجاح طلب منه ان يرقد على ظهره امام الهيكل فتقام عليه صلاة خاصة رمزا على انه قد ترك الحياة الدنيا وانتقل الى عالم جديد وتخلى عن والديه وأسرته وأحبابه وزهد فى الدنيا وكره المال ولابد أن يرهق جسمه بالعبادات وعدم العناية بطعامه ولباسه ويزهد فى النساء وان يكون فى خدمة الآخرين مهما كانوا (٢) .

ولا يستطيع الراهب ان يسلك هذا الطريق الوعر المملوء شوكا دون أن يوجهه أحد فلابد أن يصحب معلما من الرهبان له خبرة قديمة طويلة فى الرهبنة وعلى هذا المعلم أن يبذل قصارى جهده فى توجيه الراهب الجديد وعليه أن يحترمه او يوقره ويأخذ برايه ووصاياه (٣) .

تسلم هؤلاء الذين كرسوا حياتهم الرهبنة زمام التربية المسيحية فى العصور الوسطى فى اوربا وقد عملوا على فصل المدرسة عن الحياة الواقعية ورغم هذا فقد كان معظمهم لا يجيدون القراءة والكتابة بسبب جهودهم الروحية التى يبذلونها فى عملية الاستغراق الروحى ، حتى جاء قانون جديد حدد ساعات التعبد مما اتاح للراهب ان يتعلم القراءة والكتابة ويتفرغ لدراسة الآدب والفلسفة (٤) .

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور (مرجع سابق) أوربا العصور الوسطى جا ص ٤٨ .
(٢) د. احمد شلبى (مرجع سابق) المسيحية ص ٣٦١ .
(٣) نفس المرجع السابق (المسيحية للدكتور احمد شلبى) ص ٣٦٣
(٤) بول مرد : المرجع فى تاريخ التربية جا . ص ٢٥١ .

وكانت حالة الراهب المادية سيئة للغاية مما جعلته يتجه الى اكتساب رزته . فأتخذ من نسخ الكتب مهنة ووسيلة فانتج انتاجا أدبيا كثيرا يشمل حياة القديسين وقصصا أخلاقية مختصرة (١) .

ويعتبر الرهبان من أهم قطاعات الكنيسة فى العصور الوسطى وقد عمل الرهبان على تثبيت النظام الاجتماعى فى أوربا عن طريق التربية ومعرفتهم باللغة اللاتينتة واسرارها وجهل الشعب بها وقد احتكروا التعليم للمنفعة الشخصية التى تعود عليهم (٢) .

المعلمون فى المرحلة الاولية :

وجدت تفرقة بين معلمى المواد الراقية والمواد الأولية بشكل واضح فالذين يقومون بالتدريس فى المرحلة الاولية كانوا من الموظفين الذين يعملون فى الكنائس ورجال الدين كما انه بعض الاحيان كان الذين يقومون بتربية الأطفال هم الذين اتفقوا مع آبائهم (٣) .

ولم يكن رجال الدين يقومون بتعليم الأطفال مبادىء القراءة والكتابة يتخذون منها وسيلة لتحقيق أغراضهم المادية وانما تقربا الى الله وهدفا للنهوض بالمجتمع المسيحى ثقافيا .

المعلمون فى المرحلة الراقية :

يتم اعدادهم بنفس النمط الذى أعد به المعلمون فى المرحلة الأولية وكانت تعطى لهم درجات علمية تجعل من حقهم التدريس (٤) وكانوا يدرسون الفنون المهنية الحرة التى كانت شائعة لدى اليونان وكان الطالب يتعلم منهة التدريس عن طريق الممارسة ثم بعد ذلك يحصل على رخصة لمزاولة المهنة من رئيس الكاتدرائية وقد ظل هذا الامر فى يد السلطات

---

(١) نفس المرجع السابق : المرجع فى تاريخ التربية . ص ٢٥٢ .
(٢) سعد مرسى (مرجع سابق) تطور تاريخ الفكر التربوى . ص ٢١٠ .
(٣) نفس المرجع السابق . ص ٢١١ .
(٤) هيب سمعان — دراسات فى التربية المقارنة — مكتبة النهضة ص ٤٢٢ .

الدينية حتى قوى شأن الدولة (٤) وكان عدد كبير من المدرسين لهم شهرة شائعة كشهرتهم كرجال دين ووجدت تجمعات بين الطـــلاب والمدرسين تشبه الاتحادات أو النقابات فى عصرنا هذا (٥) .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٢٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٢٤ .

الفصـــل الرابـــع

المؤسسات التربوية فى المسيحية

لقد لعبت المؤسسات التربوية دورا خطيرا فى النظـــام التربـــوى المسيحى فى العصور الوسطى فلقد تحكمت الكنيسة فى تقاليد التربيـــة فوجهتها الى تربية دينية مستمدة من الاناجيل الاربعة (انجيل متى ، انجيل لوقا ، انجيل مرقس ، انجيل يوحنا) ثم تطورت المجتمعات الاوربية ومعها نظم التربية والمناهج الدراسية لـــدرجة ان شـــرلمان أهتم بالمؤسسات التربوية فقا بتطويرها واحتكر التعليم فيها حتى القرن الحادى عشر الذى بشر بقيام نهضة علمية فى اوربا (١) .

واهم هذه المؤسسات هى :

اولا : الاديـــرة :

زاد الاضطهاد الرومانى للمسيحيين مما جعلهم يفرون الى الجبال والكهوف والتلال لأقامة شعائرهم الدينية .. ولقد كثر عددهم لدرجة انهم استحبوا تلك الحياة الجديدة ولكن تعرضوا لهجمات اللصوص واغاراتهم حتى لم يأمنوا على حياتهم وتعرضوا لعمليات السلب والنهب وكان لابد ان يفكروا فى حماية أنفسهم من هذه الغارات ففكروا فى أقامة أسوار تحيط بالأرض التى يعيشون عليها على هيئة دائرة ومن هنا اطلق عليها أسم الدير وقد زاد عدد الأديرة فى الصحارى نتيجة زيادة عدد الفارين والهاربين بحياتهم من الرومان (٢) .

ويذكر بعض مؤرخى العصور الوسطى بأن سبب بناء الاديرة فى الصحارى وعلى الجبال هو الابعد عن زخرف الحياة وملذاتها وعن الضوضاء

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا العصور الوسطى . ص ١٨٣ .

(٢) محمد عزت اسماعيل (مرجع سابق) ص ٢٥ .

فى المدن والقرى (١) ، وأن هذا العصر كان امتداد لعصر السيد المسيح عليه السلام حيث كان يلتقى بتلاميذه على الجبال ليتناقش معهم فى أمور دينهم .

ويقال أيضا أن الاديرة قد قامت فى مصر فى بداية الأمر ويرجع ذلك الى الاضطهاد الدينى الذى وقع على مسيحيى مصر من الرومان مما جعل المصريين يفرون الى الصحارى ويقيمون الأديـرة لحمايتهم من الرومان وتعذيبهم وظل هذا الوضع حتى جاء الفتح الاسلامى ونال المسيحيون قسطا وفيرا من التسامح الدينى الذى لم يحظوا به من قبل فأقاموا شعائرهم وطقوسهم الدينية فى أمان ويقال أيضا ان نظام الأديره المصرية قد نقل الى أيطاليا وفرنسا وألمانيا (٢) .

وتستقبل الأديرة الزوار من مختلف الأجناس وتقدم لهم الخدمات بدون مقابل ولقد قام القائمون على الاشراف فيها بتقديم خدمات تعليمية لاطفال المسيحية وتعليمهم القراءة والكتابة (٣) .

ورغم هذه الخدمات فان الرهبان فى الأديرة لا يعرفـون القراءة والكتابة باللغة اللاتينية ومن هنا صدر قرار يحث على تعليم اللغة اللاتينية قراءة وكتابة مع دراسة الادب والشعر والفكر اليونـانى حيث يتمكن الرهبان الرد على معارضيهم فى الدين ولقد حددت بعض الأديرة ساعتين لكل راهب يتفرغ فيها للدراسة (٤) .

ولسوء الحالة المادية لدى الرهبان فقد قاموا كما ذكرنا بنسخ عديدمن كتب الادب التى نقلت مترجمـة من الكتب العربية حين اتصـلوا ببلاد الأندلس أو من خلال حروبهم الصليبية (٥) .

---

(١) نفس المرجع ص ٢٥٢ .
(٢) بول منرو (نفس المرجع — تاريخ التربية القبطية) ص ٢٥١ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٥٢ .
(٤) نقولا زيـادة : عالم العصـور الوسطى فى اوربا — المكتبة العصريةالقدس — فلسطين — ١٩٤٧ — ص ١٣٠ .
(٥) نفس المرجع السابق . عـالم العصـور الوسطى فى اوربا ص ١٣٢ .

ولقد ادخلت فى مدرسة الدير التى انشأتها شرلمان دراسة الموسيقى والغناء ودراسة الرياضة والهندسة مما ادى هذا كله الى نهضة تعليمية وقد امتلئت خزائن الملوك والأشراف والأغنياء بالكتب ولقد ظلت مدارس الأديرة تقوم بدورها فى عملية التعليم حتى ظهر النظام التربوى الحديث فى المدارس والجامعات الحديثة (١) .

وقد يأتى الناس من الصحراء الحارة الملتهبة للاستراحة فى الدير أو لقضاء نذورهم وقد يكونوا وثنيين أو مجوسا فيأخذ الراهب فى تعليم هؤلاء الديانة المسيحية وطقوسها وصلاتها (٢) .

وللراهب دراية بعلم الفلك والحساب وعلم الطوالع وسائر علوم أيامه ولكل دير رئيس يمكنه أن يطرد أى راهب يتصرف تصرفا يسىء الى سمعة الدين او الرهبنة (٣) .

وهناك أجراس تعلق بباب الدير وتدق حين قدوم غريب اليها فيقدم له الطعام او اى خدمة يطلبها دون سؤاله عن سبب لجوئه الى الير (٥) .

ثانيا : الصوامع :

هى ابنية مظلمة اشبه بالمغارة لخلوها من النوافذ الا نافذة واحدة ضيقة فى بعض جوانبها وارضها من الحجارة وفى جدرانها صور أمام كل صور مصباح ضعيف النور وفى هذه الصومعة يجلس الراهب وبيده مسبحة طويلة على مقعد من الحجر المنحوت وله ثوب طويل هو ثوب الرهبنة والناس يتزاحمون للوصول اليه تبركا متمنيا ويقبلون يديه وهو يدعو لهم

---

(١) يوسف كرم . تاريخ الفلسفة الاوربية فى العصر الوسيط . دار الكتاب المصرى — القاهرة — ١٩٤٩ — ص ١١٣ — ١١٤ .

(٢) نفس المرجع السابق لتاريخ الفلسفة الاوربية . ص ١١٦ .

(٣) وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور القديمة ودراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) دار المعارف بمصر سنة ٩٦٩ ص ١٨٠ .

(٤) نفس المرجع : الثقافة والتربية . ص ١٨١ .

بتحريك شفتيه (١) ببعض الكلمات من الكتاب المقدس .

وهناك فى الصومعة يجلس من يريد أن يأخذ بعض الوصايا من الراهب متربعا فيلقى فى اذنه ما يشفى نفسه .. وفى بعض الأحيان قامت الصوامع بتدريس القراءة والكتابة لبعض الرهبان الجدد (٢) .

ثالثا : الكنيسة :

كان للكنيسة الأثر الكبير فى الحياة العلمية والسياسية فى أوربا وتوجيهها لمصلحتها ولقد تدخلت الكنسة فى شئون المجتمع وحياة أفراده لدرجة ان ما تفرضه الكنيسة يجب ان يطاع بدون تغيير او تبديل (٣) .

وكانت لا تعفو عن اى أنسان منحرف الا فى نظير جزء من المال يدفعه لها وقد تحول هذا الى ما يسمى بصكوك الغفران وهو ان يدفع المذنب ما تقرره الكنيسة لمحو سيئاته فتعطى له صكا بأنه قد غفر له ذنبه (٤) .

وقد أعتبر هذا من شعائر المسيحية لأن ما تقوم به من اجراءات فى مفهوم المسيحية يعد الهاما من المسيح نفسه وبهذا سيطرت الكنيسة على عقول الناس وصار لها سلطان ضخم فهى وحدها الحياة والجنة والنعيم وخارجها الموت والجحيم (٥) ..وهذا مستمد من قول المسيح عليه السلام « الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وما تحاونه على الأرض يكون محاولا فى السماء » (٦) وبناء على هذا القول صارت

---

(١) جورجى زيدان : قناة غسان — طبعة ٦٦ دار بيروت ص ٣٢٥

(٢) نفس المرجع ص ٣٢٦ .

(٣) سعد مرسى : تطور الفكر اتلربوى ٢١١ .

(٤) سعد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق اوربا فى العصور الوسطى ص ١١١ — ١١٢ .

(٥) نفس المرجع السابق أوربا فى العصور الوسطى ص ١١٤ .

(٦) يوسف مكرم :تاريخ الفلسفة الاولاربية فى العصر الوسط (مرجع سابق ص ١٣٨) .

سلطة الرهبان سلطة أحقية الزام الناس باتبـــاع الكنيســـة وتعيلمها والخضوع لها خضوعا تاما (١)

ولقد سيطرت الكنيسة على التعليم وجعلته للأغنياء دون عـــامة الشعب ونتيجة لهذه السيطرة فان معظم الشعوب الاوربية وقعت فريسة للجهل والمرض والفقر .

واعتمدت الكنيسة اعتمادا كاملا على الكتاب المقدس وكل جديد عنده ليس له سند فى الأنجيل مرفوض تماما وغير مقبول منها مثل كروية الأرض وعلاج المرضى بحقنهم تحت الجلد (٢) .

وتدخلت الكنيسة فى حياة الناس لدرجـــة ان من يخالفها يعاقب بتهمة الهرطقة وهذه التهمة تؤدى بحياته وفرضت على الأنتـــاج العقلى قيودا لدرجة أن المؤلف يعرض انتاجه أولا على قسيس ليأمره بطبعه ومن يخالف ذلك يعرض نفسه لمحاكمة أمام محاكم التفتيش التى تدينه وتحكم عليه بالحرق أو الشنق أو التعذيب (٣) .

أما الكنيسة فى المانيا فقد انشقت عنها حين نادى مارتن لوثر ببطلان صكوك الغفران وفلسفة افلاطون وأرسطو ولم يعطل أصلا من أصولها المسيحية وكانت هذه الحركة لاصلاح الكنيسة وليست لاصلاح المسيحية وسموا بأسم البروتستانت (٤) .

ولم يجد البروتستانت طريقهم سهلا وانما وجدو شاقا وقد هاجـــم الكاثوليك أراءهم وتطور الصراع الى صراع دموى مدمر سقط فيه الأبرياء وتناسى المسيحيون تعاليم السيد المســـيح عليه الســـلام التى تدعو كل مسيحى الى السلام والمحبة وانتشرت فى غرب اوربا محاكم الصقت التهم

---

(١) نفس المرجع تاريخ الفلسفة ص ١٣٩ .
(٢) نفس المرجـــع .
(٣) هـ.ج ويلز : تعريف عبد العزيز توفيق جاويد — موجز تاريخ العالم — مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ ص ١١٠ .
(٤) نفس المرجع السابق (موجز تاريخ العالم ص ١١١ — ١١٢).

للابرياء وملئت ساحات الاعدام بجماجم الناس (١) .

وعرفت أوربا أعيادا كلها دماء وبغضاء وكراهية وبنفس الكراهية والتعصب الدموى قابل البروستانت الكاثوليك وقد ازدادو فى بغضهم الأعمى حتى دمروا كل شىء فى طريقهم (٢) .

وأتصلت أوربا بالعرب عن طريق بلاد الاندلس والحروب الصليبية واغترفت من المنبع الحضارى — ما شاء لها ان تغرف فى ذلك الوقت . فعرفت كثيرا من العلوم والآداب .. والفلسفات (٣) .

وقد قامت الكنيسة بتعليم أطفال المسيحية القراءة والكتابة فى أوقات متفاوته ولم تكن ملتزمة بذلك ومعنى ذلك أن التعليم الأولى لم يكن اجباريا وقد نادى ملوك أوربا بالأستقلال من سيطرة الكنيسة على ممالكهم وظهرت القوميات الاوربية وبظهورها ظهرت اللغات المحلية كالانجليزية والفرنسية ومن هنا بدأت الحكومات الاوربية تهتم بالتعليم العام منفصلا عن الناحيه الدينية فى اوربا ونتيجة لهذا الاستقلال رأينا فى اوربا الان حضارة تمشى بخطى سريعة نحو التقدم والتطور (٤) .

رابعا : المدارس المسيحية :

ساهمت تعاليم السيد المسيح عليه السلام فى اتاحة الفرصة امام الأطفال المسيحين دون تفرق بينهم فى التعليم فظهرت المدارس المسيحيه جنبا الى جنب مع المدارس الرومانية والاغريقية وأهمها :

١ — المدارس المسيحية الاولى :

وهدفها معارضة أخلاق الرومان والأغريق ولقد تعددت واتخذت من

---

(١) محمد عزت اسماعيل (مرجع سابق) النصرات والاسلام ص ١٣٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٣٤ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٠٩ .

(٤) زكى شنودة : موسوعة تاريخ الاقباط — جا القاهرة ٨٩٦ ص ٧٩ .

الكنائس مقرا لها وثبت فى نفوس تلاميذها بطريقة نظرية وعملية المبادىء والقيم وتعاليم المسيحية (١) .

وأتاحت أيضا الفرصة أمام المراشدين من اليهود والرومان الوثنيين من معتنقى المسيحية (٢) لدخول هذه المدارس وكانت برامج التعليم تشمل التهذيب الحقيقى والعقلى مع دراسة الموسيقى لاستخدامها فى عملية التراتيل الدينية (٣) .

٢ ـ مدارس الحوار الدينى :

وهى أرقى أنواع المدارس وتقام الدراسات فيها على الفكر اليونانى حين يتمكن خريجها من الوقوف أمام أى مناقشة علمية للدفاع عن المسيحية ضد معارضيها والوقوف جنبا الى جنب مع المدارس الرومانية والاغريقية فى ذلك الوقت (٤) .

٣ ـ مدرسة الاسكندرية :

لعبت هذه المدرسة دورا بالغ الأهمية على يد أحد الفلاسفة وهو بانتينوس » الذى خرج على فلسفة وتعاليم الرواقيين واعتنق المسيحية وأصبح رئيسا لهذه المدرسة وقد وضع منهجا كاملا لها ، ومن خلال الدراسة صارت الفلسفة والخطابة فى خدمة الكنيسة (٥) ثم تبعه كل من كلمنت واورجان وهم من الاوائل الذين ظهرت على يديهم ملامح وصايا وتعاليم المسيحية فى الشرق (٦) .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٨٠ — ٨١ .
(٢) يوسف مكرم : تاريخ الفلسفة اليونانية — دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ — ص ٧٨ نفسه .
(٣) المرجع السابق الفلسفة اليونانية ص ٨٨ .
(٤) نفس المرجع السابق الفلسفة اليونانية ص ٨٩ — ٩٠ .
(٥) نتولا زيادة : عالم العصور الوسطى فى أوربا (مرجع سابق) ص ١٤٠ .
(٦) نفس المرجع السابق ص ١٤١ .

٤ — الكاتدرائيات :

وهى على نمط مدارس الحوار الدينى من حيث الأنظمة والمناهج الدراسية ثم تطورت الانظمة بها حتى صارت مركز للاهوت المسيحى لكى يتخرج منها رجال الدين المسيحى وتتوقف ترقياتهم فى وظائفهم على ما حصلوا عليه من فكر ونمو المسيحية فى اوربا يرجع الى المدارس وازدادت الحاجة لرجال الدين وبهذا اتسعت هذه المدارس وتوطدت مكانتها بعد سقوط معاقل الوثنية وظهور المسيحية كدين رسمى فى أوربا (١) .

وبعد عام ٧٨٧م وهو العام الذهبى فى التعليم منذ اصدر شرلمان ملك الفرنجة أمر بالاستيلاء على هذه المدارس ووضعها تحت اشراف الدولة وقد وضع بعمله هذا اللبنه الاولى للتربية الحديثة فى اوربا (٢) .

خامسا : المدارس الحرة :

وهى مرحلة أولية لتعليم ابناء الطبقات الصغيرة القراءة والكتابة باللغة الوطنية أما الطبقات الغنية فانهم كانوا يحصلون على التعليم الأولى فى منازلهم أو فصول خاصة بهم وهذه المدارس الحرة لا تنتقل لاى مرحلة اخرى من مراحل التعليم وقد اتخذ الكتاب المقدس أساسا للتعليم فيها .

سادسا : المدارس الثانوية :

أعدت هذه المرحلة لابناء الطبقات الغنية وكانت الدراسة فيها باللغة اللاتينية مع دراسة الفكر اليونانى والرومانى فى هذه المدارس من أدب وفلسفة وخطابة وغيرها (٣) .

المناهج الدراسية المسيحية :

فى بداية المسيحية لم يكن المسيح عليه السلام يتبع اى طريقة او

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى (مرجع سابق) ص ٨٩ .

(٣) دكتور وهيب سمعان (مرجع سابق) دراسات فى التربية المقارنة (ص ٢٢٧ — ٢٢٨) .

اى خطة فى تعليم تلاميذه وانما ينتظر الفرصة ويستخدمها ببراعة ليعالج بحكمة كل الموضوعات التى تثار من حوله .

فلم يكن هناك منهجا مخططا لعملية التدريس وانما كانت موضوعات تشغل اذهان الناس الذين من حوله واهمها :

١ — القانون الرومانى ومساوئه .

٢ — الحكومة الرومانية وفساد أجهزتها .

٣ — الضرائب ورايه فيها .

٤ — الاحسان للفقراء ومساعدتهم .

٥ — الوصايا العشر .

٦ — ملكوت السموات .

٧ — العالم الآخر .

وكان يتخذ من الشك وسيلة ليصل الى اليقين وقد استخدم العديد من الاستعارات والرمزيات والكنايات حين يريد ايصال بعض المعلومات لتلاميذه ومن بعده تلاميذه قد اعتمدوا على الكتاب المقدس .

ومع تطور الحياة ، فرضت المناهج الدراسية اليونانية والرومانية فى المدارس المسيحية للرد على معارضى المسيحية . ثم تقلبت أساليب ونظم التربية الغربية فى عصر النهضة الأوربية ، وظلت أوربا تساهم فى التربية وتطويرها حتى وصلت بها الى ما هى عليه الآن .

الباب الثانى

التربية الإسلامية فى صدر الاسلام

الفصــل الاول

فلسفة التربية الاســلامية واهدافها وخصائصها

فلســفة التربيــة :

من الطبيعى ان يختلف اى منهج تربوى عن الآخر على مر العصور المختلفة ويرجع ذلك الى اختلاف مصادر التربية، ولهذا اختلف منهج التربية الاسلامية عن غيره من المناهج اختلافا فى الأسس التى قام عليها والمصادر التى اعتمد عليها وتختلف مع هذه المناهج فلسفات التربية .

وتستقى فلسفة التربية الاسلامية جوهرها من القرآن الكريم وهو المصدر الاول ولاشتماله على بعض الامور المجملة قد ضم اليه المسلمون الأوائل المصدر الثانى لتفصيل ما ورد فى القرآن مجملا وهو السنة (١) .

وتدور الفلسفة الاسلامية فى التربية حول منطلقين اساسيين هما الانسان بكل طاقاته وامكانياته والكون بكل غوامضه وأسراره حتى يتلاءم الأول مع الثانى وقد نبه علماء المسلمين الى ضرورة الاعتناء بتربية الانسان حتى يتكيف مع مجتمعه الاسلامى ويتطور به ومعه نحو حياة افضــل . والأنسان وهو محور التربية وخليفة الله فى الارض قد وضعت له تربية من مولده حتى شيخوخته . فهو يحتاج الى تلك التربية التى تقوم على العمل الصالح وتقوى فيه الجانب الروحى حتى يقوى على كبح جماح شهواته وملذاته حتى يترك الفرصة لقوى التفكير ان تنطلق وبهذا يكون قد اعد اعدادا سليما لمكانته الاساسية وهى الخلافة (٢) .

وليس معنى كبح جماح اللذة والشهوة فى نظر الاسلام ان يعرض الانسان عن تغــذية طاقات ركبها الله فيه اذ ان وجــودها مع النهى عن

---

(١) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن طبعة ثانية — ١٣٩٢ — ١٩٧٣ م : ص ٧٢ — ٧٣ .

(٢) محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام — دار احياء الكتب العربية — الطبعة الثالثة — ١٩٦٨ ص ٩٥ .

أستغلالها بفقدها القيمة التى من أجلها أودعها الله فى الانسان .

وانما كان التنظيم لسلوك الانسان بين شهواته ككائن أرضى ورسالته كخليفة الله فى عمارة الارض وقد كان هذا التنظم السلوكى مدار فكر الانسان وعقيدته (١) وهذا بخلاف ما تأمر به التربية المسيحية من حيث أنتفاء كل الشهوات والملذات من الانسان والانقطاع الكامل نحو التنسك والرهبنة اللتين لم تكونا تفيداه من حيث مكانته فى الخلافة . حيث أن الرهبنة تؤدى الى الانزواء والانطواء والعزلة عن المجتمع الذى يحيط به والعكس تماما ما فهمه علماء اليهود من أن يشبع الانسان رغباته وملذاته حتى تحدث حالة التشبع وينطلق بعد هذا (٢) .

بعد ان يؤهل الانسان فى التربية الاسلامية نحو الانطلاق بفكرة كان ولابد من أن يتعرف على كل ما يحيط به من كائنات وجمادات حتى يطورها ويسمو بها أى أنه فى دائرة التربية الاسلامية يكون الانسان عالما مطورا لمجتمعه وما يحيط به من أشياء مادية (٣) .

وكان من نتيجة ذلك ما نجده الآن فى المجتمع الحديث من الانسان قد اتخذ جانبا من جوانب التربية الاسلامية وهى الرقى بالكائنات فطورها بحيث جعلها تختلف اختلافا كبيرا عن آبائها واجدادها وهذا ما يسمى الآن بنظرية تطوير السلالات التى تنشأ من أب واحد وجد واحـــد ثم تختلف عنهمـــا (١) .

ولا يختقق معنى الخلافة فى التربية الاسلامية الا اذا أهتم الانسان المسلم بأصلاح نفسه (٤) أولا من حيث الأعتدال فى كل جوانب حياته بحيث

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ــ طبعة ثانية . بيروت ــ دار الشروق ص ٦٢ ــ ٦٥ .

(٢) محمد شديد : نمهج القرآن فى التربية : مكتبة الاداب ومطبعتها بالجماميز ص ٨٠ .

(٣) نفس المرجع السابق منهج القرآن ص ٨٢ .

(٤) محمد عطية الابراشى : التربية فى الاسلام رقم (٣) من دراسات فى الاسلام ويصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ــ ١٥ رمضان سنة ١٣٨٠ ــ ٢ مارس لسنة ١٩٦ ص ٤٥ .

لا يكون منطلقا نحو روحية تخلق له العزلة ولا هو منطلق نحو مادية تحدث له التشبع وتبعد به عن السمو النفسى ، انما هو يسمو بروحه وفى نفس الوقت ينال قسطا من الحياة باعتدال .

وشخصية المسلم كما بلورتها فلسفة التربية الاسلامية شخصية لا يستهان بها من حيث أدراكها وصلاحها (١) وقوة نقاء بصيرتها فقد ذودت التربية الاسلامية الانسان على امكانياته الموجودة فيه بامكانية الانطلاق بثبات نحو الأدراك الكامل حتى يحقق مكانته فى الأخلاق (٢) .

اما شخصية الراهب فى التربية المسيحية فهى شخصية انطوائية انعزالية ليس لها تأثير فيمايحيط من كائنات وجمادات . وعلى العكس تماما فان شخصية اليهودى فى التربية اليهودية شخصية ذاتية لا تنطوى الا على حب الذات حتى لقد تطاول اليهود على الله ، حيث قال عز وجل :

« وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء وليزيدين كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا

نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين (٣) » .

لقد خلقت التربية الاسلامية الانسان المسلم بما تقتضيه مكانته فى الخلافة بأن يحيط علما بما يدور حوله فى الكون من كائنات وأسرار وأن يحيط فهما وعلما بالمصدر الاول وهو القرآن الكريم .

وبهذا يتضح أن لدى الانسان المسلم الادراك والحكم بعد الادراك وتبعا لهذين المفهومين أختلف نظام المجتمع عن بقية المجتماعات الاخرى . ومن هنا جعلت التربية جميع أفراد المجتمع يقومون بحكم ذواتهم عن طريق الرقابة الذاتية للفرد فهىتقيم وازعا داخليا يزعه عن الفعل السىء ويوجهه

---

(١)نفس المرجع السابق ص ٤٦ — ٤٧ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٨ .
(٣) المائدة : ٦٠ — ٦٤ .

نحو الخير والفضيلة .. فيكون أفراد المجتمع كل حاكم لذاته وليس هناك فرد واحد يدعى لنفسه مثالية يحكم بها الجميع فانه فوق الرقابة الباطنة رقابة اخرى ممثلة فى الشريعة التى ليست ملكا لاحد يوجهها كيف شاء بل هى ثابتة مما أنزل الله من قرآن وبما أقام رسوله من سنة وامامها يخضع الجميع حاكمين ومحكومين . بعكس التربية المسيحية التى اثرت الأنطواء والانزواء بانها جعلت فرد واحد يقوم بحكم كامل للمجتمع وبعكس اليهودية التى جعلت طائفة تقوم بتشكيل وتكوين المجتمع بأكمله (١) .

فالتربية الاسلامية قد جعلت الفرد والمجتمع شكل واحد ونمطا واحدا ولكن التربية المسيحية جعلت الفرد والمجتمع نمطين مختلفين أما فى اليهودية فليس هناك الا نمط واحد وهو الطائفية (٢) .

والفلسفة الاسلايمة قد ازالت الفوارق بين الطبقات فى المجتمع بعكس المسيحية التى خلقت فوارق وطبقات فى المجتمع وهذا يتمثل فى رجال الدين وعامة الشعب المسيحى . اما فى اليهودية فقد خلقت بما يسمى العصبة الدينية الطائفية ولم تخلق مجتمعا بالمعنى المفهوم .

أهداف التربية الاســلامية :

للتربية الاسلامية أهداف كثيرة منها :

(١) أيجاد المؤمن بربه :

تعمل التربية على خلق الانسان العاقل المؤمن بربه وميزة العقل هنا من أهم الصفات التى يتصف بها المؤمن حتى يصل الى معرفة الخالق عن طريقة ومعرفة الكون الذى يعيش فيه والوقوف على أسراره وتطــويره والأيمان لا يتأتى ألا عن طريق البحث وعن طريق الايمان يكون الانسان قد

---

(١) كوياز يونج : اثر الاسلام الثقافى فى المسيحية ترجمة ومراجعة محمد خلف الله مكتبة النهضة المصرية — ص ٨٢ .

(٢) اسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٤٧ . ص ٩٦ .

وصل الى درجة الخلافة فى الارض (١) .

وغذاء العقل البشرى العلم ولا يتأتى العلم الا عن طريق البحث والقراءة حيث قال الله عز وجل :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » (٢)

وحيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق المؤمن :

« افضل الناس المؤمن العالم أن احتيج الى علمه نفع واذا استغنى عنه أغنى نفسه » (٣) .

ويقــول ايضا عليه الســلام :

« الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته وثمرته العلم » (٤) .

وكرر الرســول عليه الصلاة والسلام فى موضع آخر يقوله :

« أقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلــم فــدلوا الناس على ما جــاءت به الرســل واما اهــل الجهـــاد فجــاهــدوا بأســيافهم على ما جاءت به الرســل » (٥) .

احتــرام الحــريات :

حرص الاسلام على احترام حريات الآخرين سواء فى القول او الراى دون التعرض لاصحابها بالسوء فى اللفظ أو البدن واتسع الامر فى هذه الحرية حتى تشمل الحرية فى العقيدة ذاتها (٦) حتى قال عز وجل فى كتابه:

---

(١) ابو حيان التوحيدى : الاشارات الانصــبة : تحقيــق ونشر عبد الرحمن بدوى القاهرة مطبعة فؤاد الاول ـــ الجزء الثانى ـــ ١٩٥٠ ص ١٣٣ ـــ ١٣٤ .

(٢) العلق : ١ .

(٣) حــديث شريف .

(٤) حــديث شريف .

(٥) حــديث شريف .

(٦) اقبال محمد : تجديد التفكير الدينى فى الاسلام « ترجمة عباس محمود القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ ص ٤٢ .

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشــد من الغى » (١) .

وقال أيضـــا :

« لكم دينكم ولى دينى » (٢)

وقد حث الاسلام المسلمين على عدم تسفيه الاخرين وتسفيه اقوالهم وآرائهم بل احترامهم لانهم جميعا مخلوقات الله حيث قال :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســـاء من نســـاء عسى ان يــكن خيــرا منهن » (٣) .

(٢) أقامة العدالة الاجتماعية :

لم يفرق الاسلام بين فقير وغنى ولا اسود وابيض وانما وضع العمل والتقوى أساسا للتفرقة بين الناس حيث قال رسول الله صلى اله عليه وســلم :

« لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقــوى »

ويقــول الله عز وجل فى كتابه الحكيم :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٤) .

وهذا يعنى ان هناك أقرارا بالمساواة بين الناس من حيث مبــدأ الخلق وأنمـــا يختلف الناس فى اســـتعدادهم وفى تفكيرهم وفى أعمالهم الصالحة ولكن اذا خالفوها جاءت به الشريعة والدســـتور الاســـلامى او تعرضوا لحريات الاخرين نالوا عقابهم مهما كانت أوضاعهم الاجتماعية وافعالهم واعمالهم واقرب مثل لذلك مساواة بين العبد وسيده فى التكاليف التى كلفهم الاسلام بها .

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) الكافرون : ٦ .

(٣) الحجــرات : ١٣ .

(٤) الحجــرات : ١٤ .

ولقد ضرب لنا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أمثلة كثيرة فى اقامة العدالة الاجتماعية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال ابو بكر فى خطبته الأولى عند توليته الخلافة « أننى وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى واذا أساءت فقوءونى . القوى فيكم ضعيف حتى اخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له (١) .

والاسلام يدعو الى اعطاء كل ذى حق حقه دون النظر الى قرابة للحاكم أو الخليفة ودون تدخل العاطفة من كراهية ومحبة وعداوة وصداقة ولا الغنى ولا الفقير ولا المنصب ولا الجاه حيث يقول عز وجل :

« لا يجرمنكم شـــنئان قوم على الا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » (٢) .

(٣) احتــرام العمــل :

يدعو الأسلام الى العمل المنتج الخير ومضاعفته والأخذ بأسباب القوة وهذا لا يأتى الا بمضاعفة الانتاج الانسانى . سواء كان هذا عن طريق الصناعة أو الزراعة أو التجارة وليس عيبا أن يعمل الأنسان جامعا للحطب وانما العيب أن يمد يده للناس فان شاءوا أعطوه أو منعوه وقد حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على العمل حيث قال (٣) :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

(٤) الــدعوة الى المعرفة :

غاية التربية الاسلامية هو احــراز الحكمة حيث قـــال عز وجل :

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا

---

(١) مدكور ابراهيم : فى الفلسفة الاسلامية منهج ومطبق — القاهرة دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٧ ص ٥٧ — ٥٨ .

(٢) سيد قطب : نحو مجتمع اسلامى : طبعة ثانية — دار الشرق — ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ ص ٩٩ .

(٣) المائدة : ٨ .

كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب » (١) .

والحكمة لا تأتى الا عن طريق المعرفة ومصدرها الله سبحانه وتعالى وقد اودعها فى الكون والانســـان .

ولقد اهتم الله سبحانه وتعالى بالمعرفة واتباع سبلها حيث قال فى بفكره للوصول بمعرفة خالقه وخالق هذا الكون :
أول سورة نزلت على رسوله عليه الصلاة والسلام وهو فى الغار ليحاول بفكره الوصول بمعرفة خالقه وخالق هنا الكون .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانســـان من علق
اقرأ وربـــك الاكرم الذى علم بالقلـــم ، علم الانســـان
ما لم يعلم » (٢) .

هذه دعوة صريحة الى معرفة الخالق عن طريق البحث والمعرفة فى الانسان ذاته ثم فى الكون المحيط به (٣) .

خصـــائص التربيـــة الاســـلامية :

للتربية الاسلامية خصائص تمتاز بها عن غيرها واهم هذه الخصائص هى :

(١) تكريم الانســـان :

لقد رفع الاسلام الانسان الى الدرجة التى من اجلها خلق وهى خلافة الله فى الارض ولا يمكن أ نيفهم هذا المعنى على الوجه الاكمل الا بالعلم ولا يأتى العلم الا عن طريق البحث والتأمل الدقيق لما يدور فى الكون وفى النفس البشرية وقد فضل الله عزز وجل القائمين على الدراسة والبحث على الناس (٤) حيث قال :

---

(١) البقـــرة : ١٠٣ .
(٢) العلق : ١ — ٥ .
(٣) كتاب الاعلام بمناقب الاسلام لابى الحسن محمد بن يوســـف العامرى المتوفى ٣٨١هـ — ٩٩٢م دراسة وتحقيق بقلم الدكتور احمد عبد الحميد غراب ١٠٨ .
(٤) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخلى حلمى الى الايمان ترجمة ظفر الاسلام خان مراجعة وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين — الطبعة الخامسة — المختار الاسلامى ١٩٧٤ ص ٧٢ .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتـــوا العلم درجـــــات » .

وقوله عـــز وجـــل :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

ولقد ضرب الله مثلا فى الوصول الى معرفة الله عن طريق العلم فى قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما رأى الكوكب والقمر والشمس وقال هذا ربى ثم عدل عن فكرته بعد ان فكر وتأمل حتى اهتدى الى ربه ولا تأتى هذه المعرفة الا عن طريق الشـــك ثم الدراسة والبحـــث والتأمل حتى يهتدى الى اليقين (١) .

ومن استخدام العقل فى البحث والعلم يأتى تكريم الانسان . فلا يكرم انسان من اجل المال أو عدد ما تحتويه قبيلته أو أسرته من رجال وانما تكريمه من اجل عمله وقدرته على الاستزادة منه . ومن هنا جعل مسئولية الفرد المسلم أمام الله وأمام المجتمع هو مسئولية علمية (٢) فقد اهتم الرسول بالعلم وحث على السعى وراءه حيث قال صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا للجنة » ويقول ايضا « ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » ولم يقل عليه الصلاة والسلام ان الملائكة تضع اجنحتها الى طالب مال أو امراة أو منصب . وجعل الرسول العلم كالصلاة والصيام والحج وغيرها من الفرائض التى يحاسب عليها الانسان يوم القيامة حيث قال « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولقد فضل الرسول عليه الصلاة والسلام العلم على الدنيا بما فيها من زخرف ومتعة حيث قال « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » وحث أيضا على العلم ولو تحملوا المشاق والمتاعب فى سبيل تحصيله حيث قال الرســـول عليه الصــــلاة والســـــلام :

٨

---

(١) مدكور ابراهيم (مرجع سابق) فى الفلسفة الاســـلامية منهج وتطبيق ص ٦٧ — ٦٨ .

(٢) الامام ابى حامد الغزالى (مرجع سابق) احياء علوم الدين ج١ ص ٦٧ — ٦٨ .

« اطلبوا العلم ولو بالصـــين »

ومن اجل ذلك قد كرم الله السائل والعالم والمستمع والمحب للعلم حيث قال رسول الله صلى الله عيه وسلم « العلم خزائن مفاتيحها السؤال الا فسألوا فانه يؤجر اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم » .

(٢) تنمية قدرات الفرد :

التربية هى تنمية لقدرات الانسان الروحية والجسدية والعقلية . لقد بدأت التربية الاسلامية حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وســـلم بدعوته فى مكة حيث كان يجتمع باتباعه واصحابه فى دار الارقم بن ابى الارقم فيقوم الرسول بتوجيه تلك الجماعة وتثقيف عقولهم وبث الشجاعة فى أرواحهم وغرس الكرم والفداء فى نفوسهم وانكار الذات وخلق منهـــم شخصيات اسلامية واعية عالمه بالكون . وظل الرسول يحيط جماعته بكل رعاية وعناية من الناحية العقلية والروحية والجسدية مدة ثلاثة وعشرين عاما اخرج منهم قادة للجيوش التى هزمت اكبر دولتين فى العالم وعلماء فى الدين والحديث والتفسير والانساب . ولقد علم الرسول بمقدرة كل اتباعه فوضع كل صحابى فى مكانه الذى يناسبه حسب قدراته العقلية والجسدية والروحية وقد ظل الرسول مع جماعته حتى انتقل الى الرفيق الاعلى وهو راضى عنهم وظلت الجماعة محافظة على الاسس التى وضعتها رسولها الكريم (١) .

(٣) عمومية التربية الاسلامية :

لقد ربى الرسول جماعته دون تفريق وكانت هذه التربية فى دار الارقم بن الأرقم أو فى المسجد فى المدينة أو ساحات القتال وجعل من كل فرد مسلم مسئول عن الجماعة والجماعة مسئولة عنه . وبهذا كانت التربية عامة للمسلمين لا فرق بين غنى ولا فقير ولا عبد ولا سيد كل أمام الله مسلما مادام قد دخل الاسلام وجعل منهج التربية الاقتناع والاقناع حتى وصل فى هذا الى مناقشة العقيدة ذاتها .

---

(١) الدكتور هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية . عمان ١٩٦٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (١) .

(٤) انسانية التربية الاسلامية :

التربية الاسلامية لها طابع انسانى ومثل عليا شـائعة بين كافة المسلمين فهى لا تخص المتعلمين وحدهم . وانما تخص كافة الناس ويرعاها جيل لاخر ويحافظ عليها ويعلمها لغيره ويتوارثها الابناء عن الآباء وتكون لهم عادات وتقاليد ومتطلبات لحياتهم (٢) مثل قول الرسول عليه السلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يكرم ضيفه » وقال أيضا « من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » (٣) .

(٥) مسئولية جماعية :

التربية الاسلامية مسئولية جماعية ، فالفرد مسئول عن تربية نفسه وأسرته وكذلك الاسرة مسئولة عن تربية افـرادها وكذلك الجمـاعة الاسلامية مسئولة عن افرادها حيث قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

فالجماعة ترعى المسلمين حيث تكون الفرد المسلم العاقل الدائن العفيف فالتربية ليست متناقضة وانما متكاملة فحرية الفرد لا تطغى على حرية الجماعة ولا تستبد الجماعة بالفرد فالمجتمع الاسلامى حريص على صفاء الضمير وقدرة العقل الانسانى ولا يأتى ذلك الا عن طريق التربية (٤) .

---

(١) النحـل : ١٢٥ .

(٢) دكتور محمد عبدالله دراز : دستور الاخلاق فى القرآن الكريم دراساته حضارته للاخلاق النظرية فى القرآن تعريب وتحقيق مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية — ١٩٧٤ ص ١١٥ .

(٣) حـديث شريف .

(٤) دكتور مصطفى السباعى .. اشتراكية الاسلام — دار مطابع الشعب ١٩٦٢ ص ٧٧ .

وسائل المعرفة فى التربية الاســلامية :

وضع القرآن الكريم كثيرا من وسائل المعرفة ، حيث يستطيع علماء التربية استخلاصها بسهولة ويسر ولهذا سلك علماء الاسلام الأوائل نحو المعرفة ومراكزها وأصولها ووسائلها ، ولا تأتى المعرفة الا عن طـــريق صفاء جوهر النفس والقرآن حين يعطينا المعرفة لم يقصد منها معرفة بسيطة لما فى الكون والنفس البشرية وانما قصد بها معرفة عميقة لتعرف غرائب الله فى خلقه (١) وقبل ان ندرس المعرفة ووسائلها يجب ان نعمل على تقوى الله حيث يقول الله عز وجل :

« اتقـــوا الله ويعلمكم الله »

(١) الميل للمعرفة :

فالتقوى هى حفظ وسائل المعرفة ولا تأتى عملية الحفظ الا اذا عملنا على تنظيم شهوات النفس . ويقول رسول الله عيله الصلاة والســـلام « أن نحفظ الرأس .. وما حوى » والحفظ يكون البعد عن الشـــهوات والعمل على صفاء جوهر النفس حتى يمكنها أن تطلب العلم والمعرفة .. وليس هناك معرفة بدون طلب ورغبة فيها ولا يتولد الطلب الا بالبعد عن مـــا يحيـــط بـــالانســـان مـــن شـــهوات حيـــوانيـــة (٢) لأن الحـــق ســـبحانـــه وتعـــالـــى جعـــل الانســـــان خليفـــة فى الأرضـــ . أى بمعنى آخر انه أرقى من الحيوانات والكائنات الاخرى ولا يكون راقيا الا اذا ابتعد عن الدائرة الحيوانية وافعالها ومن هنا يتولد الميل نحـــو المعرفة وصفاء الجوهر النفسى لكى يتعمق فى الكون (٣) واهم الوسائل هى :

(٢) البصـــر :

كما قلنا ان المعرفة لها وسائل متعددة واول هذه الوسائل الرغبة فى المعرفة ويليها البصر حيث قال سبحانه وتعالى فى اهميتها :

---

(١) اسماء حسين فهمى : مبادىء التربية الاسلامية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٧ ص ١٤ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ٢ دار الشروق ص ٦٣١ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٣٢ .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه الحق » (١) .

ثم قال :

« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف
رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف
سطحت » (٢) .

وقال فى موضع آخر :

« وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون » .

وهذه الايات وامثالها تفيد أن الانسان لابد له من أن يستعمل البصر فى النظر الى الآيات الموجودة فى الآفاق وفى النفس البشرية بحيث نصل الى معرفة وبالتساؤل كيف رفعت السموات وكيف نصبت الجبال واستعمال البصر هنا معناه الرؤية فى تطوير حياة الانسان واستخلاص الحقائق الموجودة فى الكون واستعمالها (٣) .

وقد نبه القرآن الكريم الى استعمال البصر فى التغلل فى الاسرار للكائنات ومعرفتها معرفة كاملة والهدف من ذلك معرفة الحق والكون والمعرفة فى حياة الانسان متجددة متطورة كل منها تضيف علما جديدا لم يكن الانسان على معرفة به قبل البحث عنه والوصول (٤) اليه كما قال تعالى :

---

(١) فصلت : ٥٣ .
(٢) الناشية / ١٣ — ١٤ .
(٣) دكتوربهى الدين : الغزالى ولمحات عن الحياة الفكر الاسلامى الكتاب العاشر من سلسلة « قادة الفكر فى الشرق والغرب — مكتبة نهضة مصر بالفجالة — اغسطس ١٩٥٨ ص ٩١ .
(٤) الدكتور احمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام (دراسات

« لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليــوم حديد » (١) .

فالبصر وسيلة من وسائل المعرفة فكل ما يراه الانسان من ناحية البصر يقع فى جوهر نفسه فيبدأ بمعرفة كنهة وتركيبه وبذلك تتحقق المعرفة وبانتفاء هذه الوسيلة لا يمكن أن يتعرف الأنسان على الألوان والتراكيب المختلفة التى تحيط به وبالكون (٢) .

(٣) السـمع :

ومن الاشياء ما لا يدخل فى دائرة الأبصار لدقته أو حدوثه فى وقت معين أو فى مكان غير الذى نعيش فيه وحينئذ تنضم الى وسيلة الأبصار سالفة الذكر وسيلة أخرى وهى السمع وأن الوسيلتين متبادلتين فى توصيل المعرفة للانسان . يرى هذا ببصره ويسمع ما لا يراه باذنه من هنا تتحقق أهمية السمع مع أرتباطه بالبصر وقد اعطى القرآن الكريم مثال لمن يلهو بما يسمع مشبهة بها مرض فقال عز وجل :

« فى اذانهــم وقــر »

وكان هؤلاء قد فقدوا وسيلة من وسائل المعرفة وهى الأستماع والانصات مع صفة أذانهم الحسية ، لكن القرآن بين أن الاستماع أهم خاصية للمعرفة ، ومن هنا يتضح لنا أن الســمع هو أدخــال المعلومات للنفس حتى يمكنها ان تربط المعارف المختلفة بعضها ببعض وقد بين الحق اهمية الاستماع فى استخدام السمع حتى يمكن ان تعرف حــركة الكائنات ومن خلالها نتعرف على خصائص الكون (٣) حيث قال الله عز وجل :

---

(١) ق : ٢٦ .

(٢) الدكتور سعد الدين الجيزاوى : فصول فى تــربية الشخصية الاسلامية رقم ٨ من دراسات فى الاسلام — المجلس الاعلى للشــئون الاسلامية بالقاهرة السنة السابعة — ١٤ مارس سنة ١٩٦٧ ص ١١٨ .

(٣) الدكتورة عائشــة عبد الرحمن (بنت الشــاطىء) : القرآن وقضــايا الانسان — الطبعــة الاولى — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٧٢ ص ١٦ .

« أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا » (١) .

وقد صور الله بأن من اعرض عن الأستماع الى ما يجرى حوله من حركة تعبر عن قدرة الله بصـــورة الدواب التى فقدت سمعها او فقدت تفكيرها حيث يقول الله عز وجل :

«ان شر الدواب عند الله الصم والبكم الذين
لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضـــون » (٢) .

العقــــل :

لا يمكن ان تدرك المعلومات وتفهم مركباتها وخصائصها من خلال البصر والسمع فقط وانما من خلال عقلايته هذه الاشياء اى اســتخدام العقل (٣) ولا يتحقق هذا الا عن طريق وسائل ثلاثة هم :

١ — الادراك :

هو كل فهم يأتى الى الانسان عن طريق معرفة ما يحيط من كائنات مختلفة سواء من خلال النظر والســمع ثم يســتخلص من هذه المعرفة أسبابها ونتائجها السليمة الا عن طريق الادراك العقلى لكل معلومة ، وهو لا يصل الى الادراك الا من خلال صفاء النفس والفعل ولا يتم صفاء النفس الا بالعبد عن ادراك الشهوات الحسية الدنسة (٤) حيث يقول الله عز وجل فى شأن لم يستعمل عقله فى ادراك اسرار الكون وما يشتمل عليه :

---

(١) الفرقان : ٤٤ .
(٢) الانفال : ٦٢ .
(٢) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — الطبعة العاشرة — مطابع سيد على الدوحه — ١٣٩٤ — ١٩٧٤م ص ٧٢ .
(٤) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن الكريم — دار الاسلام القاهرة ١٩٧٣ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

« ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيــلا » (١)

وهذه الصفة الحيوانية لا تتحقق الا فى الكفار الذين يرتضون ان مثلهم كمثل الانعام التى تضل طريقها فى الحياة فتفسد امورها وبهذا يحق الدمار عليها .

٢ ـ التأمل والبحث :

لا يكفى ان يرى الانسان كل ما فى الكون فقط بل عليه ان يتأمل فيما يــراه ويــدركه حتى يستخلص منه النتائج عن طريــق البحث الدقيق فى كل ما خفى عليه من الرؤيا وهذا يتأتى الا بفعل العقل حيث قال الحق عز وجل فى كتابه الحكيم :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولى الالباب » (٢) .

وقال :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (٣) .

ففى الاولى قد نبه الحق سبحانه وتعالى الى حقيقة البصر والسمع والادراك الناتج عنهما الى ضرورة التأمل والتفكير، وفى الاية الثانية وضح سمات الذين يتأملون ويتفكرون فى خلق السموات والارض حتى يصلوا الى الادراك التام بالبحث والتأمل (٤) .

---

(١) الفرقان : ٤٤ .
(٢) آل عمــران : ٤٩ .
(٣) آل عمــران : ٥٠ .
(٤) محمد الصادق عرجون : الموسوعة فى سماحة الاسلام ــ المجلد الاول ــ مؤسسة سجل العرب ــ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢ ص ٣٣ ــ ٣٤ .

٣ — النضج الفكرى :

لا يمكن ان يتحقق الادراك والتأمل والبحث الا بوجود النضج الفكرى فهو الذى يدفع الانسان الى دقة البحث حتى يحقق الادراك الكامل بحيث يحصل على نتائج مفيدة دقيقة كما قال الحق تبارك وتعالى :

« هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
يفصل الايات لقوم يعلمون » (١) .

اساليب المعرفة :

اتخذ القرآن الكريم للادراك والمعرفة اسلوبين هما الاسلوب العلمى والاسلوب الروحى ولم يفصل بينهما فصلا تاما بل ذكر كل منهما عقب الاخر بحيث تكون (٢) المعرفة كاملة حيث قال الله عز وجل :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولى الالباب » (٣) .

هذا هو الاسلوب العلمى فى البحث والتأمل . ثم قال بعد ذلك مباشرة :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون فى خلق السموات والارض » (٤) .

وهذا هو الاسلوب الروحى وبهذين الاسلوبين تتحقق المعرفة المادية والروحية حيث يقول الله عز وجل :

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (٥) .

---

(١) يونس : ٩٠٨ .

(٢) دكتور احمد ابراهيم الشريف (ومع سابق) دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٧٢ .

(٣) آل عمران : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ٥٠ .

(٥) آل عمران : ٥٠ .

الفصل الثانى

المنهج الدراسي في التربية الاسلامية في صدر الاسلام

ينقسم المنهج الدراسى فى صدر الاسلام الى عدة علوم تسمى بالعلوم الانسانية والكونية ، وهذا المنهج مستمدا من القرآن الكريم ، ولم يكن هذا المنهج الدراسى ما هو الا اشارة لتوجيه المسلمين نحو البحث العامى فى الانسان والكون والاسرة والمجتمع .

وينقسم المنهج الى عدة أقسام وهى :

اولا — العلوم الانسانية :

١ — علم الاخلاق

٢ — علم النفس

٣ — علم التاريخ

ثانيا — علوم الظواهر الاجتماعية :

١ — علوم السياسة

٢ — علم الاجتماع

ثالثا — العلوم الطبيعية :

١ — علم الطب

٢ — الجغرافيا

٣ — الزراعة

٤ — علم الحشرات وسلوكها

٥ — علم الحيوان

الاخلاق فى القرآن الكريم :

قال الله عز وجل فى وصف الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام « وانك لعلى خلق عظيم » .

ولما سئلت السيدة عائشة زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام عن

خلق رسول الله قالت : « كان خلقه القرآن » وتحدث الرسول عن اخلاقه قائلا :

« أدبني ربي وأحسن تأديبي »

وبين الرسول كذلك الاخلاق وعظمتها في حديثه وقال :

« الصلاة صلة والزكاة طهر والصوم جنة والحج جهاد والاخلاق تصدق او تكذب »

في هذا البيان القصير العميق المعنى ، وضح الرسول عليه السلام ان الاخلاق تصدق على صحة العبارات وادراك مضمونها وتكذب ان كانت منافية للاداب . من هذا كله قد استقى المسلمون الاوائل علوم الاخلاق (١) وكان لهم الرسول عليه السلام القدوة العملية مستنيرين في ذلك بقول الله عز وجل « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » وايضا بقوله تعالى « ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » . وبقوله كذلك « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » .

بذلك صارت القدوة العملية بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم التي اصلحت كثيرا من افعالهم وأقوالهم في دائرة الاسلام : ثم توفر لهم المصدر النظري لعام الاخلاق وهو القرآن الكريم الذي وضح كثيرا من اخلاق الانبياء واخلاق أتباعهم وكذلك ما يجب ان يكون عليه المسلم المؤمن (٢) .

فصار القرآن الكريم مصدرا غنيا بكثير من التوجيهات والاوامر الالهية التي تصلح شأن الفرد في المجتمع الاسلامي .

وقد اعتبر علماء الاخلاق ان مصدر الاخلاق في الاسلام هما القرآن كمصدر نظري والرسول عليه السلام مصدر عملي وفي هذين المصدرين

---

(١) الدكتور محمد بيصار : العقيدة والاخلاق واثرهما في حياة الفرد والمجتمع الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٠ ص ٨٢ — ٨٣.

(٢) الدكتور محمود حب الله : موقف الاسلام من المعرفة والتقدم الفكري : مكتبة النهضة المصرية ص ٦٥ — ٦٧ .

الجوانب النفسية السلوكية التى تنعكس على السلوك الاجتماعى بعكس ما عند علماء الأخلاق الذين جعلوا للنفس علوما وللسلوك علوما أخرى ولا يجد المتعلم على أيديهم القدوة العلمية مما يجعله مشتتا فيما يتعلم وما يرى . فالعلم فى اتجاه والعمل فى اتجاه آخر (١) .

واذا استعرضنا ما كتب عن علم الاخلاق لوجدنا ان بعض العلماء كان يرى أن الانسان ولد لا حول له ولا قوة فهو يتشكل على ما يريده المجتمع او الافراد ولكن الاسلام لم يعتبر الانسان شيئا يشكل من قبل شخص آخر أو هيئة أو مؤسسة وانما اعطى الفرد حق التربية لنفسه حتى يتقبل الاخلاق الاسلامية بما لا يضر مصلحة الجماعة (٢) .

ويتضح من دراستنا لعلم الاخلاق الاسلامى انه لا يوجد فصل بين العبادات الروحية والمعاملات المادية وبين اخلاق الفرد واخلاق المجتمع واعتبر الاسلام كل الجوانب السالفة شيئا واحدا لا يتجزأ من أخلاق الانسان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة) ولهذا قال علماء المسلمين الاوائل بأن الاخلاق نوع من الدين التى يجب عدم تركها منذ حدد الدين ان السلوك الانسانى بما بين من الحرام والحلال اى ان الدين قيم على السلوك ولا قيمة لمتدين ما لم يكن فى سلوكه (٣) ما يصدق تدينه كما قال الله تعالى :

---

(١) السيد احمد الاشمى : السعادة الابدية فى الشرائع الاسلامية — الطبعة الرابعة — دار الكتب العلمية — بيروت لبنان — ١٩٧٣ ص ٢١ — ٢٢ — ٢٣ .

(٢) وحيد الدين خان .. الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان ترجمة ظفر الاسلام خان — رماجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين — طبعة خامسة — المختار الاسلامى ١٩٧٤ — ص ١٧ .

(٣) مهندس وائل عثمان : حزب الله فى مواجهة حزب الشيطان تقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى — طبعة ثانية — مطبعة نهضة مصر ١٩٧٥ — ص ٦٣ — ٦٤ .

« واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر ان الله يعلم ما تصنعون » (١) .

وهذا بعكس اليهودية والمسيحية اعتبرت الاخلاق لدى الانسان بخلاف دينه وفصلت بين الناحيتين فصلا تاما بحيث ان الرهبان والقس وغيرهم من رجال الدين تتوفر فيهم اخلاق وسلوك لا يجب ان تتوفر لدى الرجل العادى بعكس الاسلام لم يضع حدا فاصلا يميز طائفة عن اخرى فليس فى الاسلام رجل دين ورجل آخر (٢) وانما وجه خطابه فى القران الكريم الى الكل كما قال صلى الله عليه وسلم « ان الله امر المتقين بما امر به المرسلين فقال عز وجل «ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » بعد ان قال « ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » .

واسس التربية الخلقية فى علم الاخلاق الاسلامى اعتمدت على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام « التقوى ان تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلى » من هذا الحديث ونستخلص علوم الاخلاق

أولا : حفظ ادوات المعرفة من السمع والبصر والكلام مما يوقعها فى الشرور والاثام .

ثانيا : ان يحفظ ادوات القوامة البشرية من النزول بها الى حضيض الحيوانية حتى يكون بعيدا عن اخلاق الحيوان .

ثالثا : مراقبته لاعماله ونتائجها يذكره بأنه انسان سوف يحاسب بعد خروجه من الدنيا على ما فعل وان يتذكر أن الدنيا له بمثابة اختبار لاخلاقه وأعماله .

---

(١) العنكبوت : ٤٩ .

(٢) محمد سعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام — بيروت دار العلم للملايين ١٩٥٧ — ص ٣٩ — ٤٠ .

رابعا : ان الانسان يحافظ على الصلة التى بينه وبين ربه وانه يراقب الله فى كل عمل يعمله معتقدا بأن البلاء الذى يقع عليه من الحق نتيجة سوء عمله ويسرع فى لجوئه الى الحظيرة الالهية ولا تكون النجاة من البلايا الا بتحسين الاخلاق (١) .

واذا استعرضنا ما يجب ان يكون عليه المسلم المؤمن بربه من اخلاق فيجب أن يكون عفيف اللسان فلا يشتم ولا يسب أحدا ولا يتجسس على الاخرين ولا يتنابز بالالقاب ولا يغتاب احدا ولا يسخر من أحد مصداقا لقول الله عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم
ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان » (٢) .

ويجب ان يكون المؤمن نظيف النفس والبدن يقابل الناس بوجه مبتسم باذلا كل جهده فى جلب السعادة للاخرين مساعدا للفقراء منكرا لذاته متنازلا عن شىء من ماله عن طيب خاطر من أجل وطنه وبلاده ناصحا أمينا اذا طلبت منه النصيحة ولا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يتكلم الا عن علم أو معرفة ويطلب من الله ان يزيده علما (٣) حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

« وقل ربى زدنى علما »

وفى اخوة للمؤمنين قال عز وجل :

« انما المؤمنون أخوة »

---

(١) محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين — القاهرة — الدار البيضاء للتأليف والترجمة — ١٩٦٦ ص ١٦ — ١٧ .

(٢) الحجرات : ١٣ — ١٤ .

(٣) وحيد الدين خان : حكمة الدين — تفسير عناصر الاسلام ومتعصياته ترجمة ظفر الاسلام خان — طبعة الوى — المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٣ — ص ٤٥ — ٤٦ .

ويبعد عن أخيه الظلم والفساد ولا يجره الى الرذيلة وبهذا يكون المسلم نظيف اللسان والقلب والبدن والسلوك .

علم النفس في القرآن

أشار الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في كثير من الايات والسور الى اسرار النفس البشرية وكيفية تطهيرها . لانه سبحانه وتعالى خالقها وهو اعلم بها والزم الرسول الكريم بأن يفتح الافاق نحو معرفة النفس معرفة كاملة حيث قال عز وجل :

« اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في
انفسهم قولا بليغا » (١) .

وحيث قال ايضا :

« سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق » (٢) .

وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام موضحا النفس حتى يصل المسلم من خلال هذه المعرفة الى معرفة الله سبحانه وتعالى بقوله « من عرف نفسه عرف ربه » ووضح الحق طبيعة النفس البشرية بأنها لولا توجيهات الله وأوامره ورسله لما عرف الانسان الحق من ربه حيث قال عز وجل في كتابه :

« أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق
واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون » (٣) .

---

(١) النساء : ٦٣ .
(٢) فصلت : ٥٣ .
(٣) الروم : ٦ .

ومن دراسة اسرار النفس ومعرفتها يمكن الوصول الى تربيتها تربية سليمة ولولا معرفة الانسان نفسه وكنهها لما استطاع ان يصل بها الى ما هو مطلوب منه وقد وضع الاسلام الصحة النفسية فى ثلاثة اسس هى :

اولا : رفض المعاملات المنافية لجوهر الانسان .

ثانيا : امكانيات النفس البشرية ووجوب معرفة هذه الامكانيات .

ثالثا : المصادر المبينة لجوهر النفس البشرية .

اعتبر علم النفس الاسلامى ان امكانيات النفس ليس لها حدود الا اذا توقفت على حدود الجسم البشرى واعتبر العلماء ان طاقات الانسان النفسية كثيرة بحيث تؤدى ما يطلب منها من قبل الحق وهذه الامكانيات المطلقة لا تعطى الاعذار لاحد خلال سيره وسلوكه ، فمن الممكن ان يصل من خلال امكانياته النفسية ان يقاتل ابويه واقاربه اذا اعتدوا على العقيدة الاسلامية بعكس ما هو موجود فى علم النفس المسيحى واليهودى لان المسيحية لا تقابل تنافى العقيد الا بالسلبية المطبقة وكذلك اليهودية فقد تراجع كثير من المتمسكين بها الى السلبية المطلقة (١) فى قتالهم لاعداء دياناتهم حيث قالت اليهود لموسى عليه الصلاة والسلام : (اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون» (٢) وقد حاول بعض المسلمين الاوائل التعلل بالظروف الجوية القاسية وعدم القتال بقولهم (ان الجو حار ولا نستطيع القتال فيه) فنزل قول الله عز وجل :

« فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا
ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله
وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون » (٣) .

---

(١) الدكتور رؤوف عبيد : مطول الانسان روح لا جسد — ج١ الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ ص ١٥٢ .

(٢) التوبة : ٨٠ .

(٣) التوبة : ٨١ .

فخرج المسلمون من تقيد انفسهم بالظروف الجوية الى اطلاق انفسهم للقتال رغم صعوبة الجو وصعوبة القتال فيه .

وذكر أيضا القرآن الكريم أنه لابد من قهر صفات الانسان المنافية لجوهرها والخروج الى الصفاء والبذل والشفاء من مرض البخل وهى صفة منافية لجوهر النفس البشرية حيث وجه الحق كثيرا من الايات نحو قهر هذه الصفة فى قوله عز وجل :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » (١) .

وكما قال أيضا سبحانه وتعالى :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » (٢) .

فطبيعة علم النفس الاسلامى يعتمد على مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم وافعال وتصرفات الرسول عليه السلام ، وفضائل الانسان ولا تأتى اطلاقا من خارجه ولكن تأتى من داخله اى من خلال نفسه . ولهذا وضع علما المسلمين للمسلم طبيعة النفس هى :

١ — الانسان يميل نحو الشرور والاثام بطبعه وليس بجوهره ومعنى هذا انه لو ترك نفسه بدون تربية وقهرها من شهواتها ونزواتها لدمرته

٢ — ان نفس الانسان لا تميل نحو العبادات كالصوم والصلاة والزكاة لانها تحس ان هذه العبادات قيود وهى تكره كل قيد .

---

(١) البقرة : ٢٤٥ .
(٢) التوبة : ٣٤ .

٣ — انها لا تميل الى المتابعة والمراقبة بطبعها وهذا يتضح فى قول الحق سبحانه وتعالى :

« فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »

٤ — انها تميل الى المعرفة وحب الاستطلاع حين تشاهد الاشياء لاول مرة فتسأل عن كنهها وطبيعة تكوينها .

٥ — تميل الا اثبات اى خبر تسمعه ولهذا توجد فى القرآن ايات تدعو الى غرض واحد كاثبات الوحدانية ووجوب القيام بالفرائض والتذكير بالثواب والعقاب هذا يوضح أن الجانب الحسى لديها أقوى بكثير عندها من الجانب الروحى ومن الصعب عليها التصديق (١) .

٦ — انها ميالة الى التظاهر والتفاخـر .

٧ — وميالة الى الاعجاب بالرأى وتميز ما يستمده الانسـان من بيئته وظروف تربيتـه .

ولهذا وقف الدين منها موقف المنافى لميـولها فارتضـى ما كان منها طيبا ورفض ما كان غير ذلك . يتضح فى المثال التالى : « جاء رجل يسأل رسول الله عن اعمال كان يحبها فى الجاهلية من صدقة وصلة رحم وغيرها فقال صلى الله علكه وسلم «اسلمت على ما اسلفت من خير» .

هذا وقد ناقش الدين فى الصفات التى لا تليق بنفس الانسان أو بكرامته أو سلوكه أو بخلافته لله فى الارض أو بعـلاقته بغيره . فكان التذكير دائما بالواجبات الدينيـة والعلاقات الاجتماعكة والوعـد للمتثلمين والوعيد للرافضين ومن القيود التى ترفضها النفس بطبيعتها « القيد على

---

(١) الشيخ أحمد حسن الباقورى : الدين أصل فى الفطرة الانسانية — منار الاسلام — تصدرها وزارة الاوقاف فى دولة الامارات العربية المتحدة العدد الاول محرم ١٣٩٦ هـ — يناير ١٩٧٦ ص ٦٢، — ٦٣ .

الجنس » فهى تتمنى لو كان مباحـــا (١) غير مشروط بشرط او مربوط بروابط من تقاليد أو عرف أو شرع وبهذا تكون النفس البشرية قد نزلت الى حظيرة الحيوان الذى لا هم له الا المتعة غير مرتفعة الى ما فوق ذلك من أخلاق وقيم تتطلبها خلافة الانسان فى الارض وتكـريمه عن سـائر المخلوقات .

فالانسان الذى سجدت له الملائكة يرفض ان يكون مثل الحيوان يلبى الغريزة أمرها ويستجيب لندائها كما قال الله تعالى : —

« والذين كفروا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (٢) » .

فالجنس فى نظر الاسلام غريزة كالطعام والشراب والنوم وغيرها من الغرائز المختلفة التى قد نظمها الاسلام بما يصلح بدن الفرد ونفسه وعقيدته وصلته بخالقه فقد قال فى حق الطعام والشراب :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » (٣) .

وقال فى حق الجنس :

« والذين هم لفراجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين » (٤) .

فالمطالبة بحرية الجنس نزولا الى حظيرة الحيوان مرفوضـــة فى التنظيـم الاسلامى كما قال عز وجل :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (٥) » .

فاذا وقع الانسان هكذا فى تلبية رغبته الجنسية عوقب معاقبة الحيوان بالضرب اذا ما اعتدى على امتعة الآخرين لأن الحيوان لا عقـل له حتى

---

(١) اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (المتوفى سنة ٧٧٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ — ١٣٦٧ .
(٢) محمد : ٦٢
(٣) الاعـــراف : ٣١
(٤) المؤمنـــون : ٥
(٥) النـــور : ٢

يناقش فى فعله بل قد يقتل اتقاء ضرورة (١) فاذا ما كان الانسان قد نزل الى مثل هذه الدرجة الحيوانية وجب ضربه لتالم بدنه فاذا ما اشترى فى هذه الغريزة رجم حتى يموت تشبيها بالحيوان يضرب أولا ليمتنع ثم يقتل اذااشتد خطره .

وهناك دعاة اطلاق الجنس من عقال التشريع والقيم والاخلاق ممن يدعون لانفسهم بأنهم علماء فى النفس البشرية وهم بعيدون كل البعد عن معرفة طبيعة النفس البشرية وانما اتخذوا طريقا من طرق فرويد الذى وضع أسس علم النفس الحديث مرتبطا بالجنس وبالرجوع الى **تاريخ حياة فرويد نجده انه من الذين سقطوا فى رذيلة الجنس مع احط طبقات مجتمعه (٢) .**

ولكن العالم الخبير بالنفوس هو الذى وضع القيود وهو يعلم فائدة امتثال الناس لها وضرورة بعدهم عنها كما قال الله عز وجل : « المنافقون والمنفقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون » (٣) .

التاريخ فى القرآن :

يتمثل التاريخ فى القرآن الكريم فى القصص التى يسردها الحق عن أخبار الأمم السابقة وأخبار الأنبياء قبل البعثة وبها يريد الحق أن يفتح المجال نحو دراسة أخبار الأمم السابقة وتاريخ حضارتها ولم يهتم القرآن بالسرد التفصيلى للتاريخ ولكن بسرد ما يخص الدعوة الاسلامية .

ويتميز الاسلوب التاريخى فى القرآن بما يلى :

١ — عدم التفصيل فى دقائق التاريخ للامم السابقة بل يقتصر الامر

---

(١) احياء علوم الدين للامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ج ١٦ كتاب الشعب ٢٨ رمضان ١٣٨٩ هـ — ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٩ ص ٢٩٦ .

(٢) سيجموند فرويد : خمس مقالات من التحليل ج ١ — ترجمة صلاح مخيمر وعبده روفائيل رزق — تقديم ومراجعة مصطفى زيور (من المؤلفات الأساسية فى التحليل النفسى) مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢ ص ٢٢ .

(٣) التوبة : ٦٧ .

على شرح القضية الأساسية وهى الصراع بين الخير والشر اى الصراع بين دعوة الحق والباطل .

٢ — عدم التركيز على ما يفعله الملوك والرؤساء بالتفصيل فى مجتماعاتهم بل يركز من زواية ظهور النبى ودعوته ومدى تقبل الملوك لهذه الدعوة والاستجابة لها او معارضتها بشدة .

٣ — عدم التركيز على شكل الحضارة وطبيعتها بل يوجز القرآن مظاهر هذه الحضارة بأسلوب مختصر كما يقول الحق سبحانه وتعالى :

« وثمود الذين جابوا الصخر بالوادى (١) »

اى أن مظهر حضارتهم كان البناء الشامخ وفنه .

٤ — ذكر العيوب الأساسية لحضارة الأمم السابقة ويرجع القرآن السبب فى اندثار هذه الحضارة الى الانحراف عن الحياة الطبيعية والانخراط فى الفساد .

٥ — السرد التكرارى مع عدم ذكر نفس التفاصيل بنفس التكرار ولكن بشرح ما غمض فيما سرده من قبل حتى يتضح تفصيل الوقائع التاريخية كما فى قصة موسى عليه السلام .

٦ — الدعوة الدينية فى الأمم السابقة جاءت الرسل بكتب ومعجزات فمنهم (اى من افراد الامم) من آمن بنبيه فنجا من عذاب الله فى الدنيا بالهلاك وفى الآخرة بالنار ومنهم من كفر بهذا فاستحق العذابين معا (٢) ونجد هذا صريحا فى قوله عز وجل مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم :

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (١)

---

(١) الفجر : ٩

(٢) ميرازا محمد حسين : الاسلام وتوازن المجتمع ترجمة فتحى عثمان رقم ٣٥ من سلسلة الثقافة الاسلامية — دار الثقافة المصرية للطباعة — ذو القعدة ١٣٨١ هـ مايو ١٩٦٢ ص ٥٩ .

(٣) الاحقاف : ٣٤ .

وقـــــوله :

« وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » (١) .

وقـــــوله :

« وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين (٢) »

٧ — وقد اوجز القرآن الكريم عدة قصص فى آية واحدة كقوله عز وجـــل :

« فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (٣) .

ويتخذ القرآن الكريم فى معالجة القضايا التاريخية الاسلوب الآتى :

اولا : بيان ان الكبرياء والغرور يفسدان الحياة ويصرفان الانسان عن معرفة الحق سبحانه وتعالى ويعلج القرآن ذلك باسلوب هادىء فى أول الأمر كما ورد ذلك فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام بقوله لفرعون (انى رسول رب العالمين) حينما جاءه موسى وهارون يقول الله عز وجل :

« فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى » (٤) .

ثانيا : ومعجزة تبين للمتكبر مدى ضعفه كما ورد فى الاختبار الذى اجراه فرعون بجمع السحرة لتحدى موسى وانتصار موسى عليهم بأن عصاه التهمت كل ما افعلوا من سحر (٥) .

(١) فاطــر : ٢٥ .
(٢) العنــكبوت : ١٨
(٣) العنــكبوت : ٤٠ .
(٤) طـــه : ٤٨ .
(٥) احمد بهجت : انبياء الله ــ طبعة سادسة ١٩٧٩ ــ دار المعارف

ثالثا : وبعد ان استنفذ كل أسباب الأصلاح يعمد القرآن الى بيان تحقيق قدرة الله تعالى فى القضاء على ذلك المتكبر وانـه أى المتكبر فى اللحظات الأخيرة يصدق بالحق الذى جاء به نبيه ولكن ارادة الله تتغلبه فيحق عليه العذاب كما قال الله تعالى فى شأن فرعون .

« وجاورنا ببنى أسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين (١) » .

ويصور لنا القرآن الصور التاريخية فيما يلى : —

١ — صـراع المـادة :

قص الله عن نبى من انبيائه عليهم الصلاة والسلام أنه كان ملكا وكان غنيا وجاءته الرسالة فجند قوته البدنية وقدرته المادية وفضل الله عليه وعلى قومه ذلك النبى هـو داود فلم تصرفه المـادة عـن واجبـه مـن أداء الرسالة ورعاية الأمة .

يذكرنا القرآن الكريم بقصة قارون الذى منحه الله مفاتيح الكنوز الأرضية ، التى لا يستطيع ان يتحملها جماعة من البشر ، ورغم ذلك نجده قد نسى فضل الله عليه ، رغم وجود نبى من الأنبياء وتذكير الناصحـين بنعمة الله القادر على الأعطاء والمنع (٢) نجده يخطىء خطئين هما :

اولا : عدم نسبة الفضل الى صاحبه فيقول « أن هذا المال جـاء نتيجة لعملى وجهدى » .

ثانيا: نسى أن الله قادر على منعه وحرمانه ذلك المال فبعـد أن نصحه بنو امته وبعد أن يشير الله الى بيان قدرته على المنع بعد الاعطاء والحرمان بعد الجود فظن الضعفاء بأن المنة دليل على رضى الله عـن

---

(١) يونس : ٩٠ .

(٢) أحمد بهجت : أنبياء الله : الطبعة السادسة ١٩٧٩ — دار الشروق ص ١٨٤ .

قارون ونصيحه العلماء بأن العمل الصالح افضل عند الله وبعد ذلك كله يجيء الدرس فينتقم الله من صاحب المال امام الناصحين وأمام الضعفاء فيرى الفريق الأول نتيجة نصحه ويرى الثانى نتيجة خطئه . ويرى الجميع قارون (١) وأمواله وبيته فى باطن الأرض وكأن لم يكن على سطحها غنى ولامال

٢ — الصراع الجديد والقديم :

يقص القرآن الكريم قصصا عن قريش حينما جاءها رسول الله عليه الصلاة والسلام بالرسالة اعتذرت بأن هذا الدين لم يدع اليه أباؤهم الأقدمون فبين لهم القرآن أن فى قصة ابراهيم مثلا لما يدعون وأن امة ابراهيم حينما تمسكت بالباطل بحكم أنها دعوة الأباء كما ظنوا اعطاهم ابراهيم درسين : —

الأول : فى القضاء على الأصنام دون أن تسطيع الدفاع عن نفسها.

الثانى : حينما أعدت النار لأحراقه فنجاه الله من النار مع ظنهم أنه هالك لا محالة فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يعيد القصة نفسها فى فتح مكة فكان يقضى على الأصنام ويظهر للقوم تسامحا فى قوله (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين أذهبوا فانتم الطلقاء) .

وهذا يعطينا صورة أن التاريخ يعيد نفسه دون (٢) تشابه فى الحوادث .

٣ — صراع شهوة الجنس :

يوضح القرآن الكريم أن قوما شغلهم الجنس عن كل شيء حتى بلغ بهم الأمر فى النهاية الى الانحراف فى هذه الغريزة وطرق استغلالها فأتوا الرجال دون النساء .

فتصدى لهم لوط عليه السلام موضحا نتيجة هذا الفساد فاعرضوا عنه ثم يتعرض النبى لموقف محرج حينما يحاولون الاعتداء على ضيوفه .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٨٥ .

(٢) أحمد بهجت (مرجع سابق) أنبياء الله ص ٧٧ .

فينزل أمر الله تعالى بنجـاة النبى ومن آمن معه وهلاك الآخرين بسبب غيهم وكفرهم (قصة لوط) (١) .

(٤) الحقد بين الأخوة ومن هم الأخوة :

يسرد القرآن الكريم قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أن يعقوب عليه السلام احب أحد أولاده اكثر من بقية أولاده لأمر لا يعمله الا الله فأثر ذلك فى نفوس الأخوة مع انه لم يؤثره بشىء عنهم بل جعله يلعب الى جواره ويترك الآخرين يلعبون كيفما شاءوا فحقد الأخوة على أخيهم ودبروا مؤامرة للقضاء عليه ولكنه ينجو ثم يدخل فى مشكلة أخرى تكون سببا فى دخوله السجن ثم يظهر الله البراءة ويعترف أهل الحقد بخطئهم وينسبون الفضل الى صاحبه والحق الى مدعيه .

هذا وغيره يساعدنا على أجمال النواحى التاريخية فى القرآن الكريم فى حقيقة وهى :

الدرس العملى لكل من أراد أن ينصرف عن الحق الى الباطل فليعلم أن هذا الطريق قد أهلك أمثاله من السابقين وان من أراد الدعوة الى الاصلاح قوبل باعراض أو رفض أو اتهام فليأخذ درسه من دعاة الأمم السابقة المتمثلين فى الأنبياء وأن الحق والباطل يتصرعان الى يوم القيامة (٢) .

ثانيا — علوم الظواهر الطبيعية فى القرآن الكريم

خاطب الله الناس فى القرآن الكريم مبينا لهم قسطا كبيرا من بدائع القدرة وغرائب حكمته وهو فى ذلك يوجه الخطاب الى كل المفكرين . وتناول فى خطابه عمومية الخلق اجمعين بحيث يستطيع الباحث أن يفقه الحقيقة من خلال تناول القرآن للظواهر المادية . ويستدل على عمومية الرسالة من خلال شمول القرآن لكل نواحى بنى البشر من تاريخ وعقائد وظواهر

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٢) أحمد بهجت : أنبياء الله (مرجع سابق) ص ١١٩ .

مادية بحيث يرقى بالجنس البشرى من خلال عمومية وشمول القرآن (١) . وفى كل عصر وزمان تتكشف ظواهر مادية كونية ويكون هناك اشارة لها فى القرآن وهذا دليل على شمول القرآن لكل الأزمان والعصور ابتداء من نزوله الى قيام الساعة ويستطيع أهل كل زمان تفسير اشارات القرآن لأسرار الظواهر المادية فى الكون بما يتفق وأدوات عصرهم . ويتميز أسلوب القرآن فى شرح الظواهر المادة (٢) بالآتى :

١ — عدم التفصيل الكامل من الظواهر بل تبين بيانا موجزا كما لو كان يعطيها للباحث المكتشف بدقة العارف بتفاصيلها بحيث يفقه هـذا الباحث أن القرآن كتاب مجمل للتفصيل .

٢ — التدرج فى شرح الظواهر المادية بحيث لايعطى الحقيقة بدون أن يعطى لها مقدمة مثال ذلك قوله تعالى :

« والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد
ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » . (٣)

٣ — عدم التخصيص الكامل لظاهرة دون أخرى بل يتساوى كل الظواهر فى الشرح بحيث يستطيع الباحث أن يهتم بكل هذه الظواهر .

٤ — تناول القرآن للظواهر شمل أسبابها المادية والفنية بحيث لا يمكن تجاهل هذه الأسباب الفنية عن المادية .

ومن أهم العلوم الطبيعية هى : —

اولا علم الطب فى القرآن الكريم :

ذكر علماء الطب فى العصر الحديث أن الطب نوعان وقائى وعلاجى وبالنظر الى ما ورد فى القرآن الكريم من هذين النوعين نجد ما يلى :

---

(١) عبد القادر عوده : الاسلام ، بين جهل اثباته وعجز عدائه — المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ / ١٩٧٦ — دار الشرق ص ٦٧ .

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية — الطبعة الثانية — دار الشرق ص ٤٩ .

(٣) فاطر : ٨

الطـب الوقائـى :

طلب القرآن الكريم ممن أراد القيام للصلاة أن يتوضأ أو يغتسل ان كان به نجاسة ولا تصح الصلاة بغير وضوء أو بثوب أو مكان فى احدهما نجاسة ثم أوجب الصيام شهرا كل سنة . ومنع المسلم من اتيان زوجته حال نزول دم الحيض أو النفاس ولا يصح اتيانها فى غير الموضع الشرعى. وبين الرسول عليه الصلاة والسلام الطبيب الذى أهدى اليه من مصر انهم قوم يرفضون الأساس الأول للمرض فى قوله .

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ووجه الرسول الأمة الى نظامها فى تناول الطعام فى قوله « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » وقوله « النظافة من الايمان » كما حث الرسول على عدم مخالطة المرضى حتى لا ينتشر منهم ميكروب العدوى فى قوله « وفر من المجذوم فرارك من الأسد » .

ومن هذا وغيره تبين أن سيرة المؤمن تصرفه عن كل موضع يعرضه للتلف فى صحته أو تلوث فى ملابسه أو جسمه بما يجلب له المرض (١) .

٢ — الطب العلاجى :

(١) الطب النفسى :

يوضح القرآن الكريم العلاج النفسى فى قوله تعالى : « وننزل من القرآن ما شفاء ورحمة لمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (٢) كما وضح علماء المسلمين القلوب المريضه فى كتبهم وكيفية علاجها .

(٢) الطب الباطنى :

وفى آيات القرآن الكريم وصف لحال الأجنة وتطور الخلقة بعد خلق الناس جمعيا من طين ورأى البعض أن الخلق من طين يتمثل فى آدم وأبناءه . وهناك راى آخر يقول أن النطفة من الطعام والطعام من الأرض فالخلق من طين شامل لنا جميعا المهم أنه بعد الخلق من طين يصير الانسان نطفة ووضع النطفة فى القرار المكين يشير الى وجوب اتفاق حيوان من نوعين

---

(١) الامام الجليل الحافظ ابى عبد الله احمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية الطبيب النبوى — مطبعة المدنى ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) النحل : ٦٨ .

ذكر وأنثى ليتخلق الجنين ثم تنتقل النطفة الى طـور العلقـة فالمضغة فالعظام فاللحم ثم يستمر فى الأرحام الى أجل مسمى ثم يكون طفلا وشابا وشيخا ويتوفى ويحاسب على عمله . ماذا يعنى للناس بعد هذا السرد القرآنى لقضية الحياة من أولها لآخرها وما يتعرض له الجنين وما يتعرض له الحى وما يتعرض له الميت حتى بعد موته . (١)

ثانيا الجغرافيا فى القرآن الكريم :

حدثنا القرآن الكريم عن الوان من أدلة القدرة فى الخلق مناقشة أو اخبارا فهو يقول :

« أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم » (٢) .

فالاشارة الى رفع السماء عن الأرض وظلمة الليل ونور النهار ثم شكل الأرض وخروج الماء والمرعى منها ووجود الجبال وتنوع التربة وتنوع النبات على حسب طبيعة كل مكان (٣) .

ومن دراستنا لآيات القرآن الكريم وجدنا :

الجغرافيا الاقتصادية :

بمعنى توزيع المعادن والنباتات على الأرض وهذا موجود فى قوله الله عزز وجل : « الأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون (٤) » . ترينا الآية الكريمة أن الأرض فيها معادن وينبت فيها نبات وكل شىء لا يطغى على الآخر فكأن هذه الأشياء وزعت على الأرض بميزان ، وفى مثل قوله تعالى :

---

(١) الامام الخايل الحافظ عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بأبن قيم الجوزية (مرجع سابق) الطبيب النبوى ص ٩٧ — ٩٨ .

(٣) النازعات : ٢٦ — ٣٢ .

(٣) أحمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضارة الاسلامية (مرجع سابق) — دار الفكر العربى .

(٤) الحجر : ١٩ :

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتسخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (١) .

فيه لون آخر من أرزاق العباد المستكنة فى البحر فهو مورد اقتصادى للطعام كالسمك والحلية كاللؤلؤ وهو معبر تجارى يربط الدنيا ببعضها حيث تسير الفلك فيه وكل ذلك ليسعى المؤمن وراء رزقه شاكرا نعمة الله عليه (٢) .

الجغرافية المناخية :

وهذا لون آخر من الآيات فى مثل قوله تعلى :

« وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين (٣) .

وقـــولـــه :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلله ينابيع فى الأرض ثم يخرجه به زرعا مختلفا ألوانه ثم بهيج فنراه مسفرا ثم حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب (٤) .

وقـــولـــه :

« الم تر أن اللهيزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (٥) » .

فى مثل هذه الآيات يبين القرآن بصراحة دور الرياح فى حمل السحاب وانزاله مطرا بل اكثر من ذلك فالرياح تحمل حبوب اللقاح بين الذكـــور

---

(١) : النحل : ١٣ .
(٢) دكتور احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلايمة ص ٨٧ .
(٣) الحجر : ٢٢
(٤) الزمـــر : ٢٠
(٥) لنـــور : ٤٢

والأناث فى الأشجار وأن الماء حينما يرتفع الى طبقات الجو العليا يصير سحابا فيمطر فى أماكن الضغط المنخفض اشارات صريحة الى بعض أسرار الكون وقدرة صانعه وفتح الطريق أمام الباحثين الجغرافيين فى مناخ هذا الكون (١) .

(٣) الجغرافيا الفلكية :

وقد ورد فى القرآن الفاظ الليل والنهار واليوم والشهر والسنة بالفاظها فلابد لها من مفاهيم كما عبر القرآن عن تعاقب الليل والنهار ودوران الأرض وحركات الشمس ومنازل القمر كما نجد ذلك فى مثل قوله تعالى :

« خلق السموات والأرض بالحق

« يكور الليل على النهار ويكور لنهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٢) » .

وقوله :

« وآيه لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣) » .

وفى مثل قوله تعالى :

« وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون (٤) » .

وفى قوله تعالى :

« وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا الظل ولا الحرور (٥) » .

---

(١) دكتور أحمد ابراهيم الشريف دراسات فى الحضار الاسلامية (مرجع سابق) ص ٨٨ .

(٢) الزمر : ٥

(٣) يس : ٣٦ — ٣٩ .

(٤) الأنبياء : ٣٠ .

(٥) الفاطر : ١٨ .

وفى هذه الأمثلة اشارات منها أن الليل والنهار كل يدور حول الآخر كالكرة وهذا يعتبرانهما متساويان ويزيد أحدهما على الآخر كما يتضح ذلك فى الفصول الأربعة ومنها أيضا أن الشمس والقمر لهما جريان فى فلك خاص لكل منهما لايتعداه الى فلك آخر وان القمر منازل وان الليل والنهار لا يسبق أحدهما الآخر .

(٤) الجغرافيا البشرية :

أما اذا نظرت الى مثل قوله تعالى :

« ومن آياته خلق السموات والآرض واختلاف السنتكم والوانكم أن فى ذلك لآيات للعالمين (١) » .

نجد الآية تشير صراحة الى أن الناس يختلفون من حيث اللون فهناك الأبيض والأسود والأصفر — كما يختلفون من حيث اللغة وهو يولد علاقات وطرقا لتبادل المنفعة مما يعرفه علماء الجغرافية البشرية ودراسى السلالات والأجناس (٢) .

واذا أردنا جمعا للغرض من هذا كله وجدنا القرآن نفسه يجيب حين يقول :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن أن كنتم اياه تعبدون » (٣).

فهو يقول سبحانه وتعالى أن كنتم تنتفعون بهذه المخلوقات فاعلموا انه قد سخر هذه الاجرام العظيمة من أجل الانسان من لدن خالق الكون والانسان فهو وحده يستحق العبادة لا مخلوقاته التى جعلها مسخرة وتشهد

---

(١) الـــروم : ٢١ .
(٢) د . أحمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية (مرجع سابق) ص ٩٠ .
(٣) فصلت : ٣٦ .

بعظمة خالقها حين تلتزم بما رسم لها وتؤدى ما فرض عليها لا لشىء الا لانها تشارك الانسان فى عبادة الخالق وتشكر نعمته عليها (١) .

ثالثـــا الزراعة فى القرآن الريم :

أوضح القرآن الكريم الأنبات وما يخص هذا الأنبات من عوامل مختلفة مثل الماء والأرض وعناصر التربية ويوضح توافر هذه العناصر ولزومها لأنبات البذور واستئناس النباتات وهذا كله من قدرة الخالق الخارقة وذلك فى قوله عز وجل :

« الله أنزل من السماء مـــاء فاحيا به الارض بعـــد مـــوتهـــا (٢) » .

قال عـــز وجـــل :

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضره أن الله لطيف خبير (٣) » .

« وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها المـــاء اهتزت وربت ونبتت من كل زوج بهيج (٤) » .

وقال ايضا :

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء مـــاء فيحيا به الأرض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (٥) » .

وتكلم عن عوامل الأنبات فيما يختص بتخزين البذور للمواد الكيمائية التى تلزمها حتى تخرج الجذور وتعتمد على نفسها من تغذية فى الأرض

---

(١) مصطفى محمود : من اسرار القرآن ــ العدد (١١٥) من كتاب اليوم .. مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة سبتمبر ١٩٧٦ ص ١٩ ــ ٢٠ .

(٢) النحـــل : ٦٤ .

(٣) الجـــج : ٦٣ .

(٤) :الحـــج ٤ .

(٥) الـــروم : ٢٣ .

وهذه الخاصية لم تكتشف الا فى العصر الحديث وان البذور او الحبوب تخزن مواد غذائية يحللها الجنين حتى تستطيع أن تنمو خلاياه . وخص القرآن بالذكر تخزين المواد الدهنية فى البذور حتى ينبت بها الجنين وقد تناول هذه الخاصية فى أدق وصف لها (١) » .

وكان من الممكن أن يشير اليها القرآن الكريم باشارة ولكن أراد تفصيلها بقول مختصر حتى يقرأها الاخصائى فى هذا المجال فيعلم أن القرآن هو مفتاح لكل العلوم ومورد خصب لجميع الاكتشافات (٢) .

ولم يقتصر قول القرآن على عوامل الانبات وانما بين تعدد الأنواع المختلفة من النباتات من حيث تغذية الانسان ومايلزم ذلك ، واختلافها فى الطعم واختلاف النوع الواحد ووضح بأن الاختلاف يرجع الى الذكور والانوثة حيث قال عز وجل فى كتابه الحكيم :

« الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى (٣) » .

وقال أيضا :

« وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) » .

ولم يقصر القرآن الحديث عن الأنواع واختلافها بل تحدث عن تكاثر هذه النباتات وعن التحورات (٥) اللازمة للتكاثر وعوامل انتقال البذوربينها

---

(١) محمد رجب اسماعيل : الزراعة فى القرآن الكريم .. مجموعة بحوث قدمت لمؤتمر الاسلامى بباريس — جمع ومراقبة وتقديم محمد سيد — مكتبة دار السلام ٩٥٤ ص ٦١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٢ .

(٣) طـه : ٥٣ .

(٤) الرعد : ٤ .

(٥) بعض نباتات الذكورية التى تؤدى الى التكاثر .

بالتفصيل . وذكر أيضا عوامل الهجرة النباتية موضحا أحدى العوامل التى ساعدت على الأنتقال هو الهواء وعوامل تثبيتها فى الأرض هو الماء بعد أن تتحور تحورا مثبتا وعليها زغب ريش أو عليها رقائق رفيعة يساعد على حملها فا الهوء بحيث أن تكون خفيفة الوزن ودقيقة لدرجة أننا لا نراها بالنظر العادى وتظل فى رحلتها حتى تجد منطقة ممطرة فيثقل وزنها نتيجة سقوط المطر عليها فتسقط فى الأرض (١) وتنبت كما يقول الله عز وجل :

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرة فيه تسيمون (٢) » .

وقال أيضا :

« ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل واعناب ومن كل الثمرات ن ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) » .

رابعا علم الحشرات وسلوكياته فى القرآن الكريم

ثم تكلم القرآن عن سلوك الحشرات وفوائدها مبينا بالتفصيل عن غرائزها واسلوب تغذيتها واسلوب معيشتها وحالة أفرادها وذكر المواد التى تفرزها حيث يقول عز وجل فى كتابه الحكيم :

« أوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون (٤) .

خامسا علم الحيوان فى القرآن الكريم

ولم يكتف القرآن بذلك وانما ذكر أيضا الثروة الحيوانية ومايترتب عليها من صناعات غذائية وذكر أهم الأنواع الصالحة للتغذية الانسانية مبينا سلوك كل حيوان ولم يكتف بذلك بل عدد الأنواع الأخرى التى لا تصلح للتغذية وذكر طرق معيشتها وسلوكها ومع كل هذا بين لنا القرآن المراعى الخصبة وذكر كيف تنتقل البذور النباتية المختلفة وأختار لها ادق الألفاظ

---

(١) محمد رجب اسماعيل (مرجع سابق) ص ٦٢ — ٦٣ .

(٢) النحل : ١٠ .

(٣) النحل : ١١ .

(٤) النحل : ٦٧ — ٦٩ .

فى احتوائها على العديد من الأنواع واثبت من خلال ذلك كله قدرته الفائقة فى بيان تغذية الانسان وأسلوب معيشته وما يحيط به من كائنات قد سخرها له ولم يترك الباب مغلقا على بعض الصناعات الغذائية التى هى فرع من فروع الزراعة بل اشار اشارة الى اللبن وكيفية تكوينه فى الحيوانات المدرة للألبان وارجع هذا الى تغذية الحيوان وكيف أن الانسان يلزمه هذا السائل الغنى بالمواد الغذائية فى حياته اليومية (١) . وقد ذكر ذلك فى قوله تعالى :

« وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » (٢) .

وقال ايضا :

« الله جعل من بيوتكم سكنا وجعل من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين » (٣) .

ولم يكن القرآن محتاجا الى ان يطيل ويفصل فى كل ابواب الزراعة ولكن ذكر الحقائق الأساسية الجوهرية فى مجال الزراعة وأشار اشارة طفيفة الى فروع دقيقة متخصصة . وليس بالضرورى أن يكون القرآن كمرجع من مراجع العلم المتخصص ولكن هو كتاب الفئات العلمية وغير العلمية منها بحيث ان كل افراد المجتمع يستطيعون أن يأخذ كل ما يخصه منه . وكان لتنوع العلوم وتعدد الظواهر المادية الطبيعية المذكورة تعطى الفرصة للمسلمين الأوائل أن يختاروا الفرع الذى يريدون التخصص فيه حسب قدراتهم وميولهم (٤) .

---

(١) شحاته ابراهيم محمد : العلوم الزراعية واسرارها فى الاسلام مجموع بحوث اشرف عليها الشؤون العلمية فى الأوقاف بالجزائر ١٩٧٢ ص ٨٧ .

(٢) النحل : ٦٥ .

(٣) النحل : ٧٩ .

(٤) الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) القرآن وقضايا الانسانية — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٧٢ ص ١٧ — ١٨ .

واقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرات أصحابه وعرف الفروق بينهم فوضع كل منهم فى مكانه المناسب (١) .

ونستطيع أن نقول بأن القرآن كتاب يحتوى على العلم والايمان ويحتوى على التصديق بقدرة الخالق وعظمته وكيف سبحانه قد وضع منهجا تربويا يتناسب مع طبيعة الجنس البشـــرى حتـــى يجعله خليفته على الأرض (٢) .

العلوم الاجتماعية فى الاسلام :

وقف القرآن الكريم على الناحية الاجتماعية فى عدة أمور أهمها :

١ — فى قوله تعالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار بالجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانهم أن الله لا يحب من كان مختالا فخورا (٣) » .

وفى هذه الآية أمر بعبادة الله وتوحيده وهو المعنى العام الذى يتميز به المسلمون عن سواهم ثم الاحسان الى الوالدين والى بعض النـــاس الذين يربطنا بهم رباط المجتمع . فالقريب من غير الوالدين واليتيم والجار والذى انقطعت به الطريق والعبد كل اولئك من أفراد المجتمع الذين يمثلون الوانا من البشر اختلفت ظروفهم الاجتماعية ولهم صلة بنا أو ليس لهم لكن يجب ان تمتد اليهم يد المساعدة لتحفظ كرامتهم وانسانيتهم فى المجتمع (٤) وحتى يستحقـــوا الخـــلافة فى الأرض التى من أجلهـــا وجـــدوا على

---

(١) الدكتور مهدى بن عبود : عقيدة الاسلام — أيدرولوجية المستقبل — طبعة أولى المختار الاسلامى ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ ص ٢٠ .

(٢) فضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلف القرآن ومنه صفوة البيانات لمعانى القرآن — ج ١ طبعة أولى مطابع دار الكتاب العربى بمصر ١٣٠٥ — ١٩٥٦ ص ٣٢ — ٣٣ .

(٣) النســـاء : ٣٥ .

(٤) الدكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للاسلام — طبعة أولى — مكتبة وهبه رمضان ١٣٩٧ هـ — أغسطس ١٩٧٧م ص ٩٢ .

الكره الأرضية ولهذا وجبت الزكاة على المسلمين وهى مشاركة فى المال والمال هنا هو مال الله يقدمه القادر لغرضين :

الغرض الأول هو اكمال دينهم والثانى بناء مجتمعهم وليس أخذ الزكاة مشروطا فيه القرب من المزكى بنسب أو مصاهرة أو غيرها ولكن شروط الزكاة تدور حول كونه فردا من المجتمع حلت به ظروف جعلته محتاجا فوجب على المجتمع رعايته وكفالته (١) وبهذا تتم الخلافة فى الأرض ويكمل المجتمع ، ولعل هذا واضحا فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) والدليل أيضا على أن المراد بها سلامة المجتمع وبنائه ، فالزكاة تعطى للمشرك ، وكما بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الصدقة على القريب صدقة وصلة وهناك جار له حق اذا كان مشركا وحقان اذا كان مسلما وثلاثة حقوق اذا كان قريبا وفى قول رسول الله عليه الصلاة والسلام (أرحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر) اشارة الى وجوب الكفالة الاجتماعية لاولئك الذين تقلبت أحوالهم وتغيرت ظروفهم (٢) .

وفى سير المسلمين السابقين أمثلة رائعة تشير الى أنهم وقد وقفوا صفا واحدا فى الصلاة وأمسكوا عن الطعام نهارهم فى رمضان وحج البيت فى وقت واحد وبطريقة واحدة ، فقد كان بذل المال وكرم العشرة وحسن السيرة عنوانا بارزا لحمايتهم الشخصية والاجتماعية (٣) .

وقد ربى الاسلام المسلمين على الوقوف وقفة رجل واحد اذا ما ألم بهم ما يسىء الى دينهم أو الى دولتهم فكان الجهاد فى سبيل الله لرد الظلم والدفاع عن النفس وكان الاستشهاد أحب اليهم من الحياة طالما كان ذلك فى سبيل الله .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩٣ .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن دراسة مقارنه للاخلاق النظرى فى القرآن ترعيب وتعليق : دكتور عبد الصبور شاهين — مراجعة دكتور السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية ١٩٧٤ — ص ٣٢ — ٣٣ .

(٣) محمد الصادق عرجون : الموسوعة فى سماحة الاسلام — المجلد الأول مؤسسة سجل العرب ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ ص ٢٨ .

وبين المسلمين علاقات مثل الزواج وحقوق الأبناء على الأباء وحقوق الأباء على الأبناء ومسئولية المجتمع عن كبار السن وعن العجزة والأرامل ومن لا يستطيعون كفاية أنفسهم ولو كانوا من غير المسلمين ، ولعل فى الشيخ الكبير والمرأة والصبيان وغير القادرين من الجزية مثل بين لسماحة الاسلام ورقى أهله عن شهوة المال وجمعه من كل طريق (١) .

وفى أمره صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالعمل ولو كان جمع الحطب وبيان انه بذلك أفضل من السؤال ، وتبشير المسلمين بأن المغفرة فى ان يقضى ليلة كالامن عمل عمله وان السعى وراء الرزق سعى وجهاد فى سبيل الله حتى لا ينشأ المسلمون على التواكل والاعتماد على الغير ولا ينشأون فى حب المال وكنزه والسعى وراءه فاذا اجتمع لديهم المال سعت اليه الزكاة ، فهكذا المال دائرة بين المسلمين يتجمع ويتفرق كل ذلك فى سبيل الله حيث يقول عز وجل :

« كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » (٢) .

وفى فتاوى الامام مالك أن الفقير الذى يجمع الزكاة ليأكل ويلبس منها فى يوم العيد اذا تجمع له اكثر من طعامه واسرته يوما وليلة وجبت عليه الصدقة اذا فاض لديه شىء فالفقير فى الاسلام فقير وقتيا والغنى غنى وقتيا المهم ان فى يده مال يجب عليه العطاء ومن يحتاج فلا حرج فى أن يأخذ لأن المال « مال الله » .

وفى الاسلام تنبيه على اختيار الزوجة التى ستكون أما وأن من صفاتها أن تكون صاحبة دين اولا والزواج بالمسلمة افضل من غيرها وان كان جائزا زواج المسيحية واليهودية وحرمة الزنا معناها فى الاسلام نظافة الأغراض والبيوت من الامتهان . ثم ان الاسلام قد حرض الأبوين على تنشئة الطفل على الفضائل وتعليمه وتأديبه وفى ذلك الأجر ، وفى عدم تفضيل بعض الأبناء على بعض واختصاص بعضهم بشىء من المال وبهذا

---

(١) عباس محمود العقاد : (مرجع سابق)ما يقال عن الاسلام ص ٣٨ .

(٢) الحشر : ٧

الى وجوب الألفة والتماسك بين الأخوة والآخرين فى الاسلام حتى لا تجد الفتنة طريقها بين المسلمين (١) .

ومن هذا السرد نجد الاسلام يرمى الى تكوين اسرة قوية متماسكة ومجتمع كريم فاضل يقوم بعضه على مصلحة بعض.

العلوم السياسية فى الاسلام :

يرمى الاسلام الــى تكوين أمة واحدة على رأسها سلطة مطاعة هى سلطة الله متمثلة فى شريعته المنزلة على رسوله والمثبته فى القرآن الكريم وقد قال الله عز جل :

« قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين »(٢).

وان هذه الأمة تجمعها المصلحة المشتركة والأهداف الواحدة التى يجب على الامة رعايتها . وان يتفرغ كل فريق منها لمهنة وان شعارها هى الأخوة الاسلامية وان تكون المعاملة فيما بينهم معاملة أخوة صادقة تعطى النصيحة لمن يطلبها فى صدق واخلاص (٣) حيث يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (الدين النصيحة) قلنا لمن يارسول الله قال (لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) .

واتخذت هذه الأمة لنفسها مبدأ هاما فى سياستها وهو الشورى حيث يقول عز وجل :

« وأمرهم شورى بينهم » .

ولقد اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ فى حياته حيث استشار أصحابه والمسلمين فى يوم الخروج فى بدر وفى شأن الأسرى .

الرســول عليه الصلاة والسلام وهو معصــوم من الكذب يناقش

---

(١) سيد قطب فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء ١٩ — ٢٥) الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ ص ٨٢٥.

(٢) آل عمران : ٣١ .

(٢) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام (مرجع سابق) ص ٩٦.

(الاسلام والمسيحية — ص١٠)

ويسمع ويجيب ويوجه ويطالب النصحية ويستشير أصحابه فى كل أمور الدنيا . والقرآن هو الدستور الذى يحكم تصرفات المسلمين فلهم أن يجتهدوا ويختاروا الراى لصالح بناء دولتهم واقامة التشريعات الخاصة بهم والقضاء على الشبهات كل ذلك بشرط واحد الا تكون هناك مخالفة لنص من نصوص القرآن أو السنة (١) .

فالخليفة ينفذ ما جاء فى القرآن وما وصل اليل الراى عند الائمة المجتهدين وهؤلاء ينظرون فى كتاب الله ويسعون للوصول برايهم الى ما ليس فيه نص من القرآن أو السنة وكل هؤلاء محاسبون أمام الأمة حين يخطىء بعضهم . وكثيرا ما عزلوا الولاة وكثيرا ما حدث خلاف فى الراى فالخليفة واحد من المسلمين وصل الى درجته باختيار حر ورضى أن يتحمل المسئولية أمام ربه وامام امته ، والأمة لها أن تجتهد فى امورها بما لا يعارض نصوص القانون كما ذكرنا وهو القرآن (٢) .

ومن هنا نجد ان الحكومة الاسلامية ليس فيها الحكم الالهى المطلق، والناس المنفذون لأمر الله لا يتميزون عن البشر فليس فى النظام الاسلامى ما يتشابه بما يسمى بالنظام الثيوقراطى . وليس فى الاسلام الحاكم المستبد الذى لا يقبل المناقشة . الاسلام ليس نظام جماعة معينة يرعى مصالحها دون النظر الى من يجاورها أو من يعيش فى ظله وليس الحكم فى الاسلام تقليدا لما كان عند أمة أخرى وانما هو رعاية عامة لمن آمن به وهم المسلمون ولمن عاش فى ظل دولتهم وهم أهل الذمة . وليس عنصريا يختص بلون أو لغة أو طبقة (٣) .

ان الاسلام قد حدد مفهوم الأمة فى وحدة ينتظم فيها المسلمون ومن يعيش فى ظل دولتهم وسمى هذا بالامة . وهذه الأمة يشيع بينها تنفيذ ما جاء فى القرآن والسنة على يد راعيها الذى اختارته بالبيعة والذى يستمد

(١) الامام الأكبر محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة — طبعة تاسعة — دار الشرق ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ص ٢٨ — ٢٩ .

(٢) دكتور أحمد ابراهيم الشريف : دور الحجاز : دار الفكر العربى ص ٨٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٨٨ .

قوته من القرآن والسنة وهما يمثلان ركنى الشريعة الاسلامية . وان الأمة عليها الطاعة ما سار راعيها على الكتاب والسنة ولها حق عزل ذلك الراعى ان خالف حدود الله . وان الراعى له أن يعاقب المخالف بحكم القانون وبحكم تفويضه المستمد من الأمة . وأن يكون شعار الأمة كبيرها وصغيرها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله الذى هو أصل كل خير (١) .

ومن هنا أتضح مفهوم الدولة وصارت لها سلطة مطاعة وكان الله عز وجل هو رمز هذه الدولة وكل شىء يحدث فيها باسم الله وصارت كل النظم السياسية والعسكرية تنسب الى الله وقد سمى الجيش باسم «جيش الله » ومن ظهرت فكرة الرياسة فى الدولة الاسلامية عن طريق الايمان بالخالق وكان الرسول عليه الصلاة والسلام الرئيس السياسى الأول لهذه الدولة ومن هذه السلطة السياسية تفرعت انواع السلطات المختلفة .

ولما كان الله خالق الناس جميعا وأن عدله كان يجب يتسع مفهوم امامة الله سبحانه وتعالى الناس جميعا دون النظر الى جنسياتهم أو وضعهم الاجتماعى أو عقيدتهم ولهذا كفل للجميع الحقوق .

ثالثا — المعلمون فى صدر الاسلام

يرى المسلمون اول آية فى كتابهم اشتملت على أسس الحضارة كلها فى كلمات قلائل فى قوله عز وجل :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (٢) .

فى هذا النص الشريف نتيجة ومقدماتها فالنتيجة اقرأ والمقدمات القلم والانسان . والنصوص كثيرة فى الكتاب والسنة التى تشهد بأمية الرسول تقرنها بأن الله علمه ما لا يتعلم السابقون حيث يقول عز وجل :

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٨٩ .
(٢) سورة العلق : ١ — ٥ .

« ولقد تعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى اهذا لسان عربى مبين » (١) .

فالمدرسة التى تعلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى المدرسة الالهية قائدها والمربى فيها والقائم على صيانة موادها الدراسية هو الله عز وجل يتجلى ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم (ادبنى ربأ فأحسن تأديبى) والأدب فى نظر الاسلام هو الأخذ من كل فن بطرف فهو يشمل كل المعارف البشرية وبهذا يعتبر الله سبحانه وتعالى المعلم الأول للبشرية كافة (٢) حيث يقول :

« رب العالمين »

وقد انتظم المسلمون فى هذه المدرسة الربانية ولم تكن صلتهم بالمعلم الأول — مباشرة وانما كان معلمهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، علمهم الفضائل والقرآن الكريم ، وأخذوا من سلوكه وحـديثه ومعاملته علما تقربوا به الى ربهم وتفقهوا به فى دينهم وجعلوه سلوكهم . وكثيرا ما نجد فى السنة لفظ مشتملا على ثلاثة أركان : معلم هو الرسول عليه السلام ، ومتعلم هو الصحابة ومنهج يتعلمونه ، ونستطيع أن نقول هو الاسلام ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من يأخذ عنى كلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن » قال ابو ذر انا يا رسول الله ثم قال فأمسك رسول الله بيدى واخذ يقول «اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارضى بما قسم الله لك تكون أغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا ، واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر من الضحك فان كثرة الضحك تميت القلوب » .

فقد علم رسول الله ابا ذر هذه الوصايا ويشتمل الحديث على شىء آخر فى قوله (ويعلم من يعمل بهن) بمعنى أن من تعلم علما كان أمانة فى

---

(١) سورة النحل : ١٠٢ .

(٢) محمد أحمد الغمراوى واعداد احمد عبد السلام الكردانى — الاسلام فى عصر العلم الدين والرسول والكتاب — مطبعة السعادة ص ١٢٠ — ١٢١ .

عنقه يؤديها للناس حين يسألوه أو أراد هو النصح لهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (بلغوا عنى ولو آية) فهى اشارة الى ان المتعلمين عليهم واجب لمواطنيهم يتخلص فى نقل ما تعلموه قولا وعملا وخلقا الى اولئك الذين يحتاجون الى سلوك الطريق السوى ليكونوا من السعداء فرسول الله عليه الصلاة والسلام يعتبر المعلم الثانى فى الاسلام (١) .

اما المعلم الثالث فى الاسلام فهو الصحابى الجليل مصعب بن عمير فقد أرسله الرسول عليه السلام الى المدينة حين جاءه الأنصار فى بيعة العقبة وسألوه ان يرسل معهم من يعلمهم شئون دينهم (٢) .

وكان مصعب رضى الله عنه اشبه بطالب الدراسات العليا الذى يعمل فى حقل تعليمى ثم يعد منتظما فى كليته يدرس فيها علما أكثر وهذا لأن مصعب كان يعلم القوم ما تعلمه فاذا أحس حاجة الى شأن ليس له به علم عاد الى مكة وتزود من معلمه صلى الله عليه وسلم بعلم وخلق وقرآن الى ان أذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة بعد أن أخذ كل من المسلمين على نفسه أن ينقل ما يتعلمه من درس يعلمه الرسول الكريم الى أهل بيته والى الضعفاء والعبيد الذين منعوا من حضور الدرس فى المسجد على يد قريش فى مكة (٣) .

وبذلك صار الصحابة بين معلم ومتعلم على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام لأن القرآن كان ينزل متفرقا وكانوا يحضرون الى درس الرسول كل حسب وقته وطاقته فكان من روى شيئا علمه اخوانه قائلا اياه عن الرسول حتى اذا شاء الله ونزلت آية :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (٤) .

---

(١) الاسلام فى عصر العلم — الدين والرسول وكتاب (مرجع سابق) ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٣) (المرجع السابق) — ص ٤٧ .

(٤) المائدة : ٣

فى حجة الوداع وفى يوم عرفة أدرك الصحابة كأبى بكر ان رسول الله قد دنت رحلته عن الدنيا اذ أن رسالته قد تمت فلابد من رحيله الى العالم الاخر (١) .

ولم ينتقل رسول الله الا بعد أن عرف الناس سور القرآن وآيات كل سورة ومكانها من اخواتها على ما هو عليه الان فى كتابه « القرآن الكريم » وصحيح انهم لم يكونوا يحفظونه كله فقد روى كل واحد من الآيات الى شىء من الحديث الى شىء من الخلق ولكنهم يكمل بعضهم البعض .
بدأ عهد أبى بكر الصديق وقد دخل المسلمون فى حروب الردة وقتل منهم الكثير فاتفق على جمع القرآن من مواطن كتابته فزكى الصحابة بعضهم بعضا الى ان تم جمع القرآن وكتابة المصاحف فى عهد عثمان بن عفـــان .

فكان كل ما جاء بآية يشهد له رجلان على انه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتم جمع القرآن وحفظه فى مكان امين فى بيت أم المؤمنين بنت عمر .

وكل ذلك على قصر عهد أبى بكر وانشغال المسلمين باختيار الخليفة ثم حروب الردة ثم بدأوا ينشرون دين الله خارج شبه الجـــزيرة وانتقل ابو بكر وجاء عمر وقد استبقى حفظة القرآن والحديث بالمدينة او قريبين منها حتى يعينوه بالراى فى سياسة الأمة وكتابة العهود وغير ذلك حتى لا يسلك مسلكا مخالفا لآية أو حديث أو خلق يأمر به الاسلام . ولكن عثمان قد رأى ارجاء الدولة الاسلامية قد اتسعت وقد لا يستطيع بعض المسلمين السفر الى المدينة لمعرفة واجبه نحو الدين فلابد من انتقال العلم الى مريدية فى بلادهم . فقد رضى عثمان أن يهاجر بعض الصحابة الى البلاد المفتوحة لتفقيه الناس فى دينهم وقد التف حولهم الصحابة والأتباع . حتى صار لكل واحد منهم حزب وهذا ما كان يخشاه عمر بن الخطاب ، هذه الأحزاب التى تكونت بحكم الواقع مع صحابة رسول الله كان لها دور خطير فى

---

(١) محمد حسين هيكل : ابو بكر الصديق الطبعة الثانية دار المعارف ص ٧٢ — ٧٣ .

عهد عثمان فقد أدت الى الثورة على عثمان ذاته وأدت الى قتله وأثارت الفتنة فى الدولة الاسلامية .

وجدنا فى كتب السنة شروطا يجب توافرها فى المعلم حتى يصح الأخذ عنه وقد ذكرنا قبل هذا أن الصحابة حين جمعوا القرآن كانوا يشهدون بعضهم على بعض للتزكية .

وقد سلكوا أيضا نفس المسلك فاشترطوا فى راوى الحديث العدالة والثقة ومن اجل هذا كانت الاحاديث درجات على درجة ثقة راويها قوة وضعفا . وقد رفضوا أحاديث لأن رواتها لم تتوفر فيهم الشروط وكان رائدهم فى هذا قوله صلى الله عليه وسلم (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم أهديتم) وقد صار المسلمون حتى الذين احاطوا بكثير من أسرار القرآن حفظا وتفسيرا وأسباب النزول وأحكامها وفقه وفى الحديث اسنادا وحكما عليه من درجة الصحة أو والحسن . رغم هذه الموسوعات البشرية المتحركة كانوا متواضعين لا يتفاخرون بما عندهم وكانوا أقرب الى التلميذ من نفسه بعلمهم وأخلاقهم لأنهم عرفوا أن الرجل يصدق قوله عمله وقد تعلموا ذلك مما قرأوه وفهموه بعمق من قرآنهم وسنتهم . واتخذوا قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر (١) كقاعدة فى تعليمهم وتعلمهم ومن هذه القصة نرى أن نبى الله موسى قد تعلم منه أشياء كثيرة أهمها :

١ — الاتفاق بين المعلم والمتعلم يتجلى ذلك فى قوله الله تعالى على لسان الخضر « قال فان أتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى احدث لك منه ذكرا » (٢) فقد وضع الخضر الخطة ومؤداها أن يرى موسى ويسمع ولا يسأل حتى يأتيه معلمه بالخبر اليقين .

٢ — أن يحذر المعلم تلميذه من صعوبة المنهج فيتجلى ذلك فى قول الخضر كما ذكر القرآن الكريم « انك لن تستطيع معى صبرا » (٣) .

---

(١) قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع العبد الصالح .
(٢) الكهف : ٦٩ .
(٣) الكهف : ٧٤ .

أن التلميذ بحكم صغر سنه وقلة خبرته له أن يخطىء وهذا من قوله حق السفينة « قال اخرقتها لتغرق اهلها ؟ (١) وفى حق الغـلام » قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس (٢) وفى حق الجدار « قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا » (٣) .

٤ — للاستاذ ان يتمسك بخطته طالما تأكد من صلاحيتها فيتجلى ذلك فى قول الخضر فى كل مرة « الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا » .

٥ — على التلميذ ان يعتذر عن خطئه مرة او مرتين على حسب طاقة الاستاذ يتجلى ذلك فى أن الخضر تقبل العذر من موسى مرتين الاولى فى حادثة السفينة والثانية فى حق الغلام .

٦ — للمعلم اذا لم يستجب التلميذ لطريقته أن يعتذر عن مواصلة الدرس معه وهذا اوضحه القرآن عن الخضر بعد حادثة الجدار فى قول الله « قال هذا فراق بينى وبينك » (١) .

٧ — ان يتكلم او يقوم بأعمال من شأنها توصيل المادة الرئيسية ولذا كان الخضر يقوم بما عليه عمله من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار من غير أن يأخذ رأى موسى عليه السلام » .

٨ — للمعلم ان يبدى أسباب الاعتذار عن مواصلة الدرس ولذا بعد ان قرر الخضر فصـل موسى من مدرسـته حكى له حكاية السفينة والغلام والجدار .

٩ — رغم تفوق الأستاذ (وهو الخضر) فى هذه الحادثة ليس له أن يدعى عدم سبقه فى العلم بل نسب العلم الى الله ولذلك قال الخضر فى نهاية الدرس «. وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطيع عليه صبرا » (٥) .

---

(١) الكهف : ٧ .
(٢) الكهف : ٧٣ .
(٣) الكهف : ٧٦ .
(٤) الكهف : ٧٧ .
(٥) الكهف : ٨١ .

وعلى هذا النحو تفرعت تخصصات العلماء طبقا لقراءاتهم وصارت حلقات الدرس بذرة للمدرسة الحالية يتقدم فيها الطلاب على أيدى العلماء فى الفنون المختلفة .

التربية فى عهد الخلفاء الراشدين :

لقد شغل أبو بكر الصديق الخليفة الأول بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بارساء قواعد الاسلام فى نفوس المسلمين والقضاء على الفتنة التى شملت الدولة الاسلامية وكادت تقضى على أركانها . وأن يرسى مفهوم الدولة فى نفوس العرب فى شبه الجزيرة العربية وقضى على الردة ورغم أن خلافته كانت قصيرة الا أنها جعلت من الدولة الاسلامية قوة وجنب المسلمين الفتنة والهلاك ووجه جيوشه الى الحرب الخارجية لفتح بلاد الشام والعراق ومن هنا بدء الصراع مع اكبر دولتين هما دولة الفرس والروم لكل منهما حضارة ونظم سياسية وثقافة ونظام تربوى يختلف تماما عن الثقافة والانظمة الاسلامية ، والنظام التربوى الاسلامى(١)

وجاء من بعده عمر بن الخطاب ليكمل الفتوحات وقد فهم عمر ان المجتمع العربى قد تطور الى مجتمع أكبر يشمل اجناسا مختلفة لها نظمها وثقافتها المختلفة وخاف عمر أن يتأثر الاسلام بتقاليد تلك الامم واخلاقها فأرسل بعض الرجال من علماء وفقهاء لتربية تلك الشعوب (٢) .

ومن هنا نرى أن التربية الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين هى امتداد لعهد الرسول عليه الصلاة والسلام متمثلا ذلك فى علوم القرآن الكريم والسنة (٣) . لان الخلفاء الراشدين كانوا فى منتهى الحذر من الثقافات التى جاءت اليهم عن طريق الفتح وخاصة النظام التربوى .

---

(١) محمد شديد (مرجع سابق) ص ٢٣ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٥ — ٢٦ .
(٣) محمد فوزى القتيل : التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها — القاهرة — مكتبة مصر ١٩٦٦ ص ١٨ .

التربية فى العصر الأموى :

يعتبر هذا العصر عصر امتداد للعصر الراشدى فقد بدا التعليم فى عصر بنى امية تعليما دينيا فى المقام الاول ثم تطور الأمر بعد الاستقرار السياسى فنشأت دراسات تخدم الأغراض الدينية مثل علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، وتفسير القرآن وعلم الحديث ..

وهذا يرجع الى طبيعة العصر حيث دخل الموالى الاسلام وبداوا ينقلون علومهم الى العربية وان كان النقل فى البداية بحذر ولهذا وضع الامويون قيودا على الاحاديث والتفسير خوفا من الدس والتحريف بعد اتصال العرب بالدول التى خضعت لهم بهم بعد الفتح وبهذا صار القرآن والسنة هما اهم مكونات التربية الاسلامية (١) .

وفى منتصف العصر الأموى اوكل بعض الخلفاء الأمويين أولادهم الى مقررين وتسمى هذه الحركة حركة المقررين ولم يكن هناك اهتمام من جانب الحكم بالتربية عامة لأن الدولة كانت فى انشغال بالقضاء على الثورات التى اجتاحت دولتهم ضد النظام السياسى مثل ثورة الحسين ابن على وعبدالله بن الزبير وثورات الخوارج المستمرة .

الباب الثالث

التربية الاسلامية فى العصر العباسى

الفصـــل الأول

الثورة العباسية واثرها على التربية

تقديـــم :

افردت بابا كاملا للتربية الاسلامية فى العصر العباسى لان معالمها قد وضحت تماما تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى العصر العباسى ونتيجة تشجيع الخلفاء العباسين للعلم والعلماء حتى صارت لهم سياسة هادفة ساروا عليها معتمدين فى ذلك على عنصر جديد غير العنصر العربى الذى كان يشكل نوعا من العصبية والسيطرة على أمور الحياة فى الدولة الاسلامية . هذا العنصر الجديد قد أقام توازنا فى الحياة العامة كما عمل على صيانة كرامة الانسان واحترامه والحفاظ على شرفه وحياته نتيجة تربية أقام الاسلام قواعدها على أساس من الحرية والمساواة بين كافة المسلمين دون تعصب لأى عنصر من عناصر المجتمع الاسلامى (١) .

ولا يتم لنا فهم هذه التربية الاسلامية فى العصر العباسى بمعزل عن ثورتهم التى قاموا بها فى المجالات السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية للمجتمع الاسلامى (٢) فى ذلك العصر هذا يختلف عما كان عليهفىصدرالاسلام تمام الاختلاف حيث كانت الدولةالاسلامية فى بداية تكوينها ، ولهذا اختلفت التربية فى هذا العصر فى التنظيم فقط واما الجوهر فهما متشابهان تمام التشابه بل ظهرت بعض العلوم نتيجة الامتزاج الفكرى العربى والاسلامى بالفـــارسى وادى الى تطـــويـــر النظـــام التربـــوى للدولة الاسلامية حتى يتمشى مع تطـــور الحيـــاة فى ذلك الوقت والذى دفـــع بها الى

---

(١) عبد العزيز الدوردى : فى العصر العباسى الأول : دراســـة التاريخ السياسى والادارى والمالى : دار المعامين ١٩٤٥ ص ٥٢ .

(٢) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (مرجع سابق) ص ٣٥ — ٣٦ .

عجلة التقــــدم والذى بلغ اوج عظمته فى بــداية العصــــر العباسى الأول .

ولهذا يجب أن تستعرض الثورات الاقتصادية والاجتماعيةو السياسية التى قام بها العباسيون فى بداية حكمهم للدولة الاسلامية .

الثورة السياســية

لم تكن الثورة العباسية مجرد ثروة على أوضاع سياسة مستحدثة أو فساد فى الدولة الأموية أو ثورة على التنظيم السياسى للدولة أو للأطاحة بحكم أسرة وانما قامت الثورة لتغير كل أمور الحياة فى الدولة الاسلامية كأى ثورة حدثت فى تاريخ العالم فى العصور الوسطى (١) .

لقد قامت هذه الثورة فى اقليم بعيد عن مقر حكم الخلافة الأموية وهو اقليم خراسان فى ايران وساعد على نجاح هذه الثورة عاملان هامان هما بعد الاقاليم عن مقر الخلافة كما ذكرنا حيث لم تصل اليها يد الأمويين لتخمد الثورة ولبعدها عن الانحراف السياسى والمذهبى الذى فكك النظام الاموى وهوى بها الى الضعف ثم فى النهاية الى سقوط الدولة (٢) .

لقد تولى رياسة الدعوة شاب خراسان له من قوة الشخصــية والتأثير على جماهير المسلمين حتى أن أبا جعفر المنصور قد هابه وخشيه فقرر التخلص منه وهو ابو مسلم الخــراسانى . (٣) الذى قاد جيوش العباسيين وحاز النصر واسقط الخلافة الاموة واقام الخلافة العباسة بقتله للخليفة الاموى بعد هزيمته فى موقعة الذاب الاكبر فى « ابو صير » بالفيوم بمصر (٤) .

---

(١) دكتور أحمد محمود ودكتور أحمد الشريف — العالم الاسلامى فى العصر العباسى — دار الفكر العربى ١٩٧٣ . ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٤) برنادر اويس / العرب فى التاريخ — بيروت ١٩٥٤ : ص ١٤٢ .

قامت الثورة العباسية على شعارين هامين طالما كانت النفوس تهفو اليهما هما المساواة والاصلاح (١) .

فشعار المساواة شعار انسانى سامى أصيل فى الاسلام ولقد لعب دورا هاما وخطيرا فى الثورة العباسية . فبه أنضم المسلمون فى كل الاقاليم التابعة للخلافة الاسلامية الى الثورة العباسية وفيه أيضا تم القضاء على الأمويين وانتصار العباسيين أما الشعار الثانى فهو شعار أشمل من الأول ويدعو الى الرجوع الى كتاب الله وهو القرآن الكريم بما فيه من تعاليم ومعاملات وتربية وسياسة وعلوم والسنة التى تفسر ما جاء فى القرآن أو تكمل تعاليم الاسلام (٢) .

ولما استقرت الأوضاع فى الدولة وحققت الثورة العباسية ما كانت ترجوه بدأت تفكر فى اقامة سلام دائم مع جيرانها فعقدت اتفاقيات دولية حققت لها ازدهارا وتقدما حضاريا فى الداخل والخارج نتيجة اعتمادها على العنصر الفارسى الذى لم يبخل عليها بل ساهم فى تقوية سلطانها وبسط نفوذها وسيطرتها على الأقاليم التى كانت تخضع لها (٣) .

وفجأة ابعد هذا العنصر وكادت الدولة الاسلامية أن تفقد توازنها لولا ان عنصرا آخر مد يده اليها وهو العنصر التركى السلجوقى الذى دخل الاسلام جديدا وتعصب له وأمتاز بقسوته وخشونته فلعب دورا هاما فى الأمور العباسية واستغل فى النهاية ضعف الخلافة العباسة فأمتدت سيطرته على الخليفة ذاته (٤) .

ونتيجة لهذا ضاعت هيبة الخلافة العباسية وفقدت السيطرة على أمور الدولة فانتشرت الفوضى والفساد فى ربوع الدولة ثم تلى ذلك حركات جديدة وفريدة من نوعها وهى حركات الجند ضد امرائهم مطالبين بارزاقهم

---

(١) دكتور حسن احمد محمود ودكتور احمد ابراهيم : العالم الاسلامى (مرجع سابق) ص ٨٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٨٣ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٨٥ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٨٦ .

مهددين بخلعهم أو قتلهم ونتيجة لذلك بدأت الدولة تنقسم الى دويلات صغيرة متنافرة متباعدة (١) وفى النهاية تعرضت الخلافة العباسية والعالم الاسلامى للغزو الخارجى الذى ادى الى سقوط الخلافة وهو الغزو المغولى الذى اسقط الخلافة العباسية ثم بعد ذلك الغزو الصليبى وهذان الغزوان اكبر دليل على ضعف الدولة وتفككها فى النهاية ثم بعد ذلك تعرضها للسيطرة العثمانية وبأسم الاسلام والحفاظ على الخلافة الاسلامية حكم العثمانيون اكثر من اربعة قرون (٢) .

الثورة الاقتصادية :

لم يكن نجاح الثورة العباسية فى تحطيم الأغلال التى كبلت المسلمين خلال الحكم الاموى وانما النجاح فى تحطيم النظام الاقتصادى وفرض الثورة الأصلاحية للمسار الاقتصادى للدولة وقد تصدى الخلفاء العباسيون لهذا النظام بقوة واخلاص ووضعوا القواعد والأسس للأصلاح حتى عم الرخاء فى الدولة (٣) .

تتمثل هذه القواعد والاسس فى الشدة والحزم اللذين اتصف بهما الخلفاء العباسيون فى مراقبة عمال الخراج والسيطرة عليهم سيطرة كاملة وتنظيم ديوان الخراج واختيار موظفيه وعماله من كانوا يتصفون بالشرف والأمانة والأخلاص للدولة كما وضعوا على رأس الديوان مسئول موثوق به وصار هذا الديوان من أهم دواوين الدولة العباسية وقتئذ (٤).

ولقد عمل العباسيون على تنمية مواردهم الاقتصادية فاهتموا بالزراعة بأن أوجدوا نظاما جديدا لم يعرف وقتئذ وهو نظام المقاسمة فى المحصول دون النظر الى مساحة الأرض الزراعية مع توفير الخدمات اللازمة

---

(١) عبد الدورى : فى العصر العباسى الأول (مرجع سابق) ص ٦٢.

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى مكتبة النهضة المصرية — طبعة سابعة ١٩٦٥ ج ٣ ص ٦٤ .

(٣) حسن ابراهيم حسن — (تاريخ الاسلام — مرجع سابق) ص ٦٩.

(٤) دكتور أحمد محمود ودكتور أحمد الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى (مرجع سابق) ص ١٨٣ .

للفلاح وتتمثل فى اقامة السدود لحجز المياه اللازمة للزراعة طوال العام وحفر الترع واقامة الجسورو الاستعانة بأصحاب الخبرة (١) .

وقد حقق هذا النظام الجديد للدولة فوائد كثيرة ودخلا ثابتا جنبها الأزمات الاقتصادية بل أن الفلاحين اطمأنوا الى جباة الضرائب وامنوا شر العبث بهم فزاد الانتاج الزراعى وكانت نتيجة ذلك أن ارتفع مستوى المعيشة وزادت امكانيات الدولة الاقتصادية (٢) .

ولم تكتف الدولة بذلك بل اصلحت احوال الفلاحين بأنها الغت ضريبة العشر والمبالغ المتأخرة عن الفلاحين واباحت لهم حرية التنقل والهجرة فى داخل الدولة وأباحت أيضا ملكية الأرض الزراعية فى ايدى الموالى فأستفادت الدولة من خبراتهم لابعد الحدود وكانت نتيجة كل ذلك زيادة فى الدخل للفلاحين وللدولة ايضا وحققت من وراء ذلك كله نهضة زراعية بلغت ذروتها فأدت الى حرية الفلاح وحفظت له كرماته — وحققت له حياة فاضلة شريفة وبهذه السياسة تكدس الانتاج الزراعى فى الأسواق فأنخفضت الأسعار وتحقق الرخاء (٣) .

وعملت الدولة على تنمية المورد الثانى من مواردها الاقتصادية وهو المورد الصناعى فقد استفادت الدولة بالخبرة حين أباحت حرية التنقل للعمال المهرة من الريف الى المدن وباسقاطها الحواجز بين العرب والموالى ارتفع مستواهم المادى ومكانتهم الاجتماعية وحدث امتزاج بينهم وبين العرب نتيجة نزول العرب الى أدوات انتاج بعد أن كانوا طبقة حكام فتزوجوا منهم وتتلمذوا على ايدى أرباب الصناعات الفنية (٤) .

واتاحت الدولة حرية البحث عن الثروات المعدنية فى باطن الأرض فأستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والحديد ، واللؤلؤ والمرجان من

(١) نفس المرجع السابق (العالم الاسلامى فى العصر العباسى) ص ١٩٠ .

(٢) نفس المرجع (ص ١٩١) .

(٣) دكتور حسن احمد محمود والدكتور أحمد ابراهيم الشريف (المرجع السابق) ص ١٤٢ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١٩٣ .

البحار ونتيجة لتوفر هذه المواد الخام وحرية انتقال العمال وخبرتهم التى زاعت فى الأفاق فتقدمت الصناعات وتفوقت على غيرها وفتحت الأسواق أمام المنتجات العربية الاسلامية فتدفقت الأموال الى الـدولة وغمرت جيوب القائمين على الصناعات (١) .

لم تكن المواد الخام والخبرة وحدها وانما هناك الأستقرار السياسى للدولة والعلاقات التى قامت بينها وبين جيرانها على قدم السلام والمحبة ففتح ذلك أمام منتجاتها وسلعها أسواقا جديدة لم تحلم بها بل أن التجار المسلمين سلكوا طرقا برية وبحرية كثيرة واضحة المعالم فازداد حجـم التبادل التجارى سواء كان ذلك فى داخل أقاليم الدولة أو خارجها وظهرت لأول مرة مدن جديدة تجارية وموانى اسلامية مع ظهور اسطول تجارى أسلامى يجوب أكبر المحيطات محملا بالصناعات ذات الشهرة والصيت العالمى (٢) .

فتدفق الى العالم الاسلامى رجال الأعمال من مهندسين وأصحاب بيوتات مالية كبيرة ففتحوا المصانع المختلفة وبهذا عملت الدولة على تنظيم التصدير والأستيراد والجمارك فازداد دخل المكوس التى كانت تجبيها الدولة من التجارة وهكذا اصبح الخلفاء العباسيون من اغنى الملوك الذين عرفهم تاريخ المجتمع العالمى خلال العصور الوسطى . وبهذه الموارد الاقتصادية وكيفية تنميتها تنمية حققت فائضا من الأموال حقق به الخلفاء العباسيون مشروعاتهم المختلفة (٣) .

الثورة الاجتماعية :

شهد العالم الاسلامى فى العصر العباسى ثورة اجتماعية كما شهد الثورتين السياسية والاقتصادية مما أدى الى ظهور طبقات جديدة لم تكن لها وجود من قبل ولقد لعبت هذه الطبقات دورا هاما فى الحياة السياسية

---

(١) عبد العزيز الدورى : العصر العباسى « المرجع السبق » ص ٧٢.
(٢) نفس المرجع السابق ص ٧٣ .
(٣) المرجع السابق للدكتور حسن محمود وأحمد الشريف (ص ١٩٥).

والاقتصادية (١) .

والطبقة الأولى هى الطبقة الحاكمة وتشمل الخلفاء والأمراء والوزراء وقواد الجند وهى طبقة أرستقراطية بنفوذها وأموالها التى جاءت اليها نتيجة النظام الاقتصادى الذى قامت به الدولة (٢) .

ثانى تلك الطبقات هى طبقة الرأسمالية التى استفادت من الثورة الاقتصادية فملكت الثروات الطائلة فاشترت القصور والضياع وعاشت حياة مترفة لم تكن تحلم بها من قبل (٣) .

والطبقة الثالثة هى طبقة الأقطاع التى ظهرت فى الريف نتيجة الاصلاحات التى قامت بها الدولة فملكت هذه الطبقة الأراضى الزراعية الكثيرة وتحكمت فى الريف وسيطرت على الحياة فيه سيطرة كاملة (٤) .

وهناك طبقة جديدة بجوار هذه الطبقات وهى طبقة المولدين التى ظهرت نتيجة الزواج الذى حدث بين العرب والموالى فى البلاد التى فتحوها واستقروا فيها استقرارا كاملا ونتيجة نزول العرب من مكان الصدارة الى أدوات انتاج فى الدولة (٥) .

وهناك عناصر اخرى مثل العنصر الفارسى والتركى والرومى وطوائف كطائفة اليهود والنصارى وهم أهل الذمة وبجوار هؤلاء جمعيا طبقة الرقيق التى لم يتم القضاء عليها رغم وجود المبادىء الاسلامية السامية التى تنادى بحفظ كرامة الانسان ، وقد لعبت هذه الطبقة دورا هاما فى السياسة نتيجة نفوذها الذى حصلت عليه حين تزوج الخلفاء من امائهم فانجبوا خلفاء

---

(١) جورجى زيدان : التمدن الاسلامى — القاهرة — دار الهلال ١٩٠٦ ص ٤٦ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى والاجتماعى (مرجع سابق) ص ١٠١ .

(٣) نفس المرجع ص ١٠٠ .

(٤) نفس المرجع ص ٩٩ .

(٥) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون — بيروت — طبعة أولى — المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ١٩٦٣ ص ٣٧٠ .

حكومة الدولة الاسلامية (١) .

استفادت كل هذه الطبقات والطوائف من الثورة الاقتصادية فنقلوا الى المجتمع الاسلامى مجالس اللهو والشراب والغنــــاء وجلبوا الرقيق بانواعه المختلفة (٢) .

بهذا العرض السريع وضح لنا سمات المجتمع الاسلامى فى العصر العباسى والذى غير من الحياة الاجتماعية .

وفى بداية القرن الرابع الهجرى ظهرت طبقات من نوع آخر هذه الطبقة تتمثل فى سواد الشعب وقطاع الطرق واللصوص فحولت الحياة الى حياة منحرفة فاسدة عملت الى خلق جو غير مستقر ، وتعرضت حياة الانسان الى قلق دائم وخوف وحياة غير مطمئنة وغير مستقرة .

ووسط كل هذا ظهرت جماعة جديدة تدعو الى ترك ملذات الحياة الدنيوية بما فيها من متعة وشهوة والفرار الى حياة أفضل وهــــى طبقة المتصوفة (٣) .

اثر الثورات على الحياة الثقافية :

نجحت الثورة العباسية التى حمل لواءها كافة المسلمين فى العالم الاسلامى فى اقامة دولة اسلامية جديدة حررت جماهير المسلمين فاسقطت الحواجز والقيود التى وقفت أمام المسلمين فانطلقوا فى المشاركة فى الناحية الثقافية فاعطوها كل خبراتهم ونتائج قرائحهم وافكارهم (٤) . فازدهرت الثقافة ازدهارا كبيرا ويرجع ذلك الى عدة عوامل منها :

---

(١) نفس المرجع ص ٣٧٢ .
(٢) نفس المرجع ص ٣٧٣ .
(٣) حسن عبد العال (التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) (مرجع سابق) ص ٤٢ .
(٤) الدكتور حسن أحمد محمود والدكتور ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى (مرجع سابق) ص ٢٤٥ .

أن الفرس كانوا فى طليعة حركة الترجمة التى ظهرت فى أوج عظمتها من الفارسية الى العربية ويرجع الفضل الى أولئك الذين أجادوا اللغتين العربية والفارسية معا وظهروا فى ميادين المعرفة والتدوين والتأليف ومنهم أبو حنيفة النعمان وحماد الراوية وبشار بن برد وسيبويه وغيرهم (١) .

أما العامل الثانى الذى ساعد على الانطلاق العلمى الذى جاء نتيجة امتزاج الثقافة الاسلامية بالثقافة العربية والسياسية وهو عملية التوليد التى جاءت نتيجة الحرية التى أعطاها العباسيون لجماهير المسلمين ليشاركوا فى الحياة العامة مع وجود عامل التنافس بين الولاة فى الأقاليم الذين نقلوا العلماء وشجعوا العلم فى داخل ولاياتهم فقامت حركة التأليف والقاء المحاضرات وعقد المناظرات العلمية وصار بلاطهم يشبه بلاط الخلفاء فى بغداد (٣) .

والعامل الثالث ان القرن الرابع الهجرى قد شهد أكبر مدرستين فى العالم الاسلامى فالمدرسة الأولى كانت فى الفسطاط وقد ظهرت فى أواخر العصر العباسى وكان طابعها دينى بحت يدرس فيها علوم القراءات لأول مرة وعلوم الفقه والحديث فذاع صيتها فجذبت اليها العلماء من كل فج عميق للدراسة والتدريس وقد أستقر فيها الامام الشافعى وعمل على نشر مذهبه وعقد المناظرات بين مذهبه والمذهب المالكى فادى الى نهضة علمية جديدة فى نوعها (٢) .

أما المدرسة الثانية فهى مدرسة القيروان التى ظهرت فى تونس وقد ساعد على نموها وازدهارها الأغالبة الذين شجعوا حلقات التدريس فى مساجدها وجلبوا الأساتذة اليها من الشرق فتفرغوا للدرس والبحث العلمى وقد لعبت هذه المدرسة دورا هاما فى انتشار المذهب المالكى فى بلاد المغرب مما أدى الى جذب علماء قرطبة للدراسة واعتناقه والعمل على نشره فى

---

(١) الدكتور أحمد محمود والدكتور احمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى (مرجع سابق) ص ٢٤٦ .

(٢) جولد تشهير : العقيدة والشريعة فى الاسلام : ترجمة محمد يوسف القاهرة دار الكتب الحديثة ١٣٧٨ هـ : ص ٧٢ — ٧٤ .

داخل اقليمهم (١) . وقد وقف هذا المذهب فى وجه آراء المعتزلة وتمسك أصحابه بالكتاب والسنة حتى انتصروا عليها فى النهاية (٢) .

وعلى نمط هاتين المدرستين قامت مدارس فى أنحاء الدولة منها مدرسة الشام والعراق وغيرها وقد رحل اليها بعض الصحابة مثل معاذ بن جبل وأبى الدرداء الأنصارى وقام التدريس فيهما معتمداعلىالكتاب والسنة (٣).

والعامل الرابع الذى ساعد على ازدهار الحركة العلمية هو القضاء على الفتن والثورات التى شملت العالم الاسلامى فى العصر الأموى فادى الى ظهور طبقات جديدة زادت من دخلها ونالت مزيدا من الحـــرية مما ساعدهم على الأتجاه العلمى والدراســـة والبحث والتـــأمل والتردد على حلقات الدرس (٣) .

أما العامل الخامس فهو أن الخلفاء العباسيين قد لعبوا دورا هاما فى فى الحياة العلمية فشجعوا الشعراء وأفسحوا لهم المجال أمامهم وفتحـــوا قصورهم كمنتدى يقال فيه الشعر والأدب وحلقات المناضرة .

كما أن الخلفاء قد أقتنوا المكتبات التى تحتوى على كتب علمية نادرة مختلفة فى العلوم ووضعوها فى متناول الجميع وبهذا كله جذبوا العلماء من جميع أنحاء الدولة الاسلامية طلابا للعلم (٤) .

أما العامل السادس فهو حركة التدوين للتراث العربى وهذا نتيجة رغبة العلماء الى غذاء عقلى وروحى يكون فى متناول أيديهم فى أى لحظة كما أن الفرق الاسلامية المختلفة والتيارات السياسية ما عادت تتقبل سماع التراث مشافهة وانما تسعى الى شىء مدون يؤيد وجهة نظرها ويساعدها بالوقوف فى وجه معارضيهامع وجود صناعة الورق التى ظهرت حديثا شجع كل هذا على ظهور عملية تدوين اللغة والأدب والحديث والفقه والأخبار .

---

(١) نفس المرجع ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢) الدكتور حسن أحمد محمود والدكتور احمد ابراهيم الشريف والعالم الاسلامى فى العصر العباسى (مرجع سابق) ص ٢٥٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

أما العامل السابع فهو نتيجة العلاقات الطيبة بين الدولة الاسلامية وجيرانها مما ساعد على وجود بعثات علمية متبادلة مع شراء الكتب التى ادت الى وجود حركة جديدة وفريدة من نوعها وهى حركة الترجمة التى ساعد الخلفاء على سرعة انتشارها بتشجيعهم للمترجمين سواء كان هذا أدبيا أو ماديا وقد بلغت هذه الحركة شأنا كبيرا فى عهد الخليفة المأمون حين أنشأ دار الحكمة التى وجدت بها دارا للترجمة التى قامت بترجمة العديد من الكتب اليونانية والسريانية الى العربية وقد شملت هذه الكتب المترجمة الطب والفلسفة والرياضيات والفلك كما تزعم هذه الحركة أهل الذمة فبرعوا فيها بعد ان استقروا فى ظل الدولة الاسلامية نتيجة المبادىء التى جاء بها الاسلام فى معاملتهم معاملة طيبة لم تعرف من قبل . وقد ساعدت هذه الكتب المترجمة العلماء بأن يصبوا آراءهم المختلفة فى قوالب علمية تمكنهم من تأييد وجهة نظرهم والوقوف فى وجه معارضيهم بالحجة والبرهان وقد استعانوا بالفكر الأغريقى والفلسفة الأغريقية (١) .

(١) محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين — الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ — ص ١٥٥ .

الفصل الثانى

التربية وأهدافها فى العصر العباسى

أهداف التربية الاسلامية فى العصر العباسى :

لقد تأثرت أهداف التربية الاسلامية فى هذا العصر نتيجة التحول السياسى والاقتصادى والاجتماعى فصارت متعددة الأهداف ومنها :

الهدف الأول أنها ترمى الى خلق الفرد المسلم المؤمن بربه العابد له حيث يقول الله عز وجل فى كتابه « ما خلقت الجن والانس الا لعبدون » (١) ولا يتم ذلك الا عن طريق تربية خلقية دينية للفرد المسلم (٢) .

أما الهدف الثانى بانها تحقق للفرد المسلم مكانة أجتماعية ومنزلة عليا فى مجتمع يسوده التكافل الاجتماعى ولا تأتى هذه المكانة وتلك المنزلة الا عن طريق التربية وطلبا للعلم والمعرفة (٣) حيث يقول عز وجل .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات » ويقول أيضا « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله عليه وسلم » ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما « للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » .

والهدف الثالث هو الحصول على العلم من أجل العلم ذاته ليحصل

---

(١) الذريات : ٥٤ .

(٢) خليل قواطع — التنمية عند العرب : المطبعة التجارية — القدس ص ١٩٣٥ — ص ٦٩ — ٧٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٧١.

(٤) محمد عطية الأبراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها مطبعة عيسى الحلبى ص ٣٨ .

المتعة العقلية والذهنية التى يرجوها طالب العلم ويتحمل فى ذلك المتاعب والمشاق ليحقق هذه الرغبة والمتعة (١) حيث حث الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك به طريقا الى الجنة ». وقال « ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يضع وقال ايضا » اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » .

والهدف الرابع هو هدف عملى المقصود به طلب الـــرزق ليحفظ للانسان كرامته وانسانيته ولا يكون عالة على غيره .

وهذه الأهداف حلقات متداخلة لا ينفصل بعضها عن بعض وانما التربية تسعى الى تحقيقها كلها .

وتنقسم التربية الاسلامية فى العصر العباسى الى نوعين أحدهما وأهمها تربية عامة لكافة المسلمين سواء كانوا عربا أو أجناسا غير عربية وتنقسم التربية العامة الى مرحلتين المرحلة الأولية وفيها يتعلـــم الطفل التعليم المبدئى الذى يجعله مواطنا مسلما مؤمنا بربه والمرحلة الثانية لتخلق منه عالما بدينه متخصصا فى عمل يؤديه من اجل نفسه ومجتمعه وليكون مدرسة علمية يتتلمذ عليها جيل آخر حيث يقول رسول الله « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ويقول أيضا « طلب العلم فريضة على كل مســلم ومسلمة » .

أما النوع الآخر من التعليم فهو مانطلق عليه تربية خاصة لبعض المسلمين لمن يرغب فى ذلك فهو يمثل نمطا جديدا ظهر فى االعصر العباسى وهو أما أن يكون تربية تسعى الى متعة عقلية أما تكون تربية تتغلب فيها المتعة الروحية وسنتعرض لكل منهما على حده .

---

(١) محمد عطيه الأبراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها — طبعة ثانية عيسى الحلبى ١٩٦٩ ص ٣٨ — ٤٠ .

اولا — التربية العامة

تنقسم التربية العامة الى مرحلتين أولهما مرحلة تعليم الصغار من سن السادسة وفيها يخرج الطفل من الحضانة المنزلية الى الهيئة الخارجية الصالحة الملائمة لتربيتة ورعايته (١) جسميا وعقليا ونفسيا وهدف ذلك تحقيق السعادة للطفولة .

فى هذه المرحلة يتعلم أطفال المسلمين قليلا من الثقافة الاسلامية ممثلة فى حفظ بعض آيات القرآن ، فالقرآن فى نظر المسلمين هو محور الدراسة حيث يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » مضافا الى ذلك حفظ بعض أحاديث الرسول ومعرفة الصلاة والوضؤ والتدريب عليها وحث الأطفال على الصلاة من سن السابعة وضربهم عليها فى سن العاشرة . كما يحفظ الأطفال فى هذه السن بعض الأشعار العربية التى ترمى الى توضيح بعض القيم الأخلاقية فى اذهانهم (٢) .

والتعليم فى هذه المرحلة جماعيا حيث يجتمع أبناء المسلمين فى قاعة أحد المساجد أو الكتاب فيلقى عليهم الدرس أو يحفظون آية من القرآن ثم يعيدون أستظهارها ويوجد وسط أبناء المسلمين ابناء علية القوم من المسلمين فيقتاد هؤلاء الأطفال اولئك فى الأخلاق . فالتربية الجماعية تخلق فى الطفل منذ صغره الشخصية القوية وتعوده الاعتماد على النفس ، لأن الطفل فى الجماعة يشعر بانه فرد من مجموع تربطه بهم مصالح مشتركة وتعوده كيف يأخذ وكيف يعطى وانه فيها يجد الحماية والطمأنينة والمساعدة (٣) .

---

(١) اسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٧ ص ٥١ .

(٢) دكتور هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية — عمان ١٩٦٧ ص ١٧٣ .

(٣) عبد الفتاح جلال : من الاصول التربوية فى الاسلام : المركز الدولى للتعليم الوظيفى فى العالم العربى — سرس الليان — المنوفية ج٠م٠ع ١٩٧٧ ص ١٩ .

ولقد وضعوا لهذه المرحلة منهجا دراسيا اشتمل على عدة أسس هامة ، منها العناية بالتربية الخلقية بغرس الفضائل والقيم فى نفوس الأطفال عن طريق الوعظ والارشاد والتلقين أو عن طريق التقليد فى بعض العمليات فى مساعدة الضعفاء والفقراء ويشتمل المنهج أيضا العناية بالتربية الدينية ويتمثل ذلك فى حفظ الآيات القرآنية وبعض الأحاديث لرسول الله لغرس روح الشجاعة والاقدام والأخلاق الحسنة الحميدة (١).

وتزويدهم كذلك بالأخبار وخاصة أخبار الصحابة والأولياء الصالحين ليخلقوا فى نفوس الأطفال حب التضحية والبذل وأهتموا كذلك بالشعر العربى وخاصة السهل منه والذى يدعو الى الشجاعة والاقدام (٢) .

كما اعتنوا بالعمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وذلك لمعرفة المعاملات والمواريث فى الاسلام ثم ادركوا أهمية اللعب لدى الطفل بل أعتبروه حقا من حقوقه الطبيعية التى لا يمكن الأستغناء عنه والأستفادة منه فى نمو جسم الطفل والنمو النفسى له ثم حببوا فى نفوس الأطفال المشى وركوب الخيل والرماية والسباحة حتى يخلقوا جيلا قويا من المسلمين (٣) .

لم يكن هناك علم لطرق التدريس أو خطة موضوعة ملزمة من الدولة للقيام بعملية التدريس وانما الالزام بأى خطة نابعة من القائمين على العملية التربوية ذاتها لأن التربية مسئولية فردية فى الاسلام فلذا قصد العلماء الى المساجد أو العلم للتدريس رغبة فى ارضاء الله ومحبة فى العلم ومصدقا لقول الرسول عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »

لقد حث علماء التربية المسلمين على مراعاة الفروق الفردية والقدرات العقلية بين الأطفال فى حالة القيام بعملية التعلم ويحدثنا فى ذلك الامام أبو حامد الغزالى بقوله « ان واجبات المربى أن يعلم الطفل ما يسهل فهمه

---

(١) نفس المرجع ص ٢٠
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٣ .
(٣) دكتور هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية (مرجع سابق) ص ١٧٥ .

لأن الموضوعات الصعبة تؤدى الى ارتباكه العقلى وتنفره من العلم » .

لقد حفظ العرب أخبارهم وأشعارهم والقرآن الكريم معتمدين على الذاكرة القوية فى استعادة ما حفظوه لأنهم لم يعرفوا عملية التدوين وقتئذ وقد ادرك علماء التربية هذه الظاهرة فاسخدموا هذه الطريقة فى الحفظ والاستظهار (١) .

وهناك طريقة القراءة الجهرية الجماعية التى تساعد على الحفظ بين الأطفال كما ن طريقة تدريس الشعر العربى ويبدأ من السهل الى الصعب فيدرس الطفل الرجز ثم يتدرج الى دراسة القصيدة (٢) .

ويؤكد ابن سينا أنه يجب أن يراعى المعلمون حين التدريس المواهب الفطرية لدى الأطفال وأن يهتموا بميول الأطفال ومراعاتها فى التدريس لأى موضوع (٣) .

أما المرحلة الثانية فهى المرحلة العالية وتختلف تمام الأختلاف عن المرحلة الأولى فان الانسان المسلم قد بلغ النضج العقلى والجسمانى والنفسى ولهذا أهتم الاسلام بالفرد المسلم وأعتبره أمة كاملة يجب ان يربيه ويرعاه كما أن الله سبحانه وتعالى قد خلق له من الخصائص والقدرات ودعاه الى استخدامها حتى يهيىء نفسه مع قوى الكون ويسخرها لاغراضه (٤) .

والانسان بطبيعة الحال له قوة مبدعة وروح عالية تسمو من حالة لأخرى وانه بطبعه دائم البحث والتنقيب عن كل شىء جديد يبين فيه نفسه ويؤكد شخصية ولا يأتى ذلك الا عن طريق التربية (٥) .

---

(١) خطاب على عطيه : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول — القاهرة — دار الفكر العربى — ١٩٤٧ — ص ٧٧ .

(٢) حسن عبد العال : الزمن القرن الرابع الهجرى (مرجع سابق) ص ١٥٣ .

(٣) أبو عبد الله الحارثى بن أسد المحاسبى : الرعاية لحقوق الله تحقيق عبد القادر أحمد عطا — مطبعة السعادة ١٣٩٠ — ١٩٧٠ ص ٨٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٥) عز الدين عباس : التعليم فى الاسلام : الرائد مجلة المعلمين — السنة السابعة — العدد الخامس — مارس ١٩٦٢ — ص ٧٩ .

فى بداية الدعوة الاسلامية كانت المادة التربوية التى تعطى للمسلمين هى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول وفيهما حث على استخدام الطريقة العلمية فى البحث والدراسة والمعرفة بما يدور فى الكون وما به من قوى وخصائص البحث فى النفس البشرية وأمكانياتها وقدراتها ومتطلباتها حتى يصل من خلال ذلك الى معرفة الخالق سبحانه وتعالى وعبادته ولهذا أصبح المجتمع الاسلامى مدرسة وكل فرد فيه معلما لآخر متخصصا فى علم من العلوم فمثلا ابو بكر وعثمان فى علوم السياسة والحكم ومثلا خالد بن الوليد فى العلوم العسكرية وأبو هريرة فى الأحاديث وهناك حفظة القرآن والأحاديث كما أن عصر الخلفاء الراشدين كان عصر الفتوحات الاسلامية واخضاع اكبر دولتين لسلطاتهم وبذلك بدأ المسلمون فى دراسة علومهم كالطب والفلسفة والطبيعة والرياضة فاضفوا اليها الكثير وصبغوها بالصبغة الاسلامية ثم جاء بعد ذلك حركة كبيرة وهى حركة الترجمة من الفارسية والسريانية واليونانية والهندية الى العربية واقبل المسلمون على الدراسة والبحث العلمى (١) .

فى هذه المرحلة العليا للتعليم نجد صعوبة كبيرة فى تحديد السن أو سنوات التعليم لأن الدراسة وقتئذ كانت تقوم على الاتصال بين الطالب واستاذه اتصالا مباشرا لانه يتلقى على يديه المادة العلمية التى يرغب فى اختيارها للدراسة كما أنه يأتى الى حلقات الدراسة متى شاء وينقطع حينما يريد الانقطاع دون أن يسأل عن ذلك (٢) .

الالقاب العلمية فى المدرسة الاسلامية :

وهى القابا أطلقت على المتعلمين لتعطى صورة واضحة على ان الطالب قد وصل فى الدراسة مرحلة معينة فمنها لقب غلام ثم بعد ذلك فقيه ثم متفقه فى العلم ثم طالبا (٣) .

---

(١) عبد الغنى عبود : التعليم مدى الحياة فى الاسلام كتاب التربية المعاصرة : دار الفكر العربى ص ٥٧ — ٥٨ — ٥٩ .

(٢) خطاب على عطيه : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ص ١٤١ .

(٣) حسن عبد العال : التربية فى القرن الرابع الهجرى (مرجع سابق) ص ١٢٨ — ١٢٩ .

ونظام الدراسة على هيئة حلقات دراسية وأصبحت بعد ذلك نظاما عاما فى الدولة الاسلامية كما أن عدد الطلاب فى الحلقة الدراسية لم يحدد فقد يزداد عد الطلاب وقد يقل حسبما تتكون المادة العلمية والأستاذ الذى يعرف كيف يجذب الطلاب اليه ويحببهم فى المادة كما أن الأستاذ لا يمنع أو يتعرض على أى طالب يحضر حلقته الدراسية (١) .

كما أن هناك القابا قد أطلقت على المعلمين توضح مدى الكفاية العلمية منها : المعلم وهو أقل الرتب العلمية ثم يليها المؤدب وهو معلم خصوصى والشيخ هو الأستاذ أو العالم ثم لقب المدرس ولقب الفقيه وهو من ألقاب العلماء والأستاذ لقب فارسى الأصل وأطلق على من اظهر كفاءة فى التعليم ثم لقب الرحالة ويطلق على اكبر العلماء حيث يرحل اليه الطلاب لتلقى العلم على يديه (٢) .

المناهج المدرسية متعددة ومختلفة ولم يفرض على الطلاب مادة معينة وعليه أن يختار المواد التى يحبها ويرغب فى دراستها وقد قسم العلماء المناهج فى هذه المرحلة الى قسمين أولهما المنهج الأدبى ويشمل علوم الفقه والنحو والكتابه والكلام والعروض أما المنهج الثانى هو المنهج العلمى الأدبى ويشمل العلوم الطبيعية كالطب والتشريع والعلاج وعلم المعادن والمناجم والنبات والحيوان والكيمياء والعلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمنطق (٣) .

ولقد شمل المنهج الدراسى فى المرحلتين الأولية والعليا العلوم الدينية لأنها ذات فضل فى نشر الحركة العلمية وأنها ذات اثر فى النفس البشرية والهدف منها معرفة الخالق عز وجل معرفة كاملة وأكتساب العادات الحسنة والأخلاق الحميدة . وقد أهتموا بجوار هذه العلوم بالناحية العقلية والروحية ولهذا فان منهج المرحلتين منهج فريد وجديد من نوعه لم

---

(١) نفس المرجع السابق — ص ١٣٠ .
(٢) حسن عبد العال (المرجع السابق) ص ١٦٧ — ١٦٨ .
(٣) دكتور هنى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية (مرجع سابق) ص ١٧٤ — ١٧٥ .

تعرفه البشرية من قبل وقد ساعد ذلك على تقدم العلوم (١) .

طرق التدريس الاسلامية

أما طرق التدريس فى هذه المرحلة فقد أهتم بها علماء التربية المسلمين لتوصيل المعرفة الى طلابهم كما ان الطريقة التى يختارها الأستاذ توجد نوعا من العلاقات الانسانية بين الطالب وأستاذه وتحببه اليه الدراسة وتؤدى الى احترام متبادل بين الطرفين (٢) .

واهمها هو طريق المحاضرات التى يقوم الأستاذ باستعراض موضوعه أو مقالته موضحا الأراء المختلفة مفسرا أو مؤيدا أو معارض لها، وفى أثناء استعراض هذه الأراء المختلفة قد يلقى الأستاذ أسئلة على طلابه ليعرف أن طلابه قد أستوعبوا ما القاه أو يفهم منها مدى متابعة طلابه لمحاضراته او يفتح اذهانهم أمام البحث والدراسة أكثر فى هذا الموضوع (٣).

اما الطريقة الثانية وهى طريقة المناظرة وقد كانت محببه الى نفوس العلماء لما فيها من قدرة على الارتجال فى الرد على المعارضين والاعتزاز بالنفس وقدرة الاقناع وقد شجع بعض العلماء طلابهم بأستخدام هذه الطريقة وقد تقام هذه المناظرة بين الطالب وزميله أو بين الطالب وأستاذه أو بين عالمين من العلماء .

وقد نقد العلماء هذه الطريقة لما فيها من عيوب بانها تؤدى الى الضغينة والضيق بين المناظرين وقد تخرجه من موضعية المادة العلمية الى الذاتية فيتطاول كل من المتناظرين على بعض او تخرجهم من وقار العلماء الى الغرور وبذلك يفقد احترام الناس من حوله (٤) .

اما الطريقة الثالثة فهى طريقة المراسلة بأن يبعث الطالب الى استاذه

---

(١) نفس المرجع ص ١٧٦ .

(٢) عبد الله فياض : اثار البلاد واخبار العباد — بيروت ١٩٦٠ ص ٢٣١ .

(٣) محمد عطية الأبراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها (مرجع سابق) ص ٢٠٩ .

(٤) محمد عطية الأبراشى : التربية الاسلامية (مرجع سابق) ص ٣١٨ .

رسالة يطلب فيها علاج أمر أو يسأله عن موضوع علمى أو يطلب تفسير موضوع غامض فيرد الأستاذ بالرأى أو يخبره عن كتب معينة يستفيد منها فى بحثه أو دراسته ولم تكن هذه الطريقة شائعة الا فى ظروف معينة (٢).

وهناك طريقة تجمع بين النظرية والعملية وهى التـى كان يدرس بها فى مدارس الطب التى سميت بالبيمارستانات (١) .

الأجازات العلمية الاسلامية

ولم تكن هناك شهادات علمية بالمعنى المعروف الآن وانما كان الأستاذ يجيز لبعض طلابه رواية الحديث أو تدريس كتاب ومن هنا اطلق عليها كلمة الأجازة وهى التى تؤهله بعد اذن كتابى من استاذه بأن يفتى ويدرس لها شروط منها أن يكون الأستاذ له معرفة كاملة بالموضوع وانه معروف لدى العلماء الذين يعتمد عليهم فى هذا الموضوع كما ان الطالب الممنوح الاجازة يجب ان يكون من الطلاب المجدين النوابا (٢) .

وقدترك العلماء كثيرا من المؤلفات العلمية التى عالجت موضوعات مختلفة كما أنهم كانوا حريصين تمام الحرص على مد يد العون والمساعدة اذا طلبت منهم للحكام . كما أن التربية الاسلامية قد ادت الى ظهور شخصيات علمية لها دور فى مجال الحياة العلمية والعملية وقد تركت ايضا أثر فى النفس البشرية .

ثانيا التربية الخاصة

لقد اوضحت مراحل التربية العامة ومناهجها الدراسية وطرق تدريسها

أما الجزء الآخر فى التربية الاسلامية فى العصر العباسى فينحصر فى عنصرين هامين هما تربية العقل تربية خاصة دون النظر الى النواحى الآخرى فى الانسان والعنصر الثانى هو تربية الروح والسمو الى درجة كبيرة ويتمثل هذان العنصران فى التربية عند اخوان الصفا والصوفية .

لقد جاء الأهتمام بالجانب العقلى نتيجة حركة الترجمة التى قام بها

---

(١) طه الراوى : بغداد — مدينة السلام : الكتاب رقم ٤٧ من سلسلة اقرأ دار المعارف — بمصر — فبراير ١٩٤٥ — ص ٩١ .

(٢) حسن عبد العال — التربية الاسلامية (مرجع سابق) ص ١٤٤ .

المسلمون فنقلوا الى العلوم الفكر اليونانى وغيره وقد ظهرت مدرسة اخوان الصفا نتيجة نقل هذه العلوم الى بلاد المسلمين (١) .

لقد ظهرت المدرسة فى منتصف القرن الرابع الهجرى وقد آمنت هذه المدرسة بان لا أصلاح للفرد المسلم وبالتالى للمجتمع الا عن طريق التربية العقلية (٢) وقد قسموا المتعلمين الى ثلاث طبقات وهى :

الطبقة الاولى وهى طبقة الشباب واعمارهم تتراوح ما بين الخامسة عشر الى الثلاثين واطلقوا عليهم الأبرار الرحماء وهم ملازمون لأستاذهم وفى صفاء النفس يتصدون لمن يقاومهم (٣) .

أما الطبقة الثانية هى طبقة الرجال وأعمارهم تتراوح ما بين الثلاثين والأربعين واطلق عليهم طبقة الأخيـــار الفضـــلاء لانهم تعلمـــوا الحكمة واستوعبوها استيعابا كاملا فازدادت معرفتهم بطبيعة وحقيقة الأشياء وأمور الحياة وامتازوا بالصفاء النفسى الذى تربوا عليه وطريقة تعاملهم مع الناس رحماء بينهم وبين الناس (٤) .

أما الطبقة الثالثة فهم طبقة الفضلاء وهم فى سن الأربعين لما وصلوا اليه من الناحية العلمية .

لقد آمن اخـــوان الصفا بان العقل و الذى سيقودهم الى طريق المعرفة الحقيقية وخاصة معرفة حقيقة الأشياء .

---

(١) عبد الصبور عبد الغفور : اخوان الصفا — الكتاب رقم ٧ من سلسلة (نوابع الفكر العربى) — طبعة الفكر العربى — دار المعارف بمصر ١٩٧٠ : ٩٢ .

(٢) الدكتور محمد جواد رضا : العرب والتربية والحضـــارة — دراسة فى الفكر التربوى المقارن — طبعة اولى — مكتبة المنيل — الكويت ١٩٧٩ — ص ١٩٠ .

(٣) المرجع السابق — ص ١٩١ .

(٤) الدكتور محمد جواد رضا :العرب والتربية والحضارة — دراسة فى الفكر التربوى المقارن — طبعة اولى — مكتبة المنهل الكويت ١٩٧٩— صـ ١٩٠ .

وقد انعكس هذا الفكر على التربية ذاتها فالتعلم فى نظرهم يجب أن يكون عقلانيا لا علميا وان هناك مواصلات للتعليم هى الحواس الخمس التى يمتاز بها الانسان عن الحيوان (١) وان المعرفة لديهم مكتسبة وليست فطـــريـــة .

لقد أدرك اخوان الصفا بان المعلم هو حجر الزاوية واساس العملية التعليمية لذلك رفعوه الى مكانة عليا فى المجتمع . ولقد جعلوا من العلوم الاغريقية التى دروسوها ملائمة مع الاسلام ومع تفكيرهم الاسلامى وزادوا اهتمامهم بروح الانسان وعقله ، وكان المنهج الدراسى عندهم يخدم هذه الناحية ويخدم دور الحياة فى المجتمع وهذا نوع فريد من التفكير قد دخل التربية الاسلامية ولم يسبقهم احد من قبل (٢) وقد قسموا العلوم الى

العلوم الشرعية : وتشمل علم التزيل والتأويل والروايات والأخبار والفقه وعلم الذكر والموعظة .

المقصود بدراسة هذه العلوم ان يصل الى الدارس الى طلب الآخرة ليحقق له السعادة الأبدية . وهناك العلوم الفلسفية وتشـــمل المنطق والطبيعة وعلم الألهيات والمقصود بدراسة هذه العلوم تربية العقل والروح معا تربيـــة عقلية وروحية وعلوم اخـــرى وتشمل علم الكتابة والقراءة واللغة والنحو والمعاملات والحساب والشعر والسحر والبيع والشراء والسير والأخبار المقصود بهذه العلوم طلـــب الرزق واصـــلاح الحيـــاة الدنيـــوية (٣) .

تهدف مدرسة اخوان الصفا تهيئة الفرد المسلم لطلب الاخـــرة واصلاح أحوال الفرد من الناحية العقلية والروحية وتأهيله للعمل لحفظ

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام : ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ — ص ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق : دكتور محمد حداد رضا : ص ١١٩٦ — ١٩٨ .

أقسام هامة وهى :

(٣) : نفس المرجع : محمد جواد رضا : ١٩٩ .

كرامته وانسانيته (١) .

واذا قورنت هذه العلوم بالعلوم الاغريقية لوجدنا الاتفاق بينهما بل ان اخـوان الصفا لم يفكروا فى تغيير اسـم العلوم بل فضلوا ان ينقلوها بنفس الأسماء بعد أن صبغوا هذه العلوم بالصبغة العـربية الاسلامية لتقريبها من وجهه النظر الاسلامية لتتلائم العصر ويقبل الطلاب على دراستها كعلوم اسلامية .

ثانيا : التربية الصـوفية :

أما الجانب الثانى فى التربية الخاصة وهو الاهتمام بالروح بعد أن غلبت الماديات على الحياة وسيطر العقل على أمور الحيـاة فاقاموا توازنا بين العقل والماديات بالتربية الصوفية .

قبل ان نتعرض لمنهج التربية الصوفية يجب ان نعرف من هم الصوفية وما معنى هذه الكلمة وكيف دخلت الى الاسلام ؟ والامر فى ذلك فى منتهى السهولة لو اننا استعرضنا مؤلفات الصوفية ذاتها .

يعتقد بعض المؤرخين أنكلمة اتلصوف قد اشتقتمنصفاء النفس وتخليص وسريرتها من الشوائب المادية (٢) ويرجعها البعض الاخر الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بانها مشتقة من أسم جماعة تعرف باسم «أهل الصفة» الذين انقطعوا للعبادة ولا يملكون الا قوت يومهم ويعيشون على تبرعات اخوانهم المسلمين وان — اوصافهم تشبه تماما اوصاف اهل التصوف (٣) .

ويرجع بعض المؤرخين القدامى أن الأسم ربما قد أخذ من كلمة (صوفه) وهو رجل كان يعمل بخدمة البيت العتيق (الكعبة) (٤) .

---

(١) ماكس بايرهوف : من الأسكندرية الى بغداد : بحث مترجم من كتاب (التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) ترجمة عبد الرحمن بدوى الطبعة الثالثة —دار النهضة العربية ١٩٦٥ —ص١٧٠ .

(٢) الصوفية واثرهم فى الدعوة الى الله تعالى : رسالة ماجستير مقدمة من محمد يوسف حموده : اشراف الدكتور أحمد احمد علوى — كلية اصول الدين جامعة الأزهر ص ٩ — ١٠ — ١١ .

(٣) نفس المرجع السابق : محمد يوسف حموده : الصوفية ص ١٢ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١٣ .

ويعنى كل هذا أن التصوف له جذور تاريخية قديمة منذ العصر الجاهلى فى مكة من ناحية ومن ناحية آخرى يصور لنا كبار المتصوفين من هم المتصوفة بتعريف فيقول « أن التصوف ان تجرى على المتصوف اعمال لا يعلمها الا الحق وان يكون مع الحق عز وجل فى كل وقت (١) .

ويعطينا أحد المتصوفين وهو ذو النون المصرى تعريفا مخالفا بقوله « ان الصوفى اذا نطق كان كلامه عين حاله فهو لا ينطق الا اذا كان ذلك الشىء واذا أمسك عن الكلام عبرت حالة معاملته عن حالة وكانت ناطقة يتطع علائقه الدنيوية عن خالة » (٢) .

ويرى البعض ان سبب اللجؤ الى التصوف هو صحوة الضمير فى الانسان وثورته على الظلم الذى يصيب الناس ولا يمكن دفعه عنهم وهــو ظلم الانسان لنفسه وتقرن بهذه الثورة رغبة قوية فى الكشف عن الله باى طريقة يقويها تصفية القلب من مشاغله (٣) .

هذه التعريفات فى مجمله اكلها تسعى الى سياسة تربية الفرد المتصوف الى أقصى درجات الأخلاص لله سبحانه وتعالى والزامه بمنهج السلوك الذى يوجد فى كتاب الله وهو القرآن الكريم وسنة رسوله . والوسيلة الى ذلك اتباع قول أحد المتصوفة « التصوف هو مجانبة الأشرار ومصاحبة الاخيار . والفرد المتصوف هو من جاهد نفسه فى ذات الله بتوفيق منه حتى يصفو قلبه (٤) .

المنهج الدراسى الصوفى يشمل ثلاثة أقسام هى محبة الله سبحانه

---

(١) فريد الدين عطار : تذكرة الأولياء جـ ١ : مطبعـة النهضـة ١٩٥٤ ص ٦٢ .

(٢) نيكلسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه : ترجمة أبو العلا عفيفى — طبعة مصر عام ١٣٨٨ هـ ص ٤٠ .

(٣) لويس — ماسينيون ومصطفى عبد الرازق — الاسلام والتصوف — طبعة دار الشعب ١٩٧٩ ص ١٨ .

(٤) د . محمد مصطفى حلمى : الحياة الروحية فى الاسلام — دار النهضة (بدون) ص ٤٢ .

وتعالى وتمثل هذه المحبة منذ ولادة الانسان على الأرض حتى معرفته للحق سبحانه وتعالى واثمار هذه المحبة فى نفسه . ولا تأتى هذه المحبة لله الا اذا عرف الانسان التوبة وهو علم جديد يبدأ تعليمه المتصوف بان يتوب الى الله عما أقترفت يداه من ذنوب وان هذه التوبة ملازمة للفرد من بداية دخوله الصوفية الى مماته (١) ويفسر علماء التصوف ذلك بان الفرد المذنب بعد توبته يتلقى من الله غفرانه ولطفه ورحمته ولا يتلقى عقابه وغضبه عليه وهذا ترغيب للسالك فى هذا المنهج حتى يمكنه أن يقلع عن ذنوبه برغبته لا بلسانه ثم يظهرون بعد ذلك العقاب والحساب على الذنب ليصلوا بذلك الى الرهبة والرغبة بالاقلاع عن الذنوب فى قلب الفرد المتصوف وذلك بمنهجهم وطريقتهم . ثم يأتى بعد ذلك علم التزكية والوصول من خلاله الا محبة الله بعد ان طهر نفسه من الذنوب ثم يحارب الفرد نفسه لانها فاصل بينه وبين الله وهذه المحاربة تتمثل فى الاقلاع عن كل شر وان يفعل الخير (٢) وان هذا العلم نظرى وعملى فالنظرى ان يستغفر ذنوبه وان يحب الله حيث يقول الله عز وجل « والذين آمنوا أشد حبا لله » وقال عز وجل ، قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله .. وقال أيضا « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » وحب الله يأتى بعد تبعية المسلمين للمؤمنين والتبعية هذه تتطلب الرجوع الى كتاب الله واسنة (٣) .

أما العملى فى هذا العلم « فهو أن يحضر حلقات الدرس ومتابعتها ويقوم بالمهام التى توكل اليه وان يقوم بالعمل الصالح وهو غاية فى ذاته (٣) وجزء من منهج التصوف وتبدأ بمراحل ثلاث وهى :

المرحلة الأولى الترغيب للعبد بمحبة الله بعد تعلم الفرد المسلم المتصوف اسماء الحق وترديد هذه الأسماء باعداد معينة والهدف منها ترغيب الفرد المسلم فى حبه لله وقد يفرض على الفرد اسماء الله التى تخص الرحمة

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٤ .

(٢) كامل مصطفى الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع — بغداد — مطبعة الزهراء ١٣٨٣ هـ ج ١ ص ٨٠ .

(٣) قمر كيلانى : التصوف الاسلامى وتطوره — طبعة بيروت — ١٩٦٠ ص ٢٨ .

مثل « الرحمن الرحيم » كنوع من الترغيب وقد يفرض على الفرد أسماء الله التى تخص القهر والانتقام مثل « القاهر — المنتقم — الجبار حتى يرهبوا قلبه من عظمة الخالق .

من خلال هذا الترغيب والترهيب يصلون به الى المحبة سواء كان ذلك باللسان او بعمل قد يوكل اليه حبا فى الله (١) .

والمرحلة الثانية بعد ان يحب الفرد المتصوف الله سبحانه يعلمه العلماء علوم تفسير القرآن وللأستاذ دور هام فى تعليم الفرد الصوفى هذا التفسير حتى يصل به الى درجة يطمئن بها عليه وقد يستغرق ذلك وقتا طويلا يراقبه استاذه فيه ثم يعيطيه فرصة لأختياره فيطلب منه أن يشرح ما فهمه واستوعبه امـام زملائه او امـام من هـمى اقل منه علما (٢) وتسمى هذه بالطريقة العلمية فى لتربية الحـديثة .

ويلتزم الاستاذ والطلاب عند الصوفية بالكتاب والسنة بجوار محبتهم لله سبحانه وتعالى وذكر رسوله عليه الصلاة والسلام .

ثم تأتى مرحلة آخرى وهى مراقبة الأستاذ لطلابه فان كانوا ملتزمين بما فرضه عليهم بالعلم قربهم اليه أما اذا أنه وجد فيهم قصورا من الناحية السلوكية أو العلمية فانه يوقع عليهم الجزاء وتعد هذه المرحلة العمود الفقرى الصوفية (٣) .

وفى المرحلة الثالثة يصل الفرد بسلوكه الى درجة روحانية عليا وذلك بعد انتهاء الفرد المتعلم من سلوكيات واخلاقيات وعبادات قد التزم بها ووفق فى القيام بهاومن‌هنا يدخل مرحلة جديدةوخطيرة فى‌حياته التعلمية

---

(١) محمد ابو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء واعلام التصوف — طبعة مصر ١٣٨٧ — ص ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٤ .

بمساعدة استاذه وهذه هى التربية الروحانية فى الصوفية (١) . بعد هذا يكون الفرد قد أعد ليكون معلما ومربيا لغيره . ومنهج هذه المرحلة يتمثل فى علوم الطهارة العلنية حتى تصفو نفسه . كما يحدد الاستاذ عدد الركعات بعد القيام بالفروض ويحدد ايضا قيمة الصدقة وايام الصوم بعد شهر رمضان ويفرض على بعض طلابه ممن لهم استطاعة للحج ان يؤدوا الفريضة كما أن الأستاذ يتولى قيادة الجهاد فى سبيل الله وهذا ما نسميه بالجانب العامى لعلوم الطهارة (٢) اما الجانب النظرى فى علوم الطهارة فيشمل الأذكار والاوراد التي تكون معروفة لديهم مصحوبة ببعض من الأدعية والأستغفارات والأبتهالات — والتكبيرات وبهذا يكون الفرد قد درس علوم الطهارة عمليا ونظريا .

وهناك علوم التوحيد ويحددها الأستاذ فى منهجه الدراسى الذى يفرضه على طلابه (٣) .

وبجانب هذين العملين السابقين تأتى الخلوة وهى درجة رفيعة لدى الصوفية وجزء هام فى التربية وقد وضعت لها عدة قواعد مختلفة هى :

١ — الانقطاع عن الأحكتاك بالخلق الا بقدر ضرورى وفى ظروفه يتطلب منه — الاتصال بالناس مع التزامه بذكر الاوراد والاذكار وان يلتزم بتوجيه الأستاذ حتى يحصل على النتيجة التىتؤهله بان يصبح مريدا ومعلما (٤) .

٢ — وقبل ان تقتضىعملية الانقطاع الدائم المستمر عن الناس بايام محددة فى الأسبوع يدرس فيها الأستاذ مع طلابه العلوم التى يقررها حسب قدراتهم واستعداداتهم .

---

(١) دكتور ذكي مبارك : التصوف فى الاسلام — طبعة بيروت (بدون) ص ٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٣ — ٣٤ .
(٣) الصوفية واثرهم في الدعوة الى الله (مرجع سابق) ص ٦٨ .
(٤) مرجع سابق ص ٣٦ .

٣ — يجمع المذهب الثالث المذهبين السابقين معا فيحبذ الخلوة المستمرة مع دراسة العلوم بجانب تأدية الصلاة طوال الليل والصوم فى النهار وهذه — أصعب المذاهب الثلاثة السابقة .

ومن شروط الخلوة الناجحة الا يعلن الأستاذ عن بدايتها بين الناس وأن موعدها سرا بين الأستاذ وطلابه وأيضا العلوم التى تدرس فى الخلوة لا يعرفها غير الاستاذ وطلابه الذين يؤهلهم بان يكونوا مربين فى المستقبل(١)

القاب التلاميذ عند الصوفية

يقسم علماء التربية الصوفية تلاميذهم الى فئات ثلاثة هى :

١ — المريد :

وهو طالب المرحلة الأولى فى الصوفية ويعرض على الأستاذ العالم ليعترف عليه وعلى نفسيته وعلى ذنوبه التى يرتكبها فيقرر الأستاذ علاجه حتى يكون سليما معافى ويلتحق بالمدرسة الصوفية ويعطى له القدر الذى يمكن استعابه من العلم والمعرفة ويلتزم المريد بعد قبوله فى المدرسة (٢). بشروطها وهى :

١ — أن يتحلى بالوقار فى مجالس أهل العلم .

٢ — أن يخدم ويعظم علماء الصوفية ومعلميها .

٣ — أن يكون بارا بوالديه واصلا لرحمه مكرما لضيفه وجاره وأن يفعل الخير ويبتعد عن الشر .

٢ — النقيب :

بعد الانتهاء من هذه المرحلة الأولية فى المدرسة الصوفية يرقى المريد الى درجة عليا فى الناحية العلمية وهى درجة النقيب اوالسالك وهذه الترقية معناها الأستمرار فى الدراسة بالمدرسة وتعرض عليه علوم نظرية

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢) الصوفية وأثرهم فى الدعوة الى الله (مرجع سابق) ص ٧١ .

وعملية كعلوم الطهارة والتزكية وبعض الفرائض العملية حسب قدراته واستعداداته وميوله ومرتبته العلمية التى يصل اليها (١) وله شروط لا يحيد عنها والا فصل من المدرسة واستبعد عنها وهذه لشروط هى

١ — احترام علماء الصوفية ومعلميه وزملاءه كبيرا وصغيرا .

٢ — لا يعتبر نفسه اكثر علما من غيره وانما يتهم نفسه بالتقصير فى العلم والبر والطاعة بمعنى لا يأخذه الغرور بنفسه وأن يقوم بالأعمال التى يكلف بها (٢) .

٣ — النجيب او الواصل :

ويرقى النقيب اذا قرر استاذه انه قد وصل الى درجة التى يبغونها فيه من الناحية العلمية النظرية والسلوكية الى درجة أعلى وهى درجة النجيب أو الواصل وقد وضع علماء التربية المتصوفة منهجا دراسيا خاصا من الناحية العلمية والسلوكية تختلف تمام الاختلاف عما قد وضع للمريد والنقيب وأن تعرض على النجيب عدة سلوكيات يلتزم بها التزاما كاملا ويحاسب عليها من جانب استاذه (٣) وهذه السلوكيات هى :

١ — ان يحيط باسرار المجالس ويبتعد تماما عن التجسس على الآخرين .

٢ — أن يحدد لنفسه عملا خاصا فى كل مجلس .

٣ — أن يعامل الآخرين حسب مراتبهم العلمية الروحية .

٤ — ان يتجنب الجدل والمناقشة والخصام مع عامة الناس ومع الآخرين فى المدرسة الصوفية .

٥ — الا يتعرض لأصحاب المذاهب المختلفة وان يحافظ على وحدة المجالس العلمية ولا يثير الفتن والخصام والجدال فيها (٤) .

---

(١) دكتور محمد جلال شرف : التصوف فى مدرسة بغددا : طبعة مصر ١٩٧٥ ص ٤٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٠ — ٥١ — ٥٢ .

(٣) دكتور محمد جلال شرف (مرجع سابق) ص ٦٩ — ٧٠ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٧١ .

القاب المعلمين فى التربية الصوفية :

(١) الأستاذ :

هو امام المدرسة الصوفية وعمودها وهو الذى يرعى طلابه ويربيهم التربية الصوفية فى المدرسة كما انه يوضح المنهج الدراسى لهم ويحدد حلقات الدرس ومواعيدها (١) وتتوفر فيه عدة شروط هى :

١ — أن يلتزم بالكتاب والسنة كمنهج دراسى وتأدية الفرائض التى يلتزم بها عامة وخاصة المسلمين .

٢ — أن يعرف نفسيات طلابه وما فيها من أمراض وكيفية العلاج لهذه الأمراض حتى يمكنه أن يربى طلابه على منهجه الدراسى .

٣ — يلتزم الاستاذ فى اقواله وافعاله بأسس المحبة لله الخالق سبحانه وتعالى وأن يتوكل عليه ويخاف منه رهبة وأن يتهم نفسه بالتقصير دائما حتى يتصل الى درجة علمية اكبر .

٤ — أن يكون مجددا ومحدثا لعلوم لم تعرف فى عصره ولا يكون مقلدا لغيره من علماء الصوفية (١) .

(٢) — القطب الروحى :

وهو أعلى الدرجات العلمية فى المدرسة الصوفية ومحل نظر الحق تعالى ويمتاز بدرجة عليا فى الناحية الروحية لا يصل اليها الأستاذ الا بجهد كبير (٢) .

بهذا نكون قد استعرضنا كلا من التربية العامة والخاصة فى العصر العباسى لنرد على اولئك الذين ينفون بأن هناك تربية اسلامية .

---

(١) دكتور محمد جلال شرف (مرجع سابق) ص ٧٢ .
(٢) الصوفية وآثارهم فى الدعوة الى الله ص ٧٤ — ٧٥ .

الفصـــل الثالث

المعلمـــون

المعلم هو حجر الزاوية فى العملية التربوية ولهذا فان المسلمين قد قدروا المعلمين على اختلاف درجاتهم كما أن هناك من اشتهر منهم وكانت له المكانة العلمية والاجتماعية الكبيرة وينقسم المعلمون الى : —

١ — معلمون الكتاتيب :

فى بداية الدعوة الاسلامية كان الوالدان هما المعلمان اللذان يقومان بتربية الطفل تربية نظرية وسلوكية مع تحفيظ أولادهم الآيات القرآنية وأمور الدين (١) وحين تم النصر للمسلمين فى فتوحاتهم الكبرى واتسعت رقعه الدولة الاسلامية واحتاج المسلمون الى متطوعين فى الجيش الاسلامى فانشغل رب الأسرة عنها بالجهاد فى سبيل الله أو الهجرة طلبا للــرزق وانشغلت الام فى حياتها المنزلية اليومية (٢) ، فكر المسلمين فى امــور اطفالهم وتعليمهم . فظهرت لأول مرة مهنة التعليم يقوم بها من له قدرات تؤهله لهذه المهنة (٣) .. ولهذا ارسلوا أولادهم اليه فى مكان ما بالمسجد ثم اختاروا له مكانا آخر سمى بالكتاب ولذلك أطلق على معلمه باســم معلم الكتاب وهو يجيد حفظ القرآن الكريم وبعض المعلومات النحوية وثقافته العلمية بسيطة قليلة وقد يكون من خريجى المدرسة الاولية ولم يمنح اجازة تؤهله للتدريس ولكنه اتخذ من هذه المهنة وسيلة للرزق ولهذا نظر المجتمع الاسلامى اليه نظرة اقل من غيره وربما هى عدم التقدير استخفافا به لأن حالته المالية سيئة للغاية لقلة الأجر الذى يناله (٤) كما أن العرب فى تلك الفترة كانوا يحتقرون المهن والحرف التى لا تظهر فيها أعمال الفروسية

---

(١) على الجمبلاطى وأبو الفتوح التوانسى : دراسات مقارنة فى التربية الاسلامية « مكتبة الأنجلو المصرية » — ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع ص ١٤ .

(٣) حسن عبد العال (مرجع سابق) ص ١٦٢ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١٦٣ .

والبطولة والرجولة ورغم ذلك كله فان بعض المسامين فى الكتاب قد نبغوا وذاع صيتهم بل ومنهم من وصل الى درجة كبيرة فى السياسة ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفى الذى اعتمد عليه الامويون فى ارساء حكمهم (١) .

٢ — المؤدبون

هى الفئة الثانية من المعلمين وتمتاز عن الفئة السابقة بالذكاء والعلم وهو معلمون خصوصيون ومهمة المؤدب هى تحفيظ القرآن الكريم مع تدريس الأدب والنحو واللغة وله مكانة أجتماعية كبيرة لشهرته ونبوغه وقربه من الطبقة الأرستقراطية حيث طبيعة عمله عندهم لتعليم أولادهم فى المنازل وقربه أيضا من الأسرة الحاكمة وقد أشتهر منهم عدد كبير منهم المفضل الضبى مؤدبا للخليفة العباسى المهدى . وايضا الكسائى فقد كان مؤدبا للخليفة الامين والفراء مؤدبا لابنه المأمون وابن السكيت مؤدبا لابناء الخليفة المتوكل (٢) .

ولقد حظى اولئك المؤدبون برغد من العيش وسعة من الرزق يحسدهم عليها معاموا الكتاتيب (٣) .

٣ — المعلمون العلماء :

لعب علماء المسلمين دورا كبيرا فى التربية الاسلامية فاعطوا جهودهم لتربية الفرد المسلم وساهموا فى التدريس بوازع من ضمائرهم وليس طلبا للمال وانما حبا لله وللعلم ولهذا تمتعوا بالتقدير والأحترام بين المسلمين مكانة ومن أشهر هؤلاء المعلمين : —

(١) القابسى :

هو ابو الحسن بن على بن محمد بن خلف القابسى ولد فى ٦ رجب ٢٢٤ هـ فىمدينة القيروان فى شمال أفريقيا وقد سافر منها الى الحج ثم عاد اليها مرة أخرى .

---

(١) على الجمبلاطى وابو الفتوح التوانى (مرجع سابق ص ١٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .

(٣) حسن عبد العال (مرجع سابق) ص ١٦٤ .

لقد كان القابسى من علماء الحديث باسانيده وكان مذهبه مالكى وهو المذهب السائد فى شمال أفريقيا ولهذا يعتبر القابس محدثا مالكيا وقد تأثر بالبيئة التى كان يعيش فيها (١) .

ومنهجه الدارس ينقسم الى قسمين أولهما المنهج الأجبارى ويشتمل على القرآن الكريم والقراءة والكتابة والنحو والثانى منهج أختيارى وهو الحساب والشعر وأيام العرب .

الطريقة التى يقوم بها المعلم للتدريس ويحبذها القابسى أن يحفظ الطفل جزءا من القرآن ومن النحو ثم يسترجعه مرة أخرى أمام فقيه حتى يتعود القراءة الصحيحة ويتعلم اخراج الحروف أخراجا سليما (٢) ثم يتعلم الكتابة وحين يتقن حفظه للقرآن الكريم يأخذ ولو بقليل من الشعر العربى ثم بعض تاريخ العرب . ويقصد من وضعه لهذا المنهج أن ينشأ أبناء المسلمين نشأة صحيحة وعلى الطفل اذا أنتهى من تعليمه هذا أن يتجه الى تعلم صنعة أو حرفة من الحرف ليكسب منها عيشه وبهذا يكون قد جمع بين غرضين من اغرض التربية وهو الغرض الدينى والدينوى (٣) .

والحقيقة التى يريدها القابسى من تعليم الأطفال حفظ القرآن ليؤدى به الصلاة والاقتداء بالسابقين ومعرفة افعالهم هى حب الفضائل الأخلاقية الحميدة وتعلمه أيضا حرفة من الحرف يقصد من ذلك أن يخشى الله فى عمله ويؤديه بأمانة وبهذا يكون قد وفق فى حياته (٤) .

وقد نادى القابسى بأن تكون الدولة ملزمة بأبناء المسلمين حيث يستند الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما طلب من الاغنياء ان يفعلوا الخير فى مساعدة ابناء

---

(١) احمد فؤاد الأهوانى — التربية الاسلامية (دراسات فى التربية) طبعة ثانية — دار المعارف — مصر ١٩٧٥ — ٦٢ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٣ .
(٣) فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ص ٦٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٦٥ .

الفقراء حتى يتعلموا مثل أولادهم (١) .

وكان القابسى يرى أن لا تفريق بين ابناء المسلمين فى دخـولهم الكتاب كما انه يرى ايضا ان التعليم يتم فى مكان واحد لابناء المسلمين ويرمى الى هذا بما يسمى بالتربية الجماعية التى تربط الطفل بالجماعة وتغرس فيه الثقة بالنفس وطالب أن يتفرغ المعلم لأداء رسالته وايضا أن تتفق الجماعات الخيرية الاوقاف على التعليم كما انه طالب بمجانية التعليم لابناء المسلمين كافة بغض النظر الى الفروق الاجتماعية فيما بينهم (٢) .

ولم ينس الفتاة فقد ساوى بينهما وبين الفتى حتى تنال قسطا من التعلم كما انه شدد فى الفصل بينهما حرصا على الاخلاق (٣) .

وقد وجه بعض علماء التربية الى منهج القابس نقدا يمكن أن نوجزه فيما يلى : —

١ — أن القابسى قد أغفل الناحية النفسية وميول الأطفال فى مراحل نموهم (٤) .

٢ — كما أنه أغفل التربية البدنية التى تساعد على النمو الجسمى للأطفال وهذا يرجع الى طبيعة المؤسسة التربوية فانها غرفة واحدة لا تساعد على تحرك الطفل الا جلوسا لقراءة القرآن وحفظه (٥) .

وقد وضع القابسى مواعيد للدراسة بحيث أن الطفل يدرس فى الفترة الصباحية حتى الظهيرة القرآن الكريم تحفيظا واستظهارا كمـا يتعلم الكتابة ثم يتناول وجبه الغذاء ويعود الى الكتاب بعد صلاة الظهر ليدرس

---

(١) المرجع السابق ص ٦٦ .

(٢) محمد اسعد طلسى : التربية والتعليم فى الاسلام — دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٥ ص ٨٨ .

(٣) نفس المرجع — ص ٨٩ — ٩٠ .

(٤) القابسى : المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين — نشرها احمد فؤاد الأهوانى (التربية فى الاسلام) ص٨٢ .

(٥) محمد أسعد طلس (المرجع السابق) ص ٨١ .

علوم النحو والشعر وأيام العرب والحساب حتى آخر النهار (١) .

كما أنه لم يتعرض بسوء لمعلم الكتاب لانه فى نظره عنصر هام فى العملية التربوية وله دور خطير فى بناء المجتمع الاسلامى وأن شخصيته ومكانته تنال الاحترام بما يحفظه المعلم من آيات القرآن فهما واعرابا وكتابه (٢) .

٢ — الغــزالى :

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ولد بطوس بفارس ٤٥٠ هـ وقد وضع أبو حامد الغزالى أسس علمية لمنهجه قبل أن تنتشر الطريقة العلمية فى العالم فى ذلك الوقت متخذا مركز الصدارة بقوله ، « ولم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل العشرين الى الآن وأنا أناف السن على الخمسين وأقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمراته خوض الجسور ، ولا خوض الجبان الحذور وأتوغل فى كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة واتفحص عن عقيدة كل فرقه واستكشف أسرار مذهب كل طائفة لا مغير بل محــق ومبطل ومبتدع لا اعارض باطنيا الا واحب أن أطلع على باطنيه ولا ظاهريا الا وأريد أعلم حاصل طهارته ولا فلسفيا الا قد واقصد الوقوف على كنه فلسفته (٣) » .

وقد كان عصر الغزالى عصر تصارع وتطاحن بين الفرق ، فقد فتك جماعة الأسماعيلية ببعض الخلفاء وحتى عامة الشعب لم تسلم من بطشهم وكانوا عاملا على تثبيت أقدام الصليبيين فى الشرق وهناك أيضا الصراع المذهبى ببغداد ومثيرها الحنابلة والشافعية والأشعرية وفرق الشيعة (٤) .

وسط الخضم المذهبى العقائدى ظهر ابو حامد الغزالى ليفجر نظرية المعرفة وطريقته فى ذلك تغيير آراء المذاهب المتصارعة ويصــل بها الى

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٣ .

(٣) ابو حامد الغزالى : المنقذ من الأنحلال — طبعة دار الشعب ١٩٧٤ ص ١٦٩ .

(٤) محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين — الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٦ — ص ٧٢ .

عقيدة موحدة للأمة الاسلامية وقد ميز أبو حامد الغزالى فى نظريته بين العلوم العقلية والعلوم الشرعية ويؤكد أنهما مرتبطان ببعض (١) ثم وضح أن أساس المعرفة فى الانسان هو القلب وتوصل الى هذا عن طريق تحليله لآراء الفلاسفة والصوفية حيث قال « القلب لا يشاهد الحقيقة الا بعد الجد والأجتهاد من أجل صفائه وصلاحه من كل شائبه تقف حاجزا بينه وبين رؤية الحق (٢) » .

ويعتبر الامام الغزالى أول من اتخذ الطريقة العامية فهو يتحدث عن الملاحظة ثم يعقبها بالتجريب حتى يصل الى صحة اثبات الغرض وبهذا احدث تغيرا فى الفكر الاسلامى وسار بالمجتمع الى حالة التكامل الفكرى وأظهر افلاس الفلسفة (٣) .

وقد قسم منهجه الدراسى الى عدة أقسام : —

القسم الأول : ويشتمل على القرآن الكـــريم وعلوم الديـــن كالفقه والتفســـير .

القسم الثانى : علوم اللغة العربية والنحو ومخارج الحروف والألفاظ.

والقسم : علوم فرض كفاية وهى علم الطب والصناعات المختلفة .

والقسم الرابع : وهى العلوم الثقافية التى تشمل الشعر العربى والتاريخ وبعض العلوم الفلسفية مثل الرياضيات والمنطق والعلوم الطبيعية التى لا تدخل فيما وراء الطبيعية وعلم السياسات والخلقيات (٤) .

ويرى الغزالى أن هدف التربية هو الفضيلة والتقرب بها الله عز وجل قال « مهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فليصنه من نار الأخرة أولى

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) أبهى الدين زيان : الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرة الاسلامية — الكتاب العاشر من سلسلة (مادة الفكر فى الشرق والغرب) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٥٨ — ص ٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٤ .

وصيانته ان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق (١) .

ويرى أيضا أن التعليم اشرف مهنة يستطيع الانســـان أن يحترفها ويستند الى قول الرسول عليه الصلاة والسلام « على خلفائى رحمه الله فقيل من خلفاؤك فقال الذين يحبون سنتى ويعلمونها عباد الله » .

وتنحصر اراؤة التربوية فى تربية الطفل تربية عقلية وخلقية وجسمية واهم تلك الآراء هى : —

١ — أن الوالدين يعنيان بتربية الطفل منذ ولادته فـــلا يستعمل لحضانته الا امراة صالحة (٢) .

٢ — اوصى باعطاء الطفل فرصة يلعب فيها حتى يستريح من ارهاق ذهنه بالعلوم ولا يؤدى الى اهمال العلم .

٣ — اوصى بالاخلاق الحميدة والبعد عن الرزائل والبعد عن اقران السوء وبمكافأة الطفل على كل خلق حسن (٣) .

وبهذا وضع اسس التربية الحديثة وقد راعى فيها الفروق الفردية ونادى بفكرة التعليم الأجبارى حيث استدل الى قول رسول الله عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ووضع الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين بأن مهنة التعليم أشرف المهن واستند فى قوله على آيات قرآنية واحاديث الرسول عليه الصـــلاة والسلام ويشبه اقتناء العلم باقتناء المال او جمعه فيجب ان يجمعه لمساعدة الاخرين ولا يكنزه فلا ينتفع ولا غيره (٤) .

وقد وضـــع الغزالى التربية الفنية والخلقية فى المرتبة الاولى على

---

(١) محمد جواد : (مصدر الفرقة عند الامام الغزالى) الكويـــت

(٢) نفس المرجع السابق ص ٧٣ . ن

(٣) فتحة سليمان : التربية عند الغزالى : دار الفكر العربى ص ٨٨ — ٨٩ .

(٤) نفس المرجع ص ٩٠ .

كل العلوم الأخرى ويقصد بهذا أن يدخل الأمن والطمأنينة فى قلوب المسلمين بعد هبوط الصليبيين على الارض العربية (١) .

وقد وضع الغزالى حدودا للمعلم لا يتعداها حتى يخرج بهذه القواعد جيلا قويا فى الاخلاق وتتلخص فيما يلى :

١ — ان يتصف المعلم بالعطف على تلاميذه فيعالج مساوئهم ولا يكلفهم ما يشق عليهم وانه يوجههم الى مصلحتهم والعلوم النافعة لهم (٢) .

٢ — لا يطالب المعلم بأجر وأن يعشق مهنته ويبذل طاقته فى توصيل مادته العلمية الى تلايمذه ويكون ذلك ابتغاء وجه الله ومرضاته (٣) .

٣ — ان يعرف المعلم نفسية طلابه ويقوم غرورهم ويخلق فيهم رجالا يحبون العلم ولا يتعالون على اندادهم .

٤ — أن يكون قدوة حسنة فى السلوك والقول فلا يكذب قولا وعملا (٤) .

٥ — أن يعرف أستعدادات تلاميذه ونموهم العقلى والجسمى .

٦ — لا يتخذ وسيلة العقاب فى تهذيب تلاميذه ويأخذهم باللين واذا لم يجد منه نتيجة فيستخدم الخشونة .

بهذا كله اعتبر الغزالى حجة الاسلام فى الفقه والتربية معا (٥) .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩١ .
(٢) دكتور : هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية — عمان — ١٩٦٧ ص ١١٦ .
(٣) نفس المرجع ص ١٦٦ .
(٤) نفس المرجع ص ١٦٧ .
(٥) المرجع السابق ص ١٦٨ .

٣ — ابن سينا :

هو الرئيس ابو على الحسين بن على بن سينا الحكيم وهو فيلسوف ومربى وطبيب وعالم نفسانى . ويمتاز عصره عن بقية العصور السابقة بانه عصر الفتن والقلائل والاضطرابات المذهبية .

وآراؤه تدل على حرية شديدة فى الفكر ممزوجة بالعلم اليونانى والدين .

وجه عناية خاصة الى النفس البشرية حيث قال : « ان الانسان مكون من جسد ونفس » وأيضا قد وجه عناية خاصة الى الاطفال ونبه الى التربية الخلقية منذ فطام الطفل حتى تتكون له عادات وتقاليد حسنة ويأتى ذلك عن طريق التلقين والتعود (١) .

وحذر من استعمال القسوة والشدة على الطفل حتى لا تكون نتائجها خطيرة فى حياته بل انه اصر اصرارا على المعاملة اللطيفة الرقيقة اللينة واتخاذ اسلوب التشجيع والمدح حتى يصل بالطفل الى مايريد (٢) . وقد قال فى ذلك « اذا فطم الطفل عن الرضاع بدىء بتأديبه ورعاية اخلاقه قبل ان تهيمن عليه الاخلاق اللئيمة » (٣) .

وقد حث على تعليم الاطفال القرآن الكريم بعد بلوغه درجة من النضج العقلى والجسمى كما حدث ايضا ان يتخذ المعلم من المحاورة والمناقشة بين الاطفال طريقة لتعليمهم اللغة السليمة (٤) .

ويهتم بتعليم الشعر لانه يرقى عواطفهم ولقد طلب الى المعلم فى مهمة اختياره الشعر بان يختار الموجز لانه اسهل وأيسر والذى يغرس فى الطفل

---

(١) ابن سيناء : القانون : القاهرة — مطبعة بولاق ١٢٩٤ هـ — ص ١٩٢ .

(٢) عباس محمود العقاد : الشيخ الرئيس ابن سينا — دار الهلال ص ١٥ .

(٣) على الجمبلاطى وابو الفتوح التوانى (مرجع سابق) ص ٨٦ .

(٤) نفس المرجع ص ٩٧ .

الفضائل الخلقية وحث على اجتماع الاطفال بابنـــاء عليه المسلمين الذين اشتهروا بالاخلاق الحسنة والعادات الطيبة حتى يقلدوهم فى ذلك كما انه حث على مسايرة ميول الاطفال ومراعاة قدراتهم العقلية وتوجيههم حسب تلك الميول والقدرات وهذا رأى جديد لم يسبقه احد من قبل (١) ، ورغم انه لم يوضح كيف يمكننا التعرف على تلك الميول والقدرات العقلية وانما ترك تلك المهمة على عاتق المربى (٢) .

٤ — ابن خلدون :

هو العلامة العربا عبد الرحمن محمد بن خلدون ولد بمدينة تونس عام ٧٣٢هـ وتنقل حين شب بين المغرب والاندلس وعمل فى خدمة امير غرناطة مدة عام ثم انتقل بعد ذلك من الاندلس الى مصر (٣) .

اشتغل افراد أسرته جميعا بالعلم والسياسة ولقد تلقى ثقافته على يد والده فحفظ القرآن الكريم ونبغ فى اصول اللغة العربية والادب والنحو وأجاد الفقه على مذهب مالك ثم قرا الحديث وتعمق فى الدراسات الفلسفية والمنطق ودرس علم الكلام على مذهب الاشاعرة وأستفاد من علماء تونس استفادة كبيرة (٤) .

ولقد كتب ابن خلدون فى عدة موضوعات هامة وربط فيها بينها ربطا وثيقا وكان هذا فى المقدمة التى خلدت اسمه فكتب فى التاريخ والاجتمـــاع والجغرافيا والاقتصاد وعلم النفس والمنطق والفقه والرياضـــة (٥) ولم يصل الينا الا كتابه وديوان المبتدأ والخبر ......» .

ورأيه فى التربية انها عبارة عن مجموع عمليات تمزج التعليم والتعلم التى يمارسها الفرد المتعلم وفى رايه أن الاتصال الشخصى يلعب دورا هاما وكبيرا

---

(١) محمد غلاب مرجع سابق ص ٧٥ .
(٢) نفس المرجع ص ٧٦ .
(٣) دكتور محمد عبد المنعم نور : المجتمع الانسانى — مكتبة القاهرة الحديثة (بدون تاريخ) ص ١٢٨ .
(٤) محمد عطية الابراشى (مرجع سابق) ص ٩٢ .

فى نجاح عمليات التعليم (١) . وقد حث ابن خلدون على طلب العلم ولقاء العلماء .

ومن آرائه فى المعلم ان يتزود بامكانيات التعليم (طرق التدريس) التى يقوم بها فى تدريسه للناشئين (٢) .

وينقد طريقة الحفظ لانها معوقة لملكة الفهم لدى المتعلم ويدعو الى طريقة المناقشة لما فيها من عمليات علمية لخلق الثقة بالنفس وقوة الشخصية والقدرة على الاقناع (٣) .

كما انه وفق فى الوصول الى ضرورة دراسة النمو العقلى للناشئين وان يسير المعلم من السهل الى الصعب ومن المعلوم الى المجهول ويترقى فى المضى بالتكرار والانتقال من التقريب الى الاستيعاب (٤) .

وقد حذر من استخدام القسوة مع الاطفال الناشئين لانه يولد فيهم الجنوح والكراهية للعلم وقال فى ذلك « من كان مرباه العنف والقسوة والقهر سلطا به القهر ضيق على النفس فى انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الايدى بالقهر عليه » (٥) .

وحث ابن خلدون على ان يكون لدى المعلم امكانيات على استخدام الوسائل المعينة لتبسيط الدروس لتلائم النواحى النفسية وميول وقدرات الاطفال وقد حبذ الرحلات واعتبرها من أنجح الوسائل لتحصيل الخبرة المباشرة كما حث على الاتصال بمجالس العلم وعدم الانقطاع عنها الا للراحة

---

(١) على الجمبلاطى وابو الفتوح التوانى ص ١٠٢ .
(٢) محمد عبد العظيم نور (مرجع سابق) ص ١٠٩ .
(٣) نفس المرجع ص ١٠٩ .
(٤) نفس المرجع ص ١١٠ .
(٥) الدكتور احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية — دار الكشاف — بيروت ، (بدون تاريخ) ص ٥٢ .

كما حث على عدم الاستماع الى علمين فى وقت واحد وحذر من اتخاذ التخصصات فى التعليم .

وبهذا كله يكون ابن خلدون اول من استخدم الوسائل العلمية ومراعاة ميول الاطفال وقدراتهم عند التعليم (١) .

مصادر تمويل التعليم وادارته

لقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الاوائل على بذل اموالهم فى سبيل الله سواء كان ذلك فى الحرب او السلم بل اكثر من ذلك انه اعطى المثل الاعلى للمسلمين بأنه جعل سهما من غنائم الغزوات لاولئك الذين نذروا انفسهم لتعليم المسلمين او اطفالهم (٢) .

وقدوة بالرسول الكريم صار تمويل التعليم من تبرعات ومساعدات المسلمين الاغنياء .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية بعد الفتوحات الاسلامية صار للمعلمين والمؤدبين نصيب من مال المسلمين فى بيت المال (٣) .

وتتمثل مساعدات المسلمين فى المساهمة فى انشاء المؤسسات التربوية ودور الكتب واعطاء الارزاق للطلاب والمعلمين .

ولم تكن مساهمة الاغنياء وحدهم ولا الدولة فقط وانما هناك مساهمة المعلمين العلماء بالتدريس مجانا وليس هذا فقط بل مساهمتهم باعطاء الطلاب الكتب العلمية اللازمة لدراستهم (٤) .

ولهذا لم يكن للتعليم مصدر واحد لتمويله بل تعددت المصادر فمنها

---

(١) على الجمبلاطى وابو الفتوح التوانى (مرجع سابق) ص ٥٠٤ — ٥٠١ .
(٢) حسن عبد العال (مرجع سابق) ص ١٦٧ .
(٣) المرجع السابق ص ١٦٨ .
(٤) على الجمبلاطى (المرجع السابق) ص ١٦٩ .

ما كان بالمجهود الشخصى وبالتبرعات ومساهمة الدولة بل اكثر من ذلك كان له نصيب من زكاة المسلمين والصدقة للفقراء الذين يرغبون فى التعليم ولم يكن لهم مورد رزق .. هذا من ناحية تمويل التعليم اما أدارته فلم يعرف العصر العباسى نظاما بالمعنى المعروف يجعل الدولة لها الحق فى الاشراف على التعليم وادارته وانما اعتبر التعليم مسئولية فردية ولهذا اوكل الاشراف والادارة الى ضمائر المسلمين كافة بالزامهم بتعليم الناشئين من ابنائهم(١).

وفى بعض الاحيان كانت الدولة تتدخل فى الاشراف عليه فى وقت الحاجة الى تلك وبهذا مثلت التربية الاسلامية النظـام اللا مركزى فى العصـر العباسى (٢) .

---

(١) حسن عبد العال (مرجع سابق) ص ١٦٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٩ — ١٧٠ .

الفصـــل الــرابع

المؤسسات التربوية الاسلامية

أولا : الدور الاسلامية :

١ ـ دار الارقم بن ابى الارقم :

هى أول مؤسسة تربوية فى الاسلام حيث كان يجتمع فيها الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه بعيدا عن أنظار قريش ليتدارسوا تعاليم ومبادىء الدين الجديد والمربى والمعلم الأول فى هذه المدرسة هو سبحانه وتعالى حيث قال عز وجل « الحمد لله رب العالمين » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « أدبنى ربى فأحسن تأديبى» والمنهج الدراسى فى هذه المدرسة الآيات القرآنية التى تنزل على رسول الله والقيم والمبادىء الاسلامية التى يأمر الله بها . وظلت هذه المدرسة على ما هى عليه حتى هاجر الرسول والمسلمون الى المدينة (١) .

٢ ـ دور العلماء :

ساهمت هذه الدور فى نشر التعليم فى داخل الدولة الاسلامية وقدمت لطلابها المعرفة من جميع نواحيها على طرق المناقشات والمحاضرات فى كافة الموضوعات المختلفة وهذه الدور وجدت بكثرة فى العصر العباسى وكان علماء الصوفية وشيوخهم يتخذون من دورهم هذه مكانا لتعليم طلابهم. وقد أنتقل بعض الخلفاء العباسين الى هذه الدور للمشاركة فى حلقات الدرس واضفاء الصيغة الرسمية عليها (٢) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود ـ دراسة مقارنة لتاريخ التربية ـ طبعة أولى دار الفكر العربى ١٩٧٨ ـ ص ١١٢ .

(٢) أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية (مرجع سابق) ص ٦٥ .

٣ — دور الكتب والعلم :

ساهمت فى نشر الثقافة والتعليم وجذبت اليها الطلاب من مختلف انحاء الدولة الاسلامية للدراسة والبحث العلمى وقد عملت هذه الدور على النهوض بالحركة التعليمية ومن أهمها :

دار الكتب لعضد الدولة البويهى ودار ابن سوار وخزان الحكمة ببغداد ومكتبة الزهراء بقرطبة ودار العلم بالقاهرة ودار العلم لأبى القاسم جعفر بن حمدان الموصلى ودار العلم للشريف الرضى وجدت فيها العديد من الكتب القيمة النادرة التى ساعدت على ازدهار التعليم فى العصر العباسى (١) .

ثانيا — المساجد والجوامع :

١ — مسجد التقوى فى قباء :

اسس على التقوى حيث قال الله عز وجل « بمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق بأن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين » .

وقد شهد هذا المسجد بداية الدعوة الاسلامية وأقيمت فيه حلقات **لتعليم ابناء المسلمين القراءة والكتابة بعد الصلاة (٢) .**

٢ — المسجد النبوى :

اسس فى المدينة المنورة بعد الهجرة لتقام فيه الصلاة وتناقش فيه امور الدولة الاسلامية وقد خصص جزءا منه لتعليم ابناء المسلمين القراءة والكتابة . وقام بتوسيعه الخليفة عمر بن الخطاب . وعقدت فيه حلقات

---

(١) بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن) تراث بين ماضى وحاضر — القاهرة — دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) دكتور محمد جواد رضا (مرجع سابق) ص ١٦٤ .

لتدريس الفقه واللغة والنحو وعلى نمطه انتشرت المساجد فى الاقاليم الاسلامية (١).

٣ — مسجد المدائن :

شيده سعد بن أبى وقاص فى العراق ونوقشت فيه الحياة العامة للمسلمين من كل جوانبها السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية .. واقيمت فيه حلقات الدروس المختلفة فى أصول الفقه والأدب والفلسفة وقد ذاع صيته فى العالم الاسلامى .

٤ — المسجد الأموى فى دمشق :

شيده الوليد بن عبد الملك فى دمشق وذاع صيته فأمه الطلاب من جميع الاقطار العربية لدراسة اصول الدين وبلاغة اللغة وتفسير القرآن الكريم . وكان الطلاب يلتفون حول سارية يجلس تحتها استاذهم (١) .

٥ — مسجدا لغوريين فى فاس :

أنشىء فى منتصف القرن الثالث الهجرى ليكون مركزا للثقافة الاسلامية ويعد من أهم الجامعات الاسلامية التى درست العلوم المختلفة كما كان له تقاليد مختلفة مثل منح الأجازات العلمية الفخرية ومنح كراسى الاستاذية التى نقلت الى جامعات اوربا فى العصر الحديث واقيم بجواره مساكن للأساتذة والطلاب ومكتبات تموج بذخائر الكتب وابحاث علمية قيمة ومخطوطات عربية عظيمة وقسم التعليم هذا المسجد الى عدة مراحل تناسب اعتماد الطلاب (٣) . وقد نقل هذا النظام بجميع تنظيماته الى جامعات اوربا فى عصر النهضة وعملت به الولايات المتحدة حاليا

---

(١) محمد السعيد الطفطاوى : رسالة المسجد كتاب رقم (١٠٣) من سلسلة (كتاب الاسلام) يصدرها المجلس الأعلى الاسلامى السنة الثالثة عشرة مارس ١٩٧٢ ص ٥١٦ .

(٢) محمد عبد الرحيم غنيمه : الجامعات الاسلامية اكلبرى : دار الطباعة المصرية ١٩٥٣ ص ٤٢ .

(٣) نفس المرجع ص ٤٣ .

٦ — جامع عمرو بن العاص بالقاهرة :

أقيم بعد الفتح الاسلامى لمصر وحضر بناءه عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم الزبير بن العوام وابـو ذر الغفارى (١) وامه الطلاب من جميع الدولة الاسلامية لحضور حلقات الدرس فيه والتى تشمل علوم الفقه والحديث وتفسير القرآن والأدب . واتخذه الامام الشافعى مقرا لمدرسته وبلغ عدد الطلاب فى العصر العباسى ما يقرب من ٣٢٠٠ — طالبا يتلقون العلم والمعرفة (٢) .

٧ — جامع ابن طولون بمصر :

انشىء فى عهد الدولة الطولونية وفيه عقدت الحلقات الدراسية فى الفقه على المذاهب الاربعة وعلم اللغة العربية والحديث والتفسير والقراءة للقران الكريم والطب (٣) .

٨ — جامع الازهر بمصر :

أول عمل فنى معمارى أقامه الفاطميون فى مصر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية فى عاصمتها الجديدة ومنبرا لدعوتها الدينية ورمزا للسيادة الفاطمية الروحية وقد تم فتحه للصلاة فى يوليه ٩٧٢ ميلادية (٤) .

وعين به جماعة من الفقهاء حيث يعقدون مجالسهم كل يوم جمعه عقب صلاة العصر وعددهم ٣٧ فقيها ورئيسهم ورتب لهم الخليفة العزيز بالله جرايات وارازاق شهرته وانشأ لهم دار للسكنى بجوار الجامع واكتسب الأزهر صفاته العلمية كمعهد دراسى منذ أوائل العصر الفاطمـى حتى ظهرت دار الحكمة التى انشأها الخيلفة الحاكم بأمر الله (٥) .

---

(١) ابو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى — مكتبة وهبه طبعة ثالثة ١٩٦٤ ص ٢٤٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٤٣ .

(٣) حسن عبد العال (مرجع سابق) ص ١٨٩ .

(٤) سعاد باهر : الأزهر دائرة الثقافة المجلس الأعلى للشـئون الاسلامية بوزارة الأوقاف ١٩٥٨ — ص ٢٨ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٠ .

ساهم الأزهر فى تخريج عدد من البارزين لعبوا دورا هاما فى الحياة الدينية والسياسية على مدار العصور المختلفة ، وتولى الزعامة الفكرية والثقافية فى العهد المملوكى حيث حفظ التراث الاسلامى من التدهور (١).

ونظام الدراسة فيه على هيئة حلقات دراسية حيث يجلس الأستاذ وحوله طلابه ومستميعه وتدور المناقشات العلمية (٢) . فى جو من البساطة وعدم الكلفة .

وموارده تعتمد على الاحباس العامة والخاصة وزادت هذه الموارد فى عهد المماليك حين كثرت الأعطيات والصدقات المالية التى تمنحها الدولة للأزهر بل اعطت لشيخه حق الأشراف على الأوقاف التى يوقفها أهل الخير (٣) .

والمناهج الدراسية فيه تنقسم الى قسمين علوم الدين وتشمل علوم القرآن الكريم والحديث وتفسيره وعلم الكلام وأصول الفقه . وعلم اللغة وتشمل النحو والبلاغة والآدب وعلم التاريخ والعلوم العقلية والمذاهب الأربعة واقيمت به مكتبة حوت العديد من الكتب القيمة والمخطوطات (٤) .

٩ — جامع المنصــور ببغداد :

أقدم الجوامع التى انشأت فى بغداد لتقام به الصلاة وليكون مركزا للتعليم وقد جذب الكثير من الطلاب من جميع أقاليم الدولة الاسلامية ودرس فيه العلوم المختلفة فى الفقه واللغة والنحو والبلاغة واخبار العرب (٥) . وتعددت المســاجد والجــوامع فى انحــاء الدولة الاســلامية واقاليمها

ثالثا : الكتاتيب الاسلامية :

يعتقــد بعض المؤرخون ان الكتاتيب قد ظهرت فى بــداية الدولة

---

(١) المرجع السابق ص ٣١ — ٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٦ .
(٥) آدم متز (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣٥٦ .

الاسلامية حين اسر بعض الكفار من قريش فى غزوة بدر . فنهم من اعتقه الرسول عليه الصلاة والسلام ومنهم من قدم فداء لنفسه ومنهم من لم يشمله الامر بل كلفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالقيام بتعليم ابناء المسلمين .. فاذا اتم ذلك اعتقه الرسول ويعتبر ذلك بداية حركة الكتاتيب فى العصر الاسلامى (١) .

ويحتوى الكتاب على عدد كبير من أطفال المسلمين حيث يتعلمون فيه القراءة والكتابة وبعض المسائل الحسابية ثم يعودون الى منازلهم فى الظهر ليتناولوا الغذاء على أن يعودوا الــى الكتاب لدراســة النحو والشعر وايــام العرب والدراســة الرئيسية هى تحفيظ الاطفال القرآن الكريم (٢) .

والهدف الاســاسى من الكتاب الاســلامى تكوين شخصية الطفل المسلم وتنمية مواهبه واعداده ,واطنا مسلما يعرف الله وقد انتشرت هذه الكتاتيب فى كل الأقاليم الاسلامية .

وقد ساهمت الدولة بانشاء العديد منها بل ساهم ايضــا الاغنياء والأمراء والمسلمين فى انشائها (٣) .

رابعا : المدارس الاسلامية :

نشأت فى القرن العاشر الميلادى ويرجع سبب انشائها الى ازدحام المساجد بالمصليين وحلقات الدروس من طلاب واساتذة والى تطور العلوم واحتياج الاساتذة الى قاعات معدة اعدادا خاصا حتى يمكنهم من القاء محاضراتهم فى هدوء وتئــذ (٤) .

وتتكون ابنية المدرسة من عدة قاعات للمحاضرات ثم مبانى لايواء

---

(١) فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ص ٦٦ .
(٢) نفس المرجع ص ٦٦ — ٦٧ .
(٣) محمد عبد الرحيم غنيمة (مرجع سابق) ص ٨٩ .
(٤) الدكتور محمد جواد رضا : العرب والتربية (الحضــاقر — دراسة فى الفكر التربوى — مكتبة المنهل ص ١٩٧ — ص ٢٢٨ .

المدرسين و الطلاب وحجرات للطعام (١) .

وطريقة التدريس فيها على نمط الطرق التى كانت فى الأزهر وقتئذ (٢) .

واصبحت هذه المدارس تحت اشراف الدولة فوضعت لها القوانين واللوائح التى تنظم وجودها وتعيين المدرسين بها واختيار طلابها .

ولقد امدت هذه المدارس الدولة الاسلامية باحتياجاتها من موظفين (٣) .

واشهر هذه المدارس : النظامية التى بناها الوزير نظام الملك فى عهد السلطان آلب ارسلان فى بغداد سنة ١٠٦٥ ودرست فيها العلوم العقلية والروحية وساعدت على قيام نهضة علمية ونشر الثقافة الاسلامية (٤) .

والبيهقية التى أنشأت فى مدينة بنسابور والظاهرية بناها الظاهر بيبرس وتدرس فيها العلوم الفقهية على المذهب الشافعى والحنفى .

والسعيدية التى بناها الأمير سبكتكتين فى بنسابور .. والمنصورية وشيدها المنصور بن قلاوون .

والمدرسة الأموية الكبرى فى دمشق ودرس فيها الفقه والبلاغة والادب ومدرسة السلطان حسن فى مصر وقد اقيمت فى العصر المملوكى

خامسا : الزوايا :

ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة ومع مرور الوقت اتخذت شكلا جديدا على هيئة دور تقام الدراسات العلمية والدينية واتخذتها الصوفية مكانا لاقامة حلقات الذكر فهيا .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٩ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٣٠ .
(٣) حسن عبد العال (مرجع سابق ص ١٣٢ .
(٤) نفس لمرجع ص ١١٣ .

وانتشر هذا النوع فى العالم الاسلامى حيث درس فيها العلوم العقلية والروحية (١) .

سادسا : حوانيت الوارقيين :

اعدت لتكون مكتبات لبيع وشراء الكتب المختلفة فى القرن الرابع الهجرى وازدهرت هذه الحوانيت فى العصر العباسى حتى جذبت العلماء والمعلمين والطلاب من انحاء الدولة الاسلامية .. وبطبيعة الحال لابد أن تصبح تلك الحوانيت دار العلم وفيها تلقى المحاضرات والمناظرات فى مختلف العلوم العقلية والروحية بل الذى شجع على قيامها وانتشارها فى الدولة الاسلامية زيارة الخلفاء والامراء لشراء بعض الكتب منها (٢) .

سابعا المجالس الادبية :

ساهمت هذه المجالس بقدر كبير فى حركة التقدم العلمى فى العصر العباسى وقد بذل الخلفاء والأمراء والوزراء كل جهودهم على انتشارها فى مختلف الأقاليم الاسلامية بل وصل الأمر الى حد أن قصورهم أعدت لأستقبال الطلاب والعلماء من مختلف الجنسيات للمجادلة والمناقشات والمحاضرات العلمية ومن اشهر هذه المجالس مجلس الوزير بن العارض وابن الفرات وابن العميد والصاحب من عمار وكافور الاخشدى وسيف الدولة الحمدانى .

وفى مجالس الفاطميين عقدت حلقات الدرس فى النحو والمنطق وبعض العلوم المختلفة (٣) .

ثامنا : المارستانات :

انشأت هذه المؤسسة لدراسة الطب نظريا وعمليا والدراسة بها على ملاحظة المريض ووصف العلاج ومعرفة ظروف مرضه ومتابعة علاجه حتى يشفى .

---

(١) على للجبلاطى وابو الفتوح التونسى (مرجع سابق) ص ٢٢ .
(٢) حسن عبد العال (مرجع سابق) ص ١٣٤ .
(٣) على الجمبلاطى وأبو الفتوح التونسى (مرجع سابق) ص ٢٣ .

واشتهر فى التدريس فيها عدد من المع الأطباء فى ذلك العصر وقام الخليفة المستكفى بفتح احد المارستانات التى اقيم فيها مستشفى ومدرسة ونقل هذا النوع الى اوربا فى عصر النهضة (١) .

وبهذا اسهمت المؤسسات التربوية اسهاما فعالا فى خلق المواطن المسلم المؤمن بربه ليتولى مسئوليته بالقيام بواجباته نحو ربه حتى يحق ان يكون خليفة الله على الأرض .

(١) نفس المرجع ص ٢٤ .

الفصـــل الخامســـ

التربية الاسلامية فى عهد الفاطميين حتى سقوط الخـــلافة العثمانية

اولا ــ التربية الفاطمية :

بدأت الدولة الفاطمية سياسة التدخل السافر فى الأتجاهات العقلية عامة والتعليم خاصة،ويقول الدكتور احمد شلبى « اتضح تدخل الدولة اتضاحا سافرا فى المؤسسات التعليمية التى أنشأها الفاطميون فى القاهرة اذ عينوا اتجاها دينيا ليكون موضوع الدراسة وعينوا خيرة رجالهم للاشراف على هذا التوجيه ولبث الدعوة لمذهب الفئة» الحاكمة (١) ،وبهذا بدأت الحركة العلمية والتعليمية تخدم أهداف الدولة . بعد أن كانت تعد المواطن المعلم الذى يستطيع تأدية واجبه داخل المجتمع (٢) ؟

الدولة الفاطمية شيعية المذهب ولهذا تعد تشيد الأزهر لبث دعواها فى الناشئة ولما تولى صلاح الدين الأيوبى أمور الدولة وهو سنى أمـــر باغلاق الأزهر فخلق الخلاف العقائدى الذى ظهر أثره فى مدارس الدولة الاسلامية (٣) . بل ارتبطت المدارس فى العالم الاسلامى الى حد كثير بهذا الخلاف الذى ظهر واضـــحا بين اسرتى البهويهيين والفاطميين من ناحية وبين السلاحقة والأيوبيين من ناحية أخرى ويقول دكتور أحمد شلبى « يعتبر فتح السلاحقة للعراق ودخولهم بغداد انتصار أهل السنة على الشيعيين فقد توقفت منذ ذلك الحين سبل النشاط التى كان البهويهيون يبذلونها لنشر التشيع بين الناس أو فرضه عليهم فرضا ووجد السلاحقة أنه لا مناص من القيام بعمل مضاد ليحرروا عقول الناس مما علق بها مما يعدونه ضلالا ومروقا ومن هنا سارعوا على نشر التعليم ونشأة المدارس لهذا الغرض » (٤) .

---

(١) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ــ دار الكشاف ١٩٥٤ ص ٣٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٩٩ .

(٤) نفس المرجع ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

وحين تولى صلاح الدين الأيوبى حكم مصر فكر فى أدخال نظام جديد هو ما يسمى بالمدارس العامة التى يسمح فيها بالتعليم لكل من يرغب وأهم العلوم التى تدرس بها هى علوم الشريعة على المذاهب الأربعة (١) .

ثانيا — التربية المملوكية :

ثم وقعت مصر فى أيدى المماليك بعد وفاة تـوران شـاه فاهتموا هؤلاء بالتعليم والتربية فشيدوا المدارس الكثيرة وزاد عدد الطلاب ويرجع ذلك الى حب المماليك للعلم والمعرفة كما أن الأساتذة والطلاب فى ذلك العصر لاقوا صنوف كثيرة من البر وبالاغداق عليهم بالاموال الكثيرة (٢) .

وكان العلماء مكانة مقدسة فى نفوس العامة والخاصة من الناس كما أن السلطان قلاوون قد أهتم اهتماما كبيرا بالتعليم فأنشأ مدرسه التى جعل فيها التعليم مجانا وحرص ايضا أن يشمل المنهج الدراسـى للطلاب فى مدرسته على التربية الرياضية لتنشئة جيل قوى من الناحية الجسدية ولم يكتف بذلك فانه أهتم بالناحية الصحية فأنشأ مستشـفاه العظيمة لمحاربة الأمراض والأوبئة وما زالت هذه المستشفى موجودة الى يومنا هذا (٣) .

ويعتبر الظاهر بيبرس احد المماليك المستنيرين فى العصر المملوكى فقد أهتم بالفنون والآداب فانشأ المؤسسات التربوية التى منها مدرسة الظاهرية التى بناها بين القصريين وقد أستمر تشييدها ما يقرب من عامين حتى اذا تم بناؤها احتفـل احتفالا لم تشهده مصر من قبل وقد الحـق بهذه المدرسة مكتبة وجمع لها الكتب القيمة كما أنه أوقف على المدرسة الأوقاف الواسعة (٤) .

كما أنه قد أمن بفتح الأزهر بعد أن كان معطلا وعمل على اصلاحه وترميمه وتعين الفقهاء بالتدريس فيه كما أمر باقامة الصلاة وعلى نمط

---

(١) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية (مرجع سابق) ص ٩٢
(٢) نفس المرجع ص ٩٣ .
(٤) نفس المرجع ص ٩٤ .
(٤) سيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس (مـرجع سـابق) ص ١٤٧ — ١٤٨ .

جامع الازهر وبنى جامعة وجعل منه مدرسة جديدة وعين به الاساتذة وعمل على جذب الطلاب اليه فأزدحم الجامع بحلقات الدراسة وذاع صيته فى العالم الاسلامى ورحل اليه العديد من علماء المسلمين فى ذلك الوقت (١) ويعد عصر الظاهر بيبرس العصر الذهبى للتعليم العصر المملوكى .

وفى نهاية العصر المملوكى مر على البلاد ظروف اقتصادية قاسية بسبب تحول طريق رأس الرجاء الصالح وفقدت مصر والعالم والاسلامى أهم مورد من مواردها الاقتصادية وتعرضت البلاد لعمليات السلب والنهب بسبب جشع الحكام وغرورهم وانعكس هذا كله على النظام التربوى فى الدولة الاسلامية فأهمل التعليم وأغلقت المدارس وظل الأزهر يشع ضوء ضعيفا لينير ولو جزء من العالم الاسلامى (٢) .

ثالثا — التربية العثمانية :

وعندما أنتقلت السلطة السياسية فى أيدى العثمانيين نال التعليم فى بداية حكمهم قسطا من الاهتمام فقد قسموا المراحل التعليمية الى عدة مراحل وأولى هذه المراحل هى المرحلة الابتدائية التى كانت ملحقة بالمساجد وينفق عليها من أموال الأوقاف التى أوقفها الأغنياء من المسلمين للانفاق على العلم والعلماء وكان منهجها الدراسى يشتمل على تحفيظ القرآن الكريم مع استرجاعه الذى كان متبعا فى بعض الكتاتيب الاسلامية فى العصر العباسى وتعليم القراءة والكتابة والعمليات الحسابية البسيطة وبعض الاشعار العربية القديمة (٣) .

اما المرحلة الثانية فهى مرحلة الدراسات الكلية التى يتلحق بها الكبار ومنهجها الدراسى يشمل علوم اللغة من نحو وصرف ومنطق وبلاغة وبيان وبديع وخطابه وهندسة وفلك ... وهى مرحلة متوسطة من التعليم وتدخل ضمن المرحلة الثالثة التى تقوم على تعليم العلوم المرتبطة بالقرآن

(١) سيد عبد الفتاح عاشور (نفس المرجع السابق) ص ١٤٩ .
(٢) أبو زيد شلبى (المرجع السابق) ص ٩٥ .
(٣) محمد جواد رضا : العرب والتربية والحضارة (مرجع سابق) ص ٢٨٨ .

الكريم والحديث الشريف وتفسيرهما (١) .

ثم مــرت على الدولة العثمانية فترات مظلمة نتيجة التفكير المغلق الذى سيطر على الســلاطين العثمانيين فاقامت الدولة حاجزا منيعا بين الشعب والتعليم ومنعت العالم الاسلامى بالاتصال بالغرب بل انها منعت العلوم المختلفة ان تصل الى ايدى الطلاب فى مدارسها واكتفت بالازهر ليكون المنبع الاساسى للتعليم الدينى الذى كان منهجه الدراسى يشــمل العلوم القديمة متمثلة فى الشروح والتفسيرات للقرآن الكريم والحــديث اشلريف (٢) .

وفى ظل النظام السياسى الذى وضعته لتحويل المجتمع الاسلامى الى مجتمع جامد وصارت المدرسة جامدة بطبيعة الحال واصبحت وظيفتها الوحيدة الحفاظ على التراث القديم الذى لا يتغير (٣) . وفى ظــل هذه المدرسة اصبح الطالب صورة جامدة تتكرر فيه صورة اسلافه (٤) .

---

(١) محمد جواد رضا (نفس المرجع) ص ٢٢٩ .

(٢) بول مونرو : المرجع فى تاريخ اتلربية الجزء الثانى — ترجمة صالح عبد العزيز — النهضة المصرية ١٩٤٩ ص ٢ .

(٣) نفس المرجع ص ٤ .

(٤) نفس المرجع ص ٥ .

خاتمة

اعتبرت الفلسفة اليونانية العالم مادة غير حقيقية تمثل عالما اخر حقيقي وهو العالم المثالى وبذلك اصبحت المعرفة عندها تتصل بعالم المثل لا بعالم الواقع واعتبر الفلاسفة اليونان الانسان روح وجسد فالروح هو الحقيقة والجسد هو الصورة الفانية وصارت الفلسفة اليونانية ثنائية فى جوهرها ثنائية فى نظرتها الى الكون وطبيعة الثنائية فى حقيقة العمل من ناحية والفكر من ناحية اخرى او بين المادة من ناحية والروح من ناحية اخرى (١) وكانت المشكلة التى استحوذت على اهتمام افلاطون تتعلق بمسألة التغير والثابت بالنسبة لطبيعة الكون وكان الفلاسفة يؤمنون بالثبات ويعتبرون ما يرونه من معالم التغير فى الحياة نتيجة لخداع الحس اى ان التغير فى نظرهم وهم ، والثبات هو الحقيقة (٢) وكان افلاطون يرى ان التغير يعنى الانهيار فقد ارتبط التغيير عنده بهزيمة اثينا امام اسبرطه كما يرى افلاطون ان التغير لا يصيب الا الاشياء الناقصة ولا يصيب المثل او الاشياء الكاملة وهكذا وضع افلاطون لمجتمعه نظاما مثاليا ثابتا وقسم افراده الى فئات ثلاثة وليس لفئة ان تغير من وضعها وكان الفلاسفة هم طبقة الحكام لانهم يستطيعون بفكرهم الوصول الى عالم المثل ، وكان هدف افلاطون الاساسى الوصول بالمجتمع الى حالة ثابتة غير قابلة للتغيير (٣) .

فقد ادت النظرية الثنائية الى اعلاء شأن العالم السماوى على حساب هذا العالم الواقعى الذى نعيش فيه ومن ثم كان كل ما يمت الى العالم المثالى جدير بالاحترام والتقديس (٤) .

---

(١) بول مونرو : المرجع فى تاريخ التربية (مرجع سابق) ص ٨٢ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) دكتور هانى عبد الرحمن (مرجع سابق) ص ٩٢ — ٩٣ .
(٤) نفس المرجع ص ٩٤ .

وكان نتيجة ذلك كله ان تميزت التربية الاغريقية بميزتين اساسيتين هما :

اولا : انها تربية لطبقة دون الطبقات الاخرى .

ثانيا : شكلية تيقينية وبعيدة عن مستويات الحياة ذاتها (١) .

ولقد تخطت التربية الاغريقية حدود بلاد اليونان فانتقلت الى سائر بلاد العالم فنقلها الرومان فصبغوا تربيتهم بالتربية الاغريقية (٢) .

ورغم ما جاء به السيد المسيح عليه السلام بتعاليم جديدة وبرسالة مقدسة ورغم كل ما بذله من جهود فى تحويل الاهتمام بالطبقات الفقيرة والعمل على اعطائهم قدر كبير من التربية لرفع شأنهم فى المجتمع والحياة وكسر شوكة الحكام الطغاة . ورغم كل هذا فقد ظلت التربية الاغريقية سائدة فى هذا العصر (٣) .

وحينما تسلم الرهبان زمام امور التربية فى العصور الوسطى باوربا اتجهوا الى فصل المدرسة عن المجتمع (٤) .

وعلى الرغم من ان الحياة فى الاديرة قد اتخذت بنظام التهذيب الخلقى فانها لم تتيح للفرد فرصة للنمو الجسمى والعقلى والتفاعل مع المجتمع وعملت على عزله عن العالم المحيط به وتسبب هذا الاتجاه فى التربية ان ظلت المدرسة فى اوربا جامدة حتى اوائل القرن التاسع عشر (٥) .

وحقيقة لا تدعو للتأكد ان التربية الاسلامية كانت وحتى القرن الثالث عشر تربية علمية سعت الى اعداد المواطن الصالح المؤمن بربه . فأمدت

---

(١) عبد اللطيف احمد على (الامبراطور الرومانية (مرجع سابق) ص ٨٠ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ٨٢ .

(٣) نفس المرجع ص ٨٣ .

(٤) نفس المرجع ص ٨٤ .

(٥) نفس المرجع ص ٨٥ .

المدرسة الاسلامية المجتمع العربى والعالم بعلماء ساهموا فى احياء العلوم وتطويرها والرقى بالحياة وظل هذا الامداد حتى سقوط الدولة العباسية وسيطرة السلاجقة والاتراك على العالم الاسلامى دفعا بالمجتمع الاسلامى الى هوه سحيقه تجمدت فيها الحياة (١) .

فلم يكن التعليم لطبقة خاصة فى المجتمع الاسلامى او لجماعة دون اخرى بل لكل الطبقات ومن هنا فتحت المدارس ابوابها امام الطلاب من مختلف الاقاليم .

وأصبح هدف التربية الاسلامية وصل الحياة بالدين ففى المسجد تدور المناقشات والمجادلات فى الامور السياسية والمشكلات الاقتصادية والحربية وغيرها من التى تشغل الراى العام الاسلامى والتى تحتاج الى حل حاسم . وان كان بعض علماء التربية يفصلون بين الدين والحياة بحجة ان الدين له طقوسه من صلاة وصيام وزكاه وحج وهذا خطأ جسيم فالدين نظام متكامل شامل للحياة من جميع النواحى ويعمل على تنظيم العلاقة بين الانسان وربه ومن ناحية بين الفرد وجماعته وبين الانسان والكون الذى يحيط به وما فيه من قوى ليستخدمها فى النهوض بمجتمعه وتطوير حياته حتى يستحق بحق شرف الخلافة فى الارض .

ويرى بعض علماء المسلمين ان الدولة ملزمة بتعليم ابنائها دون تفرقة والفكر التربوى الاسلامى يمتاز بشموله واتساع نظرته لانه جعل من الانسان موضوع التربية بما فيه من جسد وعقل ونفس ولكل منهم حاجاته واعتمد على عدة مصادر ولم يحصر نفسه فى فكر ضيق من المعرفة بل انطلق يبحث فى كل المجالات .

وفرق المربون المسلمون بين التربيـــة والتعليم لمعرفتهم بان التربية اشمل من التعليم واعتبروا ان طريقة الفهم اساس النجاح وان عملية الحفظ والاسترجاع تخلق الطفل عديم الشخصية بل عرفوا ان اللعب له اهميته

---

(١) حسن احمد محمود واحمد ابراهيم الشريف / العالم الاسلامى فى العصر العباسى (مرجع سابق) ص ١٨٠ .

فى تعليم الطفل بل عملية من عمليات التعلم وادركوا ايضا اهمية البيئة العائلية فى تنشئة الاطفال .

ويرى المؤرخون ان الفتح العثمانى لمصر وما ارتكبه من تخريب وتدمير كان قريب الشبه بفتح التتار لبغداد قبل ذلك بقرنين ونصف وان ، العثمانيين فى نظيمهم اصبحوا قريبين جدا من سياسة الكنيسية فقد تأثروا الاتراك بالترتيب الهرمى الارثوزكسى اليونانى ابان حكم الدولة البيزانطية ويصف لنا جيب ويوريين الوضع الثقافى للدولة العثمانية فيقول : فى النصف الاخير من القرن السادس عشر تم شنق ثلاثة من الرجال المتعلمين بسبب التفكير الحر وكان احدهما مدرسا فى مدرسة العاصمة وقد ادعى بخلود الدنيا وفكرة الجبرية « وقد منع العثمانيون الاتصال باوربا وحرم استيراد الكتب المطبوعة كما ان الطباعة من جانب المسلمين قد منعوها فى ذلك العصر وفى مكان اخر يقول جيب ويوريين .. «لقد تعرقل الاطباء المسلمون نتيجة منعهم من تشريح جثث الموتى وهكذا لم يكن من للتعصب الدينى ان يحصل على قوة كافية لردع المسلمين » .

ولقد وقع العالم الاسلامى تحت سيطرة العثمانيين وقد كانت فترته من احلك الفترات التاريخية التى مرت عليه حيث عم الجهل والفوضى ويقول الدكتور طه حسين « فلو ان الله عصمنا من الفتح العثمانى لاستمر اتصالنا باوربا ولشاركناها فى نهضتنا ولسلكنا معها الى الحياة الحديثة نفس الطريقة التى سلكتها ولتغيير وجه العالم ولكان للحضارة شأن غير شأنها الان » .

لقد عمل العثمانيين على ادخال ظلمه وكآبه على حياة المجتمع الاسلامى ولم يستطيع هذا المجتمع ان يتخلص من ذلك الا بعد سقوط هذه الدولة الاسلامية فى ايدى الاحتلال الاوربى وبهذا اصبحت المدرسة الاسلامية جامدة واصبحت وظيفة المدرسة الحفاظ على مجموعة من الحقائق الثابتة والغير متغيرة ويتيم الدكتور ابو الفتوح رضوان الوضع قائلا « كان تعلم

(١) ابو الفتوح رضوان .. المدرسة الابتدائية بدون تاريخ ص ٩٧٠.

القراءة والكتابة تمر مرور الصدفة كحصيلة غير مباشرة لحفظ الكتـــاب المقدس » .

وعن طريق صقلية واسبانيا والحروب الصليبية فى الشرق نقلت اوربا العلوم الاسلايمة الى جامعاتها ومدارسها وظلت اوربا حتى القرن الثامن عشر تنقل التراث الاسلامى حتى جاء عصر الانطلاق نحو عصر جـــديد ففتحت الافاق امام علماء التربية ليضعوا أسسا جديدة واساليبا واهدافا وفلسفة للتربية ومؤسسات ونظريات تربوية تتناسب مع اهداف العصر الذى نعيش فيه لخلق المواطن الصالح الذى يسعد فى حياته به وامنه حتى عصر الثورات فى العالم العربى وبدأ العرب يقبسون نظـــريات التربيـــة الحديثة الاوربية والعمل على تطبيعها فى بيئة مختلفة تماما عن البيئة التى ظهرت فيه .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

١ ــ القرآن الكريم :

٢ ــ الكتاب المقدس : العهد الجديد والعهد القديم

٣ ــ انجيل برنابا : ترجمة من الانجليزية ــ الدكتور خليل سعادة
: طبع على نفقة المطبعة المنار لصاحبها
: محمد رشيد رضا ــ مكتبة ومطبعة محمد على
: صبيح وأولاده القاهرة ١٩٥٨ .

٤ ــ ابن قيم الجوزية ــ زاد المعاد ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية
: مكتبة الازهر (بدون تاريخ) .
ــ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ــ
: مكتبة عاطف (بدون تاريخ) .

٥ ــ الحلبى ابن النديم : الدرارى فى الذرارى ــ طبع القسطنطينية
: ١٢٩٨هـ .

٦ ــ ابن سينا : القانون ــ القاهرة ــ مطبعة بولاق
: ١٢٩٤هـ .

٧ ــ ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام القاهرة مطبعة المؤيد
: ١٣١٨هـ .

٨ ــ ابوبكر العربى : احكام القرآن ــ القاهرة ــ مطبعة السعادة
: ١٣٣١هـ .

٩ ــ ابوحامد الغزالى احياء علوم الدين ــ الجزء من ١ ١٤ دار
: الشعب ١٩٧٩ .
ــ مكاشفة القلوب للغرب من علام الغيوب
: مكتبة نصير ١٩٧٩ .

١٠ ــ ابوزيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى
: مكتبة وهبة ١٩٦٤ .

١١ — أبوحيان التوحيدى : — الاشارات الالهية — تحقيق ونشر
: البدوى — القاهرة — مطبعة جامعة فؤاد
: الاول جـ٢، ١٩٥٠م .
: — الامتاع والموانسة — تحقيق ونشر احمد
: امين واحمد الزين — القاهرة ، لجنة التأليف
: والترجمة (بدون تاريخ) .

١٢ — ابوعبدالله الحارس : الرعاية لحقوق الله — تحقيق ونشر عبدالقادر
بن اسد المحاسبى : عطا — مطبعة السعادة ١٩٧٢م .

١٣ — احمدابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية — دار
(دكتور) : الفكر العربى (بدون تاريخ)
: — مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول
: طبعة ثانية دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .
: — العالم الاسلامى فى العصر العباسى —
: طبعة ثانية دار الفكر العربى ١٩٧٣م .

١٤ — احمدعروه (دكتور) : الاسلام فى مفترق الطرق — نقله عن الفرنسية
: عثمان امين — دار الشروق ١٩٧٥م .

١٥ — ابراهيم الكيلانى : ابو حيان التوحيدى — كتاب رقم ٢١ من
: سلسلة (نوابغ الفكر العربى) طبعة ثانية —
: دار المعارف (بدون تاريخ) .

١٦ — انور الجندى : التربية وبناء الاجيال فى صدر الاسلام رقم
: (١٦) من الموسوعة الاسلامية — الطبعة
: الاولى — دار الكتاب بيروت ١٩٧٥م .

١٧ — احمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية — المختار الاسلامى
: ٧٧ .

١٨ — احمدحسن الباقورى : الدين اصل الفطرة الانسانية — منار
: الاسلام تصدرها وزارة الشئون الاسلامية
: والاوقاف فى دولة الاماراه العربية العدد
: الاول ١٩٧٦م .

١٩ — احمدشلبى(دكتور) : تاريخ التربية الاسلامية — دار الكشاف
: بيروت (بدون تاريخ) .
: — مقارنة الاديان — اليهودية — جا طبعة
: خامسة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧ .
: — مقارنة الاديان — المسيحية — ج٢ —
: طبعة خامسة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧.

٢٠ — احمدفؤادالاهوانى : التربية الاسلامية (دراسات فى التربية)طبعة
: ثانية دار المعارف — مصر ١٩٧٥ .

٢١ — اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا — مطبعة القاهرة
: ١٩٢٨ .

٢٢ — آدم منز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
: ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريره — طبعة
: ثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
: ١٣٦٧ هـ .

٢٣ اسماء فهمى : مبادىء التربية الاسلامية — القاهرة مطبعة
: لجنة التأليف والترجمة والنشر (بدون) .

٢٤ — اسماعيل بن كثير بن : تفسير القرآن الكريم ج٢ — ١٣٦٧هـ —
القرشى الدمشقى : ١٩٤٨ — (بدون تاريخ) .
المتوفى ٧٧٤هـ .

٢٥ — بهى الدين زيان : الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية
: (الكتاب العاشر من سلسلة قادة الفكر فى
: والغرب) مكتبة نهضة مصر بالفجالة
: ١٩٥٨ .

٢٦ — كتاب الشعب : بيوت الله مساجد ومعابد ج٢ — كتاب الشعب
: ١٩٦٠ .

٢٧ — جيدعبدالنور : اخوان الصفا — الكتاب رقم ٧ من سلسلة
: (نوابغ الفكر العربى) طبعة سادسة دار
: المعارف بمصر ١٩٧٠ .

٢٨ ـ جداد شهير : العقيدة والشريعة فى الاسلام ترجمة محمد يوسف القاهرة ـ دار الكتب الحديثة ١٣٧١هـ .

٢٩ ـ جورج زيدان : العرب قبل الاسلام ـ تعليق حسن حسن مؤنس دار الهلال .

٣٠ ـ حسن ابراهيم (دكتور) : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى القاهرة ١٩٤٨ .

٣١ ـ حسن عبدالعال : التربيةالاسلامية فى القرن الرابع الهجرى دار الفكر العربى ١٩٧٧ .

٣٢ ـ الخازن : لباب التأويل فى معانى التأويل ـ مطبعة مصر ١٣٣١هـ .

٣٣ ـ خالدمحمد خالد : معالى الطريق محمد والمسيح ـ طبعة خامسة دار العلم للملايين ١٩٧٤ .

٣٤ ـ خطاب على عطية : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول ـ القاهرة دار الفكر العربى ١٩٤٧ .

٣٥ ـ ركى مبارك : التصوف فى الاسلام ـ طبعة بيروت (بدون تاريخ) .

٣٦ ـ فتحية سليمان : التربية عند الغزالى ـ دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

٣٧ ـ فريدالدين عطار : تذكرة الاولياء ـ مطبعة النهضة ١٩٥٢ .

٣٨ ـ سيد جمعة : الله والدمار ـ طبعة ثالثة ـ المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ١٢٩٦هـ .

٣٩ ـ سعد مرسى احمد (دكتور) : تطور الفكر التربوى ـ عالم الكتاب ١٩٧٠م .

٤٠ ـ سعيدعبدالفتاح (دكتور) : المدينة الاسلامية واثرها فى الحضارة الاوربية الطبعة الاولى دار النهضة العربية ١٩٦٣ .
: ـ اوربا فى العصور الوسطى جا ـ ٢ طبعة

: اولى — دار النهضة العربية ١٩٦٣ .
: — الظاهر بيبرس — اعلام العرب — النهضة
: المصرية فبراير ١٩٦٣ .

٤١ — سعادباهر : الازهر دائرة وثقافة — المجلس الاعلى للشئون
: الاسلامية — بوزارة الاوقاف ١٩٥٨ .

٤٢ — سيد قطب : — العدالة الاجتماعية فى الاسلام — دار
: الشروق ١٩٧١ .
: — السلام العالمى والاسلام — طبعة ثانية
: دار الشروق ١٣٦٤ هـ — ١٩٧٤ .
: فى ظلال القرآن من الاجزاء ١ — ١٨ طبعة
: دار الشروق ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ .
: — مشاهد القيامة فى القرآن — طبعة خامسة
: دار المعارف بمصر ٧٦ .

٤٣ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل اى القرآن .

٤٤ — طه الراوى : بغداد مدينة السلام — الكتاب رقم ٢٧ من
: سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر — فبراير
: ١٩٤٥ .

٤٥ — عائشةعبدالرحمن : القرآن وقضايا الانسان طبعة اولى — دار
(دكتورة) : العلم للملايين ببيروت ١٩٧٢ تراثنا بين ماض
بنتالشاطىء : وحاضر القاهرة — دار المعارف .

٤٦ — عباسمحمودالعقاد : — الشيخ الرئيس ابن سينا — طبعة ثانية
: رقم (٤٦) من سلسلة اقرأ دار المعارف ٦٧.
: — الفلسفة القرآنية — دار الاسلام بالقاهرة
: — الله — مطابع الاهرام التجارية ٧٢ .
: — حقائق الاسلام واباطيل خصومه — دار
: الاسلام القاهرة ٥٧ .

: حياة المسيح — دار الهلال (بدون تاريخ) .
: ـما يقال عن الاسلام — دار الهلال (بدون
: تاريخ) .

٤٧ — عبدالله فياض : اثار البلاد واخبار العباد — بيروت ١٩٦٠ .

٤٨ — عبدالحليم محمود : حب الله وتوحيده — منار الاسلام تصدرها
: وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف فى دولة
: الامارات العربية المتحدة — العدد الاول
: ١٩٧٦ .

٤٩ — عبدالرازق نوفل : السماء واهل السماء — طبعة اولى مطبوعات
: دار الشعب ١٩٦٩ .
: — الله والعلم الحديث — الناشرون العرب
: دار الشعب ١٩٧١ .
: — من اسرار الروح — الطبعة الثانية رقم
: ١٢١ من سلسلة (كتاب اليوم) تصدرها
: مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة ١٩٧٧ .

٥٠ — عبدالرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية
: دراسات لكبار المستشرقين طبعة ثانية
: مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦ .

٥١ — عبدالعزيز الدورى : العصر العباسى الاول — دراسة التاريخ
: السياسى والادارى والمالى — بغداد منشوار
: المعلمين العالية ١٩٤٥ .

٥٢ — عبدالغنى عبود (دكتور) : الاسلام والكون الكتاب الثالث من سلسلة
: الاسلام وتحديات العصر طبعة اولى دار
: الفكر العربى ١٩٧٧ .
: — الانسان فى الاسلام والافاق المعاصر
: الكتاب الرابع من سلسلة الاسلام وتحديات

: العصر طبعة اولى دار الفكر العربى ١٩٧٨.
: — اليوم الاخر والحياة المعاصرة — الكتاب
: الخامس من سلسلة (الاســلام وتحديات
: العصر) دار الفكر العربى ١٩٧٨ .
: — الاسرة المسلمة والاسرة المعاصرة (الكتاب
: الثامن من ســلسلة (الاســلام وتحديات
: العصر) دار الفكر العربى .
: — فى التربية الاسلامية — طبعة اولى —
: دار الفكر العربى ١٩٧٧ .
: — الايديولوجيا والتربية — طبعة اولى —
: دار الفكر العربى ١٩٧٦ .
: — البحث فى التربية — طبعة اولى — دار
: الفكر العربى ١٩٧٣ . —
: — دراسة مقارنة تاريخ التربية — طبعة
: اولى دار الفكر العربى ٧٨ .
: — العقيــدة الاســلامية والايديــولوجيات
: المعاصرة سلسلة (الاسلام وتحديات العصر)
: الكتاب الاول دار الفكر العربى ١٩٧٦ .
: — الله والانســان المعاصر — من سلسلة
: (الاسلام وتحديات العصر) الكتاب الثانى
: دار الفكر العربى ١٩٧٧ .

٥٣ — عبدالكريم الخطيب : الله والانسان (قضية الالوهية بين الفلسفة
: والدين) طبعة ثانية — دار الفكر العربى ٧١.
: — الله ذاتا وموضوعا (قضية الالوهية بين
: الفلسفة والدين) طبعة ثانية — دار الفكر
: العربى ٧١ .

٥٤ — عبدالرحمن عميرة : الفلسفة الاسلامية بين التقليد والابتكار —
: طبعـــة عيسى البابى (الحلبى — (بدون
: تاريخ) .

٥٥ — الابنا عريقوريوس : انت المسيح — ابن الله الحى (رقم ١٩) من سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية)مطبعة : دار العالم العربى فبراير ١٩٧٥ .

٥٦ — محمد الصادق : الموسوعة فى سماحة الاسلام المجلد الاول : مؤسسة سجل العرب ١٩٧٢ .

٥٧ — محمد السعيد الطنطاوى : رسالة المسجد والامام صلة بين الدين : والحياة كتاب رقم ١٢٣ من سلسلة (كتاب : اسلامية) يصدرها المجلس الاعلى للشئون : الاسلامية السنة الثالثة عشر مارس ١٩٧٤ .

٥٨ — محمد اسماعيل ابراهيم : القرآن واعجازه العلمى — دار الفكر العربى : ١٩٧٧ .

٥٩ — محمد ابوزهرة : محاضرات فى النصرانية — طبعة خامسة دار : (بدون تاريخ) .
: الفكر العربى ١٩٧٧ .
: — محمد رسول الله — ج٢ دار الفكر العربى
: ١٩٧٧ .
: — الامام ابو حنيفة — دار الفكر العربى ٧٦ .
: — الامام ابو حنبل دار الفكر العربى ٧٦ .
: — الامام الشافعى دار الفكر العربى ٧٧ .
: — الامام مالك دار الفكر العربى ٧٧ .

٦٠ — محمد ابو الفيض المنوفى : جمهرة الاولياء فى اعلام التصوف طبعة مصر : ١٣٨٧هـ .

٦١ — محمد اسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام — دار العلم : للملايين بيروت ١٩٧٥م .

٦٢ — محمد الدسوقى : الاجتهاد فى الفقه الاسلامى — كتاب رقم

: ١٤٧ من سلسلة (دراسات فى الاسلام)
: يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية
: بوزارة الاوقاف — ١٥ من جمادى الاخر
: ١٣٩٣ — ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

٦٣ — م . ب تشارلورت : الامبراطورية الرومانية الالف كتاب — دار
: الفكر العربى ١٩٦٣ .

٦٤ — محمد جمال الدين : الله والكون — الهيئة المصرية العامة للكتاب
: القاهرة ١٩٧٦ .

٦٥ — محمد جواد (دكتور) : العرب والتربية والحضارة (دراسات فى
: الفكر التربوى المقارن) طبعة اولى مكتبة
: المنهل الكويت ١٩٧٩ .
: — مصدر المعرفة عند الامام الغزالى — مكتبة
: المنهل الكويت ١٩٧٨ .

٦٦ — محمد عبد المنعم نور (دكتور) : المجتمع الانسانى — مكتبة القاهرة الحديثة
: (بدون) .

٦٧ — محمد جلال اشرف : — التصوف فى مدرسة بغداد — طبعة
: ١ ١٩٧٥ .
: — الله والعالم والانسان فى الفكر الاسلامى
: من المكتبة الفلسفية طبعة ثانية دار
: المعارف بمصر ١٩٧٥ .

٦٨ — محمد عزت اسماعيل الطهطاوى : النصرانية والاسلام عالمية الاسلام ودوامه
: الى قيام الساعة — دار الانصار — القاهرة

٦٩ — محمد عبد الله عنان : تاريخ جامع الازهر فى العصر الفاطمى مطبعة
: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢م .

٧٠ — محمد عبد الرحيم عنبه : الجامعات الاسلامية الكبرى دار الطباعة
: العربية ١٩٥٣ .

٧١ — محمد عطية الابراشى : — التربية الاسلامية وفلاسفتها — طبعة ثانية . مطبعة عيسى البابى الحلبى — القاهرة ١٩٦٩ .
: — التربية فى الاسلام — كتاب رقم ٢ من (دراسات فى الاسلام) يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ١٩٦١ .

٧٢ — محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى الدار التونسية للنشر ١٩٧٢ .

٧٣ — محمد قطب : — الانسان بين المادية والاسلام — دار احياء الكتب العربية ١٩٦٨ .
: — منهج التربية الاسلامية — طبعة دار الشروق (بدون تاريخ) .
: — قبسات من الرسول — طبعة ثانية — دار الشروق (بدون) .

٧٤ — محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٦ .

٧٥ — محمد منير مرسى (دكتور) : فلسفة التربية — عالم الكتب ١٩٧٢ .

٧٦ — محمد مصطفى حلمى (دكتور) : الحياة الروحية فى الاسلام دار النهضة (بدون تاريخ) .

٧٧ — مدكور ابراهيم : الفلسفة الاسلامية (منهج وتطبيق) دار احياء الكتب العربية — القاهرة ١٩٤٧ .

٧٨ — مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام — دار مطابع الشعب ١٩٧٢ .

٧٩ — مصطفى جواد (دكتور) : عصر الغزالى — المجلس الاعلى ١٩٦١ .

٨٠ — مصطفى محمود : الماركسية والاسلام — دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ .

٨١ — مناع القطان : مباحث فى علم القرآن — طبعة ثانية منشورات دين الانسانية كتاب قم (١٩٥) (من دراسات فى الاسلام) يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ١٩٧٧ .

٨٣ — محمد يوسف حموده : الصوفية واثرهم فى الدعوة الى الله تعالى : رسالة ماجستير كلية اصول الدين — جامعة الازهر — تحت اشراف الدكتور احمد احمد علوش وكيل كلية الدعوة الاسلامية .

٨٤ — نيكلسون : فى التصوف السلامى وتاريخه ترجمة ابو العلا عفيفى — طبعة مصر ١٣٨٨هـ .

٨٥ — وائل عثمان : حزب الله فى مواجهة حزب الشيطان تقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى — طبعة ثانية مطبعة نهضة مصر ١٩٧٥ .

٨٦ — وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى — مدخل الى الايمان — ترجمة ظفر الدين خان — تقديم الدكتور — عبد الصبور شاهين طبعة خامسة — المختار الاسلامى

٨٧ — وهيب ابراهيم سمعان (دكتور) : الثقافة والتربية فى العصور الوسطى (دراسة فى التربية) دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

٨٨ — هانى عبد الرحمن صالح (دكتور) : الخصائص العامة للاسلام — طبعة اولى مكتبة وهبة ١٩٧٧ .

المراجـــع الاجنبية

1. A. A. Quibell : Egyptian History and Art. London, 1926.

2. Abu Al Futuh Radwan : Old and Ntw Forces in Egyptian Education, Bureau of Publications. Teachers College, Columbia Univ., New York, 1951.

3. Alan Darward : Bertrand Russel, Lnongmann Creen & Co., Ltd., London, 1951.

4. Basil Willey : Ninettenth Century Studies, Chatto & Windus, London, 1964.

5. G. T. Warner & C. H. K. : The Groundwork of British History, Blackie & Son, reprinted 1936.

6. H. A. R. Gibb and Haroli Bowen . Islaic Society anl the West, Vol. 1, part 11, Oxford Univ. Press. 1957.

7. Hamtd Ammar · Growing up in an Egyptian village, Routelge & Kegan Paul, 1954.

8. J. H. Bresstead : Ancient Times, Boston, 1935

9. J. H Plumb : England in the Eighteenth Century, Pengien Vooks, 1950.

10. John S. Bruhacher : Modern Philosophits of Education, McGraw-Hill Book Company, 1939.

11. Karl Mannheif & W. A. C. Stewart : An Interoductory to the Sociology of Education, Rautelge & Kegan Paul, 1'62.

12. Lenard Cotrell : Life Under the Pharaohs, London, 1964.

13. Maurice Cranston : John Lack, Longfann, Green & Co., Ltd., London, 1961.

14. Maurice Cranston : John Stuart Mill. Longmans, Green & Co., Ltd., London, 1958.

15. Richard T. Hapiere : Social Change, McGraw-Hill Book Company, New York, 1965.

16. T. S. Soderbergh : Pharaohs and Mortals, Sweden, 1961.

17. W. E. Williams : A Boobk of English Essays, Pengium Books, 1948.

18. Wibert E. Morre : Social Change, Prentice Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1963.

19. William H. Kilpatrick and Others : The Teacher and Society, First Year - Book of the John Demey Society, 1937.

20. William Heard Kilpatrick : Philosophy of Education, The Macmillan Company, New York, 1954.

المحتــويات

الخطا والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	٦	فيه	يقيه
٢١	٧	من	من ان
٢٣	١	ويكون	وهناك
٢٥	٩	وبك	وربك
٢٧	١٨	الطيق	الطيقة
٢٨	١٨	اعيرقت	اغدقت
٣٢	٧	ونمهم	ومنهم
٣٥	١٧	ما لن	اما لن
٣٧	١٤	والمساه	والمساواة
٤٢	١٠	عاملها	عائلها
٤٥	١٩	رحمها	ارحمها
٤٣	٣	انامى	وانى
٤٧	٩	الا	الها
٤٩	[illegible]	اجريت	أجدبت
٥٠	٣	يقوم	ليقدم
٥٠	٣	نتيجة	ضجية
٥٠	١٢	يروى	يرى
٥٧	١٣	قيده	عقيدة
٦١	١٣	استراد	استطراد
٦٢	٢١	وملته	وملئه
٦٣	١٠	وولئك	وأولئك
٦٤	٧	فعصى	فعصى فرعون

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧١	١٤	السأمليه	التأمليه
٧٥	٩	وكهلا	وكهلا ثم قال عز وجل واذا كنفت
٨١	١٢	اقران	القرآن
٨٩	١٣	اليرا	الدين
٩٢	١٠	لما دارس	المدارس
٩٥	١٧	الغربية	الاسلامية